

الكتاب: أساليب الغزو الفكري

المؤلف: جريشة ، الزبيق

الجزء:

الوفاة: معاصر

المجموعة: مصادر عقائد أهل الكتاب وردودها

تحقيق:

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م

المطبعة:

الناشر: دار الإعتصام

ردمك:

ملاحظات:

أساليب الغزو الفكري
للعالم الإسلامي
د. علي محمد جريشة - محمد شريف الزبيق
أستاذ مساعد بكلية الشريعة محاضر بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
الطبعة الأولى
١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م
دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،
وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد -

فهذه الكلمات نسطرها في المذاهب الفكرية المعاصرة
لتكون زادا لطلاب الشريعة والدعوة بل زادا لكل صاحب دعوة.
وليس الحديث عن المذاهب الفكرية المعاصرة سهلا إن العصر
يموج بنظريات ومبادئ تتنازع وتتصارع، وإن حروب السلاح إن
هدأ أوارها، أو وضعت أوزارها فلقد حلت محلها حروب الأفكار
والعقائد.

* فالغرب يرفع راية العلمانية التي حبست الدين بين جدران
الكنائس، وأبت عليه أن يكون له خارجها سلطان.

يرفع في مجال الاقتصاد مبادئ الرأسمالية.

ويرفع في مجال السياسة مبادئ الديمقراطية.

ويرفع في مجال الاجتماع مبادئ الحرية والتحرر التي اقتربت
من الفوضى الطاحنة القاضية على القيم والمثل والأخلاق.

* والشرق الشيوعي يرفع راية الاشتراكية (العلمية) أو

الشيوعية، يضلل بها الطبقات الساذجة، ويمنيها بأن الحكم
(للصعاليك) أو طبقة البروليتاريا - كما يسمونها - ويمارس

ضلاله وتضليله في الشرق الاسلامي.

ويصطدم بعقيدته فيطور أسلوب دعوته أو " تكتيكها "

ليخدع جماهير المسلمين.

* ووسط قيم الغرب الفاسدة، وتضليل الشرق الكافر

تعيش جماهير المسلمين بعد ما أصابها من تخلف وبعد عن منهج

الله. تعيش أكثرها بين التمزق والضياع وافتقاد القيادة الراشدة،
تلمس النور وسط السراب وتتحسس الطريق وسط الظلام، وما هي
ببالغته حتى تعرف ما هو النور وما هو الطريق فتتهدي وتسلك
. وتسير على درب النجاة.

وفي باب تمهيدي نتحدث بمشيئة الله عن الواقع الأليم الذي تعيشه
أمة الاسلام بين التخلف والتمزق وأسباب ذلك.
وفي الباب الأول نتحدث عما يجمع الغرب والشرق، ثم عما يمارسه
الغرب المسيحي في الشرق الاسلامي قديمه وحديثه.
وفي الباب الثاني نتحدث عن الغزو الماركسي لبلاد الاسلام
أساسه من المبادئ وزيف هذه المبادئ، ثم ما يفعلونه بالمسلمين
في بلادهم، وما يحاولونه خارجها كاشفين عن أسلوبهم وتكتيكهم
الجديد.

وفي الباب الثالث نتحدث عن الصهيونية أو (اليهودية العالمية)
ومخططاتها وجمعياتها السرية لتخريب العالم
وفي الباب الرابع: نشير إلى رد فعل لغزو الشرق والغرب
لبلاد المسلمين والحركات الاسلامية التي قامت مناهضة لذلك الغزو،
وما فيها من قصور، ثم نحاول أن نتبين النور والطريق.
والله المستعان وعليه التكلان.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

باب تمهيدي

واقع أليم:

الواقع الأليم ينطق بتخلف الأمة الاسلامية.

ولم تكن كذلك:

لقد عاشت أكثر من ألف سنة في مقدمة الأمم بل لقد عاشت فترة طويلة هي الأمة الأولى في العالم كله يعمل لها ألف حساب، ويطلب ودها، ويسعى أمثال إمبراطور ألمانيا للتقرب من خليفتها فيرسل له الهدايا

وحملت في خلال هذه الفترة الاسلام للدنيا كلها حملتها بالعلم والخلق قبل أن تحمل السيف في وجه أعداء الاسلام، ولم تكره على عقيدتها أحدا فإن القرآن علمها أن " لا إكراه في الدين " (١)، وإنما دخل الناس في دين الله أفواجا لما رأوا صفاء العقيدة وسموها، ولما شاهدوا جمال الخلق ورفعته فأحسوا أن هذا الدين ينشئ نشأ جديدا يخرجهم من (عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

وما عرفه الغرب من تقدم كان نتيجة احتكاكه بالشرق الاسلامي. إن نقطة البدء في ذلك التقدم كانت حركة الاصلاح الديني، حيث ثار الناس على ظلم الكنيسة واضطهادها، وثاروا على كثير من مفاهيمها المعقدة بعد ما رأوا صفاء العقيدة الاسلامية ويسرها، وسمو الاسلام وسمو خلقه

ثم كانت بذور النهضة الأوروبية العلمية أخذت عن علماء المسلمين الذين تعلم الغربيون على أيديهم في جزر البحر الأبيض، وفي الأندلس، ومن قبل ذلك احتكوا بهم أبان الحروب الصليبية. وإذ بدأ الغرب في نهضته. بدأ الشرق في كبوته. وكان لذلك أسباب عديدة. بعضها من أنفسنا، وبعضها خارج عن إرادتنا.

أسباب من أنفسنا:

" وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " (٢) تلك

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) الشورى ٣٠

(e)

سنة الله في أرضه، وحكمه بين خلقه. لا يخفض قوما بعد إذ رفعهم إلا بما كسبت أيديهم، ولا يغير بعد ذلك ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وهو ما حدث بالأمة الاسلامية حين داخلها شيء من الغرور أن الله اختارها ولن يستبدل بها ونسيت أن الاختيار مؤسس على أسبابه " تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله (١) " وتحت هذه الشعب الثلاث يندرج الاسلام كله.

(أ) أول مما أصاب الأمة الاسلامية بعدها عن كتاب ربها وسنة رسولها ومحاوله الأخذ من غير هذين النبعين الصافيين الأصليين، خاصة بعد ما ما أوتي الغرب شيئا من التفوق الحضاري علي أساس مادي. (ب) وصحب ذلك انهزام داخلي أصاب شعور الأمة. أو بعضها فعدلت ما عند الناس بما عند الله. إن لم يداخلها الوسواس فهو أفضل.

(ج) وصحب ذلك. التقليد والمحاكاة

ولم تكن هذه صفة الأمة الاسلامية.

بل ليست هذه صفة الأمم الأصيلة.

إنها صفة القردة. إن كانوا حيوانات. أو كانوا ممن غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة وعبدة الطاغوت.

(د) ولازم ذلك كله الفرقة.

تفككت الدولة وأصبحت دويلات (٢)، وتصارع الحكام على

الدنيا، وأحلوا قومهم دار البوار

والفرقة دائما فرصة العدو للنفوذ. أن الصف المتلاحم المتلاصق

لا يستطيع عدوان يخترقه أما الصف المضطرب المختلف الممزق

فاخترقه سهل ويسير والحزمة الواحدة قوية قد تستعصي على الكسر أما العيدان المتفرقة فكسرهما سهل يسير.

(هـ) وأعقب ذلك كله تخلف عن مواكبة العصر. فيما وصل إليه

من أبحاث علمية تجريبية. وما فرض من أغلاق باب الاجتهاد.

مما جر على المسلمين بعد ذلك. أن ينقلوا عن غيرهم. فينقلوا الغث

مع السمين بل ينقلون الغث أكثر مما ينقلون السمين، وهكذا رأينا ثمار

البعثات الخارجية. أخذا بقشور المدنية الغربية وفسادها دون أخذ

بلبابها.

(١) آل عمران ١١٠

(٢) أنظر كيف تفككت الأمة الاسلامية الواحدة إلى دولة المغول الاسلامية في الهند ودولة

فارس، والدولة العثمانية، ودولة المماليك في مصر.
وانظر كيف هي الآن أشد تفككا - وكيف تقوم فيها دول في النسبة للأخرى بمثابة
أحياء في مدينة.

أما الأسباب الخارجة عن أنفسنا:
فهي التي فرضها أعداء الاسلام على المسلمين.
وكانت نتيجة لتخطيط أثيم بدأ منذ الحروب الصليبية. وانتهى إلى
الحرب الضارية التي تمارس الآن على العالم الاسلامي، ولكن بأسلوب
جديد. وهو موضوع هذه الدراسة بإذن الله.
وقبل أن نغادر هذا الباب للحديث عن غزو المسلمين نشير إلى أنه
رغم الضراوة الشديدة التي يمارسها أعداء الاسلام. فلا يزال الحل.
بأيدينا.

لا يزال بأيدينا النور.

ولا يزال أمامنا الطريق.

وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة.

فجعلها قلب العالم كله من كل ناحية.

* من ناحية المكان هي مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله، وهو

ما يجعل لها مركزا استراتيجيا خطيرا لا يتوفر لأية أمة أخرى (١).

* من ناحية الثروات فلقد جمع الله فيها أنواع الثروات الأرضية بما

يحقق اكتفاء ذاتيا، وبما يحقق حاجة العالم كله إليها.

وليس الأمر قاصرا على البترول. وتكفي هذه الإشارة.

* من ناحية الخامة البشرية فإن الدراسة المنصفة للطبيعة

البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة

أخرى وبذلك تتحقق الوسطية لهذه الأمة على اختلاف وجوهها.

وصدق الله العظيم:

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول

عليكم شهيدا) (٢).

وقبل ذلك وبعد ذلك ما قلناه من نور.

ومن طريق وهو ما نشير إليه بمشيئة الله في نهاية البحث كله.

(١) سجل الدكتور حسين كمال الدين بكلية الهندسة بجامعة الرياض في بحث
علمي هام أن الكعبة المشرفة هي المركز لدائرة العالم كله، بحيث لو أردنا رسم دائرة للعالم
لكان لزاما وضع السن على الكعبة المشرفة ليتمكن رسم هذه الدائرة.

(البحث قدم لمؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بالرياض في ذي القعدة ١٣٩٦).

(٢) البقرة ١٤٣

توطئة

تقوم الحضارة الغربية الحديثة على أساس من فكر فلسفي أرسى قواعده أمثال ديكارت صاحب منهج البحث الاستنباطي، وفرنسيس بيكون، صاحب المنهج التجريبي، وكومت، مؤسس المذهب الوضعي وهو في جملته فكر مادي نتج عنه بعد ذلك في أمريكا مذهب البراجماتزم أو المذهب العلمي، وهو الذي ساد الفكر الأمريكي منذ القرن الماضي. وتقوم الماركسية كذلك على أساس من فكر مادي يعطي المادة كل شئ ويفسر التاريخ على أساس منها وقد أخذ كارل ماركس عن غيره من فلاسفة الغرب - كما سنشير بتفصيل في موضعه بإذن الله.

ولئن بقي في الغرب أثارة من دين وسط التيار المادي العارم فإنها " غلالة " رقيقة لا نحسب أنها ستصمد طويلا ودليل ذلك إحصائيات كثيرة ودليله كذلك لجوء رجال الدين في الولايات المتحدة من أجل ترويح بضاعتهم إلى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين وهو ما يحدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات إلى حفلات راقصة تخفت فيها الأنوار وتتلاصق الأجساد، وتنطلق الأنغام خافتة حاملة. توظف الرغبة وتشعل الشهوة.

وبقايا الحمية الدينية عندهم لم تعد تظهر إزاء الانحرافات الخطيرة الواقعة في مجتمعاتهم والتي تهدد مجتمعهم نفسه بالتصدع والسقوط وإنما تظهر فقط إزاء الأديان الأخرى وبالتحديد إزاء كل تجمع إسلامي يبغى إعادة مجد الإسلام - كما سنبينه من خلال هذا البحث.

وقيام الشرق والغرب رغم اختلافهما الظاهر - على أساس فكري واحد (١) أمر يستلفت النظر ويوحى بالتساؤل. تماما كما تشهد في طريقك بنائين مقامين على تصميم هندسي واحد. فتشهد أن المصمم واحد أو أنهما خريجا مدرسة واحدة وكما نشهد خلق الله فنجد من كل زوجين اثنين - الانسان فيه الذكر والأنثى.

(١) التفكير المادي العلمي ينقسم إلى اتجاهين:

- الاتجاه الميكانيكي Mechanistic Materialism وهو اتجاه مادي لا يرى وجودا للروح أو العقل فضلا عن أن ينسب إليهما تدير الجسم.
- الاتجاه المادي الديالكتيكي Dialectic Materialism ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة، والاتجاهان بذلك ينكران الغيب أو يستبعدانه. للدكتور البهي - ص ٨٦ الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي.

(A)

الحيوان فيه ذكر وأُنثى .
النبات فيه ذكر وأُنثى .
الجماد فيه الموجب والسالب . كما في الكهرباء والمغناطيس
والذرة .

فنخرج من هذا أن الخالق الصانع واحد سبحانه وتعالى
قيام المعسكرين المتنازعين على أساس فكري واحد أمر يستلفت نفس
النظر ويوحى نفس التساؤل .

وننظر فنجد كارل ماركس من أصل يهودي (١) .

ونجد الثورة البلشفية قد مولت بأموال يهودية (٢) .

ونجد كثيرا من القيادات الشيوعية يهودية الأصل (٣) .

ونجد الشعار اليهودي هو الأفعى الرمزية .

وهي رمز للأمة اليهودية، وبداخلها النجمة السداسية وهو شعار
اليهود كذلك (٤) .

وننظر إلى الغرب . فنجد فكرة فصل الدين عن الدولة من عمل اليهود (٥) .

ونجد الحروب الصليبية (٦) وبعض الحروب العالمية من عملهم كذلك (٧) .

ونجد بصماتهم في وعد بلفور، وفي الإعداد لدولة إسرائيل، وفي الاعتراف
بدولة إسرائيل، والتدخل لمساعدتها .

كما نجد هذه البصمات وفي مقتل جون كندي، وفي عزل نيكسون،

(وهما من رؤساء الولايات المتحدة السابقين)، وفي بعض الأحداث في المنطقة
الاسلامية والعربية .

ونعود إلى الأساس الذي بنى عليه الفكر الغربي والماركسي " المادة " .

فنجد التشابه بينه وبين ما يؤمن به اليهود . وكل إناء بما فيه ينضح

. إن القرآن وصفهم " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة (٨) أي حياة

ولو كانت رخيصة . لأن المادة ثقلها في نفوسهم وقلوبهم .

واتنشر الأساس المادي يؤدي إلى: الصراع على المادة، ثم

يؤدي إلى الانزلاق في الشهوات

وكلا من الأمرين من سياسة اليهود " كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين " (٩) .

(١) الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٣٣، ٤٣

(٢) محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودي - الطبعة الرابعة ص ٦٨، ص ١١٠

(٣) محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودي - الطبعة الرابعة ص ٦٨، ص ١١٠

(٤) سرجي نيلوس - ترجمة البروتوكولات، المرجع السابق ص ٤، ٢٤، ٢١٣ وما بعدها .

- (٥) وليام غاي كار - أحجار على رقعة الشطرنج - ١٣ تشرين ١٩٥٨ م
(٦) وليام غاي كار - أحجار على رقعة الشطرنج - ١٣ تشرين ١٩٥٨ م
(٧) محمد خليفة التونسي - المرجع السابق.
(٨) البقرة ٨٦
(٩) سورة المائدة / ٦٤

وما نود بعد ذلك أن نخوض في مدى سلامة البروتوكولات التي نشرها سرجي نيلوس لأول مرة في سنة ١٩٠٢ بعد أن وصلت إليه - كنا ذكر - في سنة ١٩٠١ فإنها من ناحية السند ضعيفة إذ لم يعرف مصدرها الحقيقي حتى الآن (١).

ولكن الأحداث التي جرت والتي تجري قد تؤكد صحتها وسلامة نسبتها مما يشعر معه الانسان أنه أمام ما قد يسمى بالحقائق المسلمة. ووقوع الأحداث التي توقعها ناشرها بعد نشرها بفترات أقلها خمسة عشر عاما وأطولها ما يقارب الخمسين يلقي ظلالة على صحة هذه الوثائق فقد تنبأ نيلوس أن يحاول اليهود الاستيلاء على السلطة في روسيا وتم لهم ذلك بعدها بحوالي خمسة عشر عاما. وتنبأ نيلوس أن تحاول الأفعى اقتحام الآستانة قبل قيام دولة لليهود (٢). وألغيت الخلافة الاسلامية في سنة ١٣٤٢ هـ وكانت " اليد الخفية " تعمل في الظلام على تحطيمها.

وقامت دولة إسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ واعترفت بها أمريكا وأعقبته روسيا في يوم واحد.

ومع ذلك كله فيبقى احتمال وجود اليهود وراء الفكرين الغربي والشرقي . من الناحية العلمية مجرد احتمال وإن كان احتمالا راجحا -

لكننا نأخذه بحذر حتى لا نقع في " التهويل " كما لا ينبغي أن نقع في " التهوين " فكلاهما تطرف غير سليم كلاهما إفراط وتفريط وتبقى الاحتمالات الأخرى قائمة وإن كانت مرجوحة - ومن بينها أن يكون الانتكاس قد أصاب الفطرة الانسانية في الشرق والغرب في وقت واحد فقامت فلسفتهم وفكرهما على أساس أن: " لا موجود إلا المادة " (٣).

وهذا الأساس بغير إغراق في الجانب الفلسفي - ليس صحيحا على إطلاقه إذ لا شك بوجود أشياء غير المادة فالفكر والفهم ليس أمرا ماديا وهو موجود والمشاعر والعواطف ليست أمرا ماديا. وهي موجودة.

والله سبحانه وتعالى ليس شيئا ماديا وهو سبحانه وتعالى موجود. ولا يلزم للوجود أن تدركه الحواس بالبصر أو باللمس أو بالشم كما يذهب أكثرهم فإن الإدراك بالأثر أقوى وأشد، فأنت لا ترى

(١) تعلمنا علوم السنة علما جليلا لم يصل إليه بعد علم الغرب وهو علم الرجال وما يتعلق بهم من جرح وتعديل، وهو علم بالغ الدقة وتطبيق قواعده لمعرفة سند البروتوكولات

إلى أبناء صهيون قد يؤدي - حتى الآن - إلى استبعادها لكن الأحداث تؤيد وترجح
صدق ما جاء فيها أي صدق نسبتها.
(٢) سرچى نيلوس - المرجع السابق ص ٢١٦، ٢١٧.
(٣) الزميل الكبير الدكتور جعفر إدريس في محاضرة قيمة له عن المادة - غير منشورة.

الكهرباء ولكن تدرك أثرها وهو النور وأنت لا تري الروح
ولكن تدرك أثرها وهو الحياة
ثم إذا تدرجت مع الماديين وساءلتهم من الذي أوجد المادة
فسيتدرجون معك. حتى يتدرج مثل " دارون " إلى الخلية الأولى.
وتقول له ومن الذي أوجد الخلية الأولى، سيسكت بعضهم وسيقول
آخرون المصادفة أو الطبيعة والساكتون أراحوا واستراحوا.
والقائلون بالمصادفة أو الطبيعة ندع فريقا آخر يرد عليهم.
* نقول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن
نتوقع أعداد معجم ضخمة نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة (١).
* لو جلس ستة من القروود على آلات كاتبة، وظلت تضرب حروفها
لملايين السنين فلا يستبعد أن نجد من بعض الأوراق التي كتبها قصيدة
من قصائد شكسبير، وكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة عمليات عمياء
ظلت تدور في المادة لبلايين السنين (٢).
* لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فإن معنى ذلك أن يتمتع بأوصاف
الخالق، وفي هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله وهكذا
نتتهي إلى التسليم بوجود الإله، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا
إلها غيبيا وماديا في آن واحد إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق
العالم المادي وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومدبره. بدلا
من أن أتبنى هذه الخزعبلات. (٣).
ويعقب القرآن على تلك القضية، ويصفها في تساؤل جميل:
* (أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟
أم خلقوا السماوات والأرض؟ بل لا يوقنون؟) (٤).
وفي مكان آخر تساؤل آخر:
(أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبأنا به حقائق
ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها. أإله مع الله؟ بل هم
قوم يعدلون.
(أمن جعل الأرض قرارا، وجعل خلالها أنهارا، وجعل لها رواسي،
وجعل بين البحرين حاجزا، أإله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون.
(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض.
أإله مع الله؟ قليلا ما تذكرون.

(١) البروفسور ايدوين كوبككين.

(٢) هكسلي.

(٣) جورج إيرل ديفس إقرأ تفصيلا وعرضا جميلا في كتاب الاسلام يتحدى - مدخل علمي
للإيمان تأليف وحيد الدين خان وتقديم ومراجعة عبد الصبور شاهين - الطبعة الثالثة
المختار الاسلامي ١٩٧٣ م.
(٤) سورة الطور ٣٥، ٣٦

(أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته. أإله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون.
(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض.
أإله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين) (١).

(١) سورة النمل ٦٣، ٦٤

الباب الأول
الاتجاه الغربي
الفصل الأول
مراحل الغزو الفكري الغربي
الفصل الثاني
التغيير السياسي والاجتماعي
في المنطقة الاسلامية
الفصل الثالث
ماذا يفعل بنا الصليبيون

الفصل الأول مراحل الغزو الفكري الغربي مقدمة

وجود الغرب المسيحي هنا في شرقنا الاسلامي لم يكن صدفة بدأ بالوجود المادي العسكري وتبعه الاستشراق والتبشير (الوجود المعنوي) وأعقبه مرة أخرى الوجود العسكري (الاستعمار وتقطيع أوصال دولة الخلافة الاسلامية) ثم أعقبه بث فكرة فصل الدين عن الدولة، وفكرة القومية، ثم الاجهاز على الخلافة الاسلامية، وأخيرا حين رحلت جنوده أبقى له جنودا آخرين من جلدتنا ويتحدثون بلساننا وبهم أجرى التغيير السياسي المطلوب، وأجرى التغيير الاجتماعي المقصود.

ولنحاول أن نقسمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها في مبحث أول.
المرحلة الثانية:

مرحلة الاجهاز على الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها في مبحث ثان.
المرحلة الثالثة:

مرحلة ما بعد إسقاط دولة الخلافة ونتحدث عنها في مبحث ثالث.

المبحث الأول

مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الإسلامية
وتبدأ بالحروب الصليبية ثم الاستشراق، ثم التبشير.
أولاً: الحروب الصليبية:

لسنا تكتب تاريخاً ولكننا نستخلص عبراً من الحقائق التاريخية المسلم بها فمن هذه الحقائق أن الغرب جرد حملات غزت الشرق الإسلامي باسم الصليب وتحت رايته، وكان رجال الكنيسة في أوروبا يدفعون الملوك والشعوب إلى هذه الحروب (١) فاتخذت بذلك طابعاً دينياً شكلاً وموضوعاً، وكان تفرق المسلمين إلى دويلات وضعف دولتهم مشجعاً على ذلك الغزو وليس صحيحاً ما يحاول بعض الكتاب العرب تصويره من أنها كانت مجرد حملات استعمارية

(١) أول من دعا إلى الحروب الصليبية - كما يقول صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامي هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢ م ولكنه لم يوفق، ثم البابا خريغوريوس سنة ١٠٧٥ م لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧ م - وكان كتاب النصارى ومفكروهم يحرضون عليها كذلك نذكر منهم: هلتون ساتيتو، ومارينو، بين دييوا، جيلوم دى نوجارى، ريموند لول بتراك.

وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف ألب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية راجع حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثرروب ستودارد - نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان - دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ص ٢١٨. وقد كتب كارلس الثامن إلى رئيس فرسان رودس يكشفه بما نواه من نشر الديانة المقدسة الكاثوليكية وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخنوع للأمية الجاحدة واسترداد الأراضي المقدسة المغصوبة فأجابه رئيس الفرسان متيماً مؤملاً هذه المرة استئصال شأفة الأمة الملعونة أمة محمد ص ٥٩ من كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا - تأليف المسيو دجوقارا (الأمانى المرجع السابق) ص ٢٢٨.

ويشير المؤرخون إلى أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩ م الموافق ٣ رمضان ٤٩٣ هـ ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل إلى صدورهم في الدماء وفي أنطاكية قتلوا في الطريق أكثر من مائة ألف مسلم.
راجع - حاضر العالم الإسلامي. وراجع كذلك جوستاف لوبون في كتابه: حضارة العرب

باحثة عن المصالح الاقتصادية نعم قد يكون الاستعمار والاستغلال الاقتصادي من أهدافها، لكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول الرئيسي، إنما كان هذا هدفا دينيا ولم تكن حماسة رجال الدين المسيحي ولا مشاركتهم في هذه الحملات عفوا ولا لغوا، ولكنه كان قصدا إلى الانتقام من غزو الاسلام لقلب أوروبا، حتى صار البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية خالصة، وحتى بلغ المسلمون جنوب فرنسا ثم قصدا بعد الانتقام إلى إدخال المسلمين في المسيحية ذاتها، وهو ما ستفسره المرحلة التالية لهذه الحروب والأمران يفسرهما قول الله سبحانه وتعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم (١)) وقوله: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا (٢)) وقد يكون صحيحا ما أشار إليه كاتب أمريكي (٣)، من أن اليهود كانوا وراء الحروب الصليبية قصدا إلى إضعاف العالمين المسيحي والاسلامي كما أشار، ثم تحقيقا لمزيد من الكسب والربا أثناء تلك الحروب لكن لو يحركهم اليهود لتحركوا كذلك فإن ما بدا منهم في تلك الحروب ينم عن حقد دفين، وما تخفي صدورهم أكبر. العصمة في الاسلام للأمة لا للإمام: ولئن كانت الدولة الاسلامية في ذلك الحين مفككة الأوصال فلقد جعل الله من معجزات دينه بعد القرآن هذه الأمة فلقد حولها القرآن بحق خير أمة أخرجت للناس، حتى صار ما قيل من أن العصمة في الاسلام للأمة لا للإمام أخذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تجتمع أمتي على ضلالة "، ثم استمدادا من أحداث التاريخ التي ظلت معها الأمة الاسلامية صامدة شامخة برغم ما وجه إلى صدرها وقلبها من سهام وحراب!.

انتفضت الأمة لما رأت الصليب فوق رؤوس أعدائها انتفضت تحارب أعداء الله وأعداءها بكل سبيل، واسترخصت الدم والروح في سبيل الله وتعجلت لقاء الله وجنته فأعطاه الله الحسين النصر والجنة وارتدت حملات الصليب على أعقابها خاسرة بعد

(١) البقرة ١٢٠

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) الكاتب الأمريكي وليام فاي كار

معارك طاحنة استمرت قرنين كاملين وفي قصص التاريخ لبطولات المسلمين في هذه الحروب وتفننهم فيها ما يحتاج إلى أن يكتب بأحرف من نور.

وبرز نور الدين الشهيد محمود بن زنكى التركي ثم برز صلاح الدين الأيوبي الكردي وغيرهما ممن قادوا جماهير الأمة إلى النصر لتثبت عالمية هذه الدعوة فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وجاهد جماهير من التركستان الحبيبة (التي ترزح تحت الإلحاد الشيعوي المجرم) وحرروا أرض الاسلام من جحافل الصليبية الحاقدة بينما لم، يجد هؤلاء من يقف إلى جوارهم يوم أعدمت روسيا منهم ثلاثة ملايين!

وأيقن الغرب المسيحي أنه مهما ضعفت دولة الاسلام فإنه لن يستطيع النيل منها ومن أمتها حتى ينال أولا عقيدتها وفكرها وكانت المرحلة الثانية - مرحلة الاستشراق والتبشير. ثانيا: الاستشراق:

وقبل أن يظهر التبشير كبديل عن الحروب لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم نشير إلى أن الحروب الصليبية أنتجت كذلك إنتاجا فكريا (هو الاستشراق) إذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبي إلى الكتابة عن الاسلام فأفقدتهم التعصب أمانة العلم، وعمدوا إلى تشويه الاسلام من عدة نواح:

- فرددوا أن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام، وأن سذاجة الصحابة وإيمانهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله. - وخلطوا في مصادر الأحكام الاسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة!

- ودعوا إلى التصوف الاسلامي لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم (راجع الصوفية في الاسلام للمستشرق نيلكسون ص ٧، ٨). (*)

وقد بدأ الاستشراق في الأندلس (أسبانيا) في القرن السابع الهجري، حين اشتدت حملة الصليبيين الأسيان على المسلمين فدعا (الفونس) ملك قشتالة مشيل سكوت ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم، فجمع سكوت طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة ثم قدمها سكوت لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها وبعث بها هدية إلى جامعة باريس.

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير في الترجمة، ومع الزمن توسع الأوروبيون بالنقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم من إلهيات وطب وهندسة وفلك وغيرها، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوروبا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوروبية. ولم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين بل كانت مهمة كل من الطائفتين تدخل في الأخرى.

وكان فشل الصليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق الاسلامي دافعا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الاسلامية، وقد ظهرت أخيرا وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع (لويس) في أسر المصريين في مدينة (المنصورة)، وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الاسلام وصون الحرمات والأعراض به والمسلمون قادرون دوما للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة. وأنه لا بد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الاسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري. بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الاسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به (الفكر) الاسلامي، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد. وقد سار الأوروبيون في طريق تنفيذ وصية القديس لويس في

تزييف العقيدة الاسلامية وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة، وتصوير الاسلام بصورة الدين الذي يبذل غاية همه في العبادة كالمسيحية، إلى أن وصلوا إلى الفصل بين الدين والدولة، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن في أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم (١).

ويرى كثير من الباحثين أن الاستشراق تولد من الاستعمار والتبشير.

فالاستعمار: يرى في المفهوم الاسلامي السليم ما يعطي المجتمع الاسلامي قوة تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار، فعمل المستشرقون على تفويض العقيدة الاسلامية، وإحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوقة محلها، تحت اسم: الحضارة، أو العالمية، أو وحدة الثقافة والفكر البشري.

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره، وعدم منافسته المسيحية في البلاد التي تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها.

والخطر الأكبر في نظر المبشرين هو في وصول مفاهيم الاسلام الصحيحة إلى عالم الغرب نفسه، ومما يذكر أن المسلمين لما فتحوا مدينة القسطنطينية - عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، وفيها مركز البابوية للكنائس الشرقية - هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم، فأخذوا في الافتراء والتشنيع على الاسلام وتشويه أحكامه الإلهية العادلة، وكان الدافع لهم في هذه الحملة الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول في دين الله أفواجا، ليصدوهم عن الاسلام الذي يبيح تعدد الزوجات والطلاق.

وجاءت الصهيونية فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين في وحدة تقاوم اليهودية العالمية، وتواجه دولة اليهود الباغية (إسرائيل)، والمستشرقون اليهود يعملون في هذا المجال.

(١) (الاسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير) للأستاذ أنور الجندي ص ٧، ٨.

تطور الاستشراق

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) عمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهرُوا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية، والإتجاه به وجهة البحث العلمي البحت فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبرج وغيرها، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمون هذه الكليات الأوروبية للدراسة فيها، وبذلك تأثر الفكر الإسلامي بما يليقه المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين ثم تسلسل المستشرقون إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية، بل إلى المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد، وقامت المؤسسات الدينية والسياسية على المستشرقين، وتقديم المنح والمعونات لهم.

وقد أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التي خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهرياً، وكان هدفها الحقيقي خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتية، من هذه المؤسسات في مصر: المعهد الشرقي بدير الدومينيكان، والمعهد الفرنسي، وندوة الكتاب، ودار السلام، والجامعة الأمريكية، وفي لبنان: جامعة القديس يوسف (وهي جامعة بابويه كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية) والجامعة الأمريكية ببيروت، (وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الإنجيلية وهي بروتستنتية)، في سورية: مدارس اللايك، والفريد، ودار السلام، وغيرها وهكذا في كل الأقطار الإسلامية

أهداف المستشرقين

أولاً: الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، فقد عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم نظام حياة، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التي قام لأجلها

الاستشراق والتبشير وذلك في أعقاب الحروب الصليبية وعودة المحاربين إلى أوروبا، يحملون صورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وسماحة الاسلام، وقد عمد رجال الكنيسة إلى إخراس الألسنة المنصفة، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه وانتقاصها. وقد استغل الاستشراق كراهية الأوروبيين للاسلام بعد التوسع العثماني في أوروبا وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس الأوروبيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الاسلام عن أوروبا والحيولة دون نفاذه إليها. ثانيا: تأييد الغزو الإستعماري لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الاسلامية، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين إلى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الاسلامية، وعزل الشريعة الاسلامية عن التطبيق في المجتمع الاسلامي وإحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الاسلام بالقوة.

ثالثا: فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة، بتشويه تلك الأصول، وعزلها عن مصادرها، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين، ومن شأن هذا أن يفتح الباب إلى الاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي طريقا إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباع (١). والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الاسلام ونبيه صلى الله عليه و (آله) بأنواع شتى من الشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلي. تلاميذ المستشرقين

وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الاسلامي،

(١) الاسلام في وجه التغريب ص ٣٧٠، ٣٧١.

ولقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الاسلام، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها، وترسيخها في الأذهان، وتوسيع دائرة الانتفاع بها.

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الاعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم وكثيرا ما يقول: إن هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين أن فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق وهذا هو أسلوب لا يقوم عليه إلا واحد من أهل التبعية، حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشراقا من أصل عربي وقد كانت أمانته للفكر العربي ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعا لهم، مقتنعا بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم ببشرية الرسول، وبشرية القرآن، وكانت كتاباته توحى بذلك وإن لم يعلنه جهارا، بعد أن صودر كتابه " في الشعر الجاهلي " .

وأعجب ما في طه حسين ولاؤه الشديد لانطواء المسلمين تحت لواء الغرب، وانصهار الاسلام في بوتقة الأممية، والمسيحية واليهودية والغرب جميعا فهو لا يرى للعرب وللمسلمين سبيلا للنهضة إلا في هذا الانصهار وهذا الاحتواء والذوبان، وقد صرح بذلك في كتبه وخاصة ما أورده في كتاب " مستقبل الثقافة في مصر " . فهو يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس.

ويظهر اتجاه طه حسين في حرصه على نشر الكتب التي تثير الشبهات وفي مقدمتها " رسائل إخوان الصفا " ، وتجديد طبع " ألف ليلة وليلة " ، وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء في كتابه " حديث الأربعاء " وهو ثلاثة مجلدات وقد خرج من دراستهم بشبهة مسمومة هي قوله: (إن القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون " ، وقد اعتمد في بحثه على مصادر أساتذته من المستشرقين اليهود، وعلى " أنساب الأشراف " الذي طبع في الجامعة العبرية في القدس - التي تحتلها إسرائيل - وجارى مستشركي اليهود في إنكار شخصية عبد الله بن سبأ " ابن السوداء " ، في الشك بوجود

إبراهيم وإسماعيل وأعلن أنه يشك في وجودهما بالرغم من الإشارة إليهما في التوراة والقرآن (١).

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، وحسين فوزي، وزكي نجيب محمود، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرزاق وغيرهم. وقد لفت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين فنهجوا نهجهم وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات، وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحملوا نفس الروح التي يحملها أساتذتهم في خصومة الاسلام، وكانوا أشد قسوة على أهلهم من الغربيين (٢)

آثار الاستشراق

١ - كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولا في المجتمع الاسلامي في العصر الحديث، فقد كان المستشرقون يلغون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب و (المفكرون) الذين يكتبون باللغة العربية أهل التبعية والتغريب والشعوبية وهذا واضح في الدعوة إلى العامية التي بدأها ولكوكس وويلمور وغيرهما ثم تابعتها سلامة موسى وأحمد لطفي السيد، في الدعوة إلى الاقليميات والقوميات الضيقة كالفينيقية والفرعونية، بدأها فمبيري وكرومر وتابعتها طه حسين ولطفي السيد وغيرهما.

٢ - يعمل المستشرقون على إخضاع النصوص التي يفرسونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص، وكثيرا ما يحرفون النص تحريفا مقصودا، ويقعون في سوء الفهم - وعن عمد أحيانا - في معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف.

٣ - يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، ومن كتب

(١) الاسلام في وجه التغريب ص ٣٦٣، وقد كان هذا الانكار وأمور أخرى سببا في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه " في الشعر الجاهلي " ولكن نفوذ الاحتلال الإنجليزي سرعان ما أعاده إلى الجامعة ومضى به صعودا لأعلى المناصب.
(٢) المرجع السابق ص ٣٦٣.

التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتابه (الحيوان) ويكذبون ما يرويه الإمام مالك في (الموطأ) ٤ - يجمع المستشرقون الشبهات المختلفة ويؤلفون بينها لإعطائها صورة كاملة، مثال ما قام به المستشرق الألماني ولهلم هور نباخ (الأستاذ في جامعة بون بألمانيا) من جمع قطع ومنتف وشذرات من كتاب (الإصابة) للحافظ ابن حجر، ثم ينشرها على أنها كتاب (الردة) لابن حجر الذي ألفه أبو زيد ابن الفرات المتوفي عام ٢٣٧ هـ وهو فارسي الأصل، وقد ضاع هذا الكتاب فأشار ابن حجر إليه في بعض المواضع، فما كان من المستشرق ولهلم إلا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الاسلام، ولا يقوم بمثل هذا العمل إلا مغرض صاحب هوى، لأنه يخالف البحث العلمي السليم.

وشبيه هذا ما أورده المستشرقون من الزعم بأن العرب كانوا قبل البعثة النبوية على حضارة ونهضة، وأن دور النبي صلى الله عليه و (آله) وسلم لم يزد على أنه نهض بهم فنهضوا مع أن الحقيقة الواضحة أن العرب في جاهليتهم كانوا قبائل متفرقة متصارعة، وأن الاسلام هو الذي وحدهم في أمة واحدة، ودفعهم إلى آفاق النهوض والتوسع: (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (١))، (واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (٣)).

٥ - وقد حرص المستشرقون على التنويه بشأن " القرامطة " وإظهارهم بمظهر طلاب العدل والاصلاح، وهم الذين عجزوا عن أن يحققوا أي منهج يمكن أن يوصفوا به على أنهم دعاة حق حين امتلكوا زمام الحكم في القرن الرابع الهجري، بل انكشف باطلهم وزيفهم، وظهرت حقيقتهم صنائع لليهود انقضوا على الدولة الاسلامية بالتآمر والتعاون مع أعداء المسلمين وخصومهم.

٦ - وعمل المستشرقون على إحياء التراث الباطني المجوسي

(١) الأنفال ٦٣.

(٢) آل عمران ١٠٣.

والغنوصي القديم مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الاسلامي، ويبدو هذا واضحا في تركيزهم على إحياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم، وخاصة ما يتصل بالإلحاد والإباحية، وما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، والمجون أمثال شعر بشار بن برد، وأبي نواس، وكتب الحلاج وابن عربي، وابن سبعين، وكتب غلاة الرافضة والإسماعيلية والفاطميين.

٧ - ولا ريب أن أخطر آثار المستشرقين هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين إلى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا، الذين يقعون دائما تحت سيطرة الاستشراق والأساتذة اليهود والنصارى المتعصبين، ثم يعودون إلى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي ويرفضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث. وقد عملوا على نشر الموسوعات (دوائر المعارف) والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين، وملؤها بالسموم والشبهات مثل: دائرة المعارف الاسلامية.

المنجد في اللغة والعلوم والأدب.
الموسوعة العربية الميسرة.

لهذا ينبغي على من يود الرجوع إلى هذه المصادر أن يكون على حذر تام، وأن يتنبه لما بين سطورها من مغالطات أو تشويه أو تحريف في النقل، على أن روح مؤلفيها في الحقد على الاسلام لا تخفى على المطالع الحصيف.

- نماذج من أبحاث المستشرقين
- ١ - يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر (وهما مستشرقان يهوديان) في الغرض من شأن الشريعة الإسلامية، ويحاول الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية، وهو ادعاء باطل تصدى له كثير من الباحثين.
- ومن أكاذيب شخت وأضاليله: الادعاء بأن للفكر الإغريقي فضلا على الفكر الإسلامي، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل (سيديو، درابر، وسارطون) وغيرهم أن الإسلام هو الذي أدخل إلى الغرب المنهج العلمي التجريبي، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنهج الذي هو أساس الحضارة الإسلامية.
- ٢ - أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيمالية اللاتينية التي تحمل اسم جابر بن حيان هي كتب عربية الأصل كتبها عالم مسلم، لمجرد أن أصولها العربية فقدت، وقد تصدى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأه، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز، وقال سارطون: إن أي شخص يعرف العربية لا يخطئ مطلقا في اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية، إذ تبدو الأساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية، سواء كانت لجابر أو لغيره.
- ٣ - ويزعم سدرسكي أن جانبا مما ورد في القرآن أو التفاسير والسير من الأخبار يرجع إلى الإجابة اليهودية والتوراة والأنجيل وقد بين الدكتور بشر فارس فساد هذا الرأي وقال: إن بين النصوص الإسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات، وإن اتفق بعضها أو تقارب
- ٤ - وحاول نلينو أن ينفي حقيقة أن قريشا كانت أفصح العرب وله في ذلك مغالطات واسعة ترمي إلى التشكيك في هذه الحقيقة، ويقول: إن تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول.
- ٥ - وزعم لويس شيخو اليسوعي أن معظم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام كانوا نصارى، وأن الغسانيين كانوا نصارى، وهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب في عهد الجاهلية، لأن من الغساسنة من كان على الوثنية ومنهم من دان باليهودية، وطائفة كانت

تدين بالنصرانية، وممن عددهم نصارى من الشعراء: الأحنس بن شهاب وامرؤ القيس، وأمّية بن أبي الصلت والسموأل. وهكذا جرت بحوث المستشرقين وراء بث الشبهات حول القرآن الكريم ولغته والحديث الشريف والتشريع الاسلامي ولا يتسع المقام للتوسع في ضرب الأمثال (١).

المستشرقون المعتدلون

لا نكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف، على تفاوت فيما بينهم، فمنهم من أخطأ وأصاب ومنهم من انتهى به البحث الحر النزيه إلى الإيمان والاسلام، ويعتبر من الفريق الأول: (رينان) الذي انتهى به بحثه عن المسيح عليه السلام إلى إثبات أنه لم يكن إلها ولا ابن إله، وإنما هو انسان يمتاز بالخلق السامي والروح الكريمة، وأن السير العربية للنبي محمد صلى الله عليه و (آله) وسلم كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى. ومنهم (كارلايل) الذي عد محمدا صلى الله عليه و (آله) وسلم في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه (الأبطال) يقول فيه:

" من العار أن يصغى أي انسان متدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: أن دين الاسلام كذب، وأن محمدا لم يكن على حق، فالرسالة التي دعا إليها كثيرة من الناس، وما الرسالة التي أداها محمد صلى الله عليه و (آله) وسلم إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول، وما هو إلا شبهات أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومنهم (تولستوى) أكبر كتاب روسيا، فإنه لما رأى الحملة الظالمة على الاسلام ورسوله كتب رأيه معربا عن الاعجاب بالاسلام، وتحدث عن المسيحية، فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح، وخلص إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها، والكنيسة. زادت تعاليم المسيح في العقيدة غموضا ويقول: إن المسيحيين

(١) راجع: (دفاع عن العقيدة والشريعة) للشيخ محمد الغزالي، (الاسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير) للأستاذ أنور الجندي.

واليهود والمسلمين يعتقد جميعهم بالوحي الإلهي، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء، وأنه أوضح في القرآن تعاليم موسى وعيسى كما قالها دون زيادة ولا نقص وينتهي بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم حديث الإكبار والتعظيم، وكان مما قاله تولستوى: " لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء، وتقديم الضحايا، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أولي قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال "، وقد كان جزاؤه على كلمة الحق التي قالها أن حرمه البابا من الرحمة (١).

ومن المستشرقين الذين انتهى بهم البحث عن الحق إلى الاسلام اللورد هيدلي، واتيبن دينيه (ناصر الدين) والشاعر الألماني الكبير جوتيه، والدكتور جرينيه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: " إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغري، وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنني تيقنت أن محمدا صلى الله عليه و (آله) وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا، لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض " (٢). وصدق الله العظيم " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٣) " .

(١) (التبشير والاستشراق: أحقاد وحمالات) للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي

ص ٥٩ - ٦٢

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ و (أوروبا والاسلام) للدكتور عبد الحليم محمود.

(٣) فصلت ٥٣.

ثالثا: التبشير:

أيقن أعداء الاسلام أنه لا سبيل إليه، وعقيدته حية في قلوب المسلمين فكان بداية التبشير مع نهاية الحروب الصليبية فشلا في مهمتها وهو ما صرح به " ملخص تاريخ التبشير (١) " ويقول القسيس المبشر زويمر أن جزيرة العرب التي هي مهد الاسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية (٢) ويكمل وليم جيفورد بالكراف المعنى فيقول متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه (٣).

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة أظهرها لنا: (أ) المدارس المختلفة التي فتحت في أرجاء العالم الاسلامي، ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة الاسلامية نفسها (٤) وباشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البريئة والشبيبة الغضة من أبناء المسلمين وكانت لها نتائج إيجابية محدودة لكنها إن لم تمنح في

(١) كتاب ملخص التبشير لادوين بلس، أشار إليه ا. ل. شاتليه.

نقلها إلى العربية محب الدين الخطيب وساعد اليافي تحت عنوان: الغارة على العالم الاسلامي

(٢) قالها زويمر في مؤتمر لكنو بالهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١) وكان هو رئيس المؤتمر لما له في التبشير من سجل حافل - المرجع السابق ص ١٠٢

(٣) قالها وليم جيفورد في مؤتمر القاهرة للتبشير المنعقد سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦، في منزل أحمد عرابي الذي صادره الإنجليز بعد ثورته.

(٤) في مؤتمر لكنو للتبشير الذي تقدمت الإشارة إليه قدم القسيس ترد بريدج تقريرا عن نشاط التبشير وخص فيه دولة الخلافة العثمانية بنصيب أوفر فقال:

عن الأعمال المدرسية أن في استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية الإنجليزية في بيروت (الجامعة الأمريكية، وكانت تسمى الكلية السورية الإنجيلية) ١٠٤ من المسلمين، وفي كلية الآستانة (واحسرتها) ٥٠ وفي كلية المبشرين في كدك باشا في الآستانة أيضا ٨٠، ومنذ بضع سنين صدر إذن خفي!! بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية.

وعن التأليف قال:

كان طبع كتب التبشير مباحا في تركيا منذ مدة طويلة (!!) ثم أشار إلى صعوبات التوزيع

وعن الأعمال الطبية والخيرية قال: إنها منتشرة جدا في البلاد العثمانية.

وعن الأعمال النسائية قال: إن الحكومة سمحت (٠) عقب إعلان القانون الأساسي لخمس فتيات مسلمات أن يتعلمن في كلية البنات الأمريكية ليتهيأن لإدارة الأمور في مدارس الحكومة للبنات كما أن عددا قليلا من الفتيات المسلمات يتردد على مدارس إرساليات التبشير



(۳۰)

المجموع عقائد التلاميذ فيكفي أنها بذرت فيها بذور الشك أو الانحراف (١) ولا تزال من آثار تلك المدارس الجامعة الأمريكية في مصر، والجامعة الأمريكية في بيروت الأمر الذي لا ينكره رجال الغرب أنفسهم. ويلحق بهذه الوسيلة تغريب التعليم أو علمانيته وهو ما فعلته إنجلترا في مصر والهند وما سوف تعرض له بمشيئة الله عند الكلام عن وسائل التبشير الحديثة.

(ب) ومن أخطر وسائل البعثات إلى الدول المسيحية الغربية وأول مثل لأثر البعثات ما حدث لرفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس من سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) إلى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) فقد عاد ذلك الشيخ بغير العقل الذي ذهب به - اختلت موازين الشيخ فعاد يتحدث عن الرقص الذي رآه في باريس بأنه نوع من العياقة والشلبنة (أي نوع من الأناقة والفتوة) لا الفسق الرقص وتلاصق الأجساد ليس فسقا ورسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم يقول: " لكل بني آدم حظ من الزنا: فالعينان تزنيان، وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان، وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (٢) " صدق رسول الله عليه و (آله) الصلاة والسلام وكذب الشيخ الطهطاوي. - وتحدث عن المشاعر الوطنية ليحلها محل المشاعر الدينية وراح يثير الجاهلية القديمة فيتحدث عن مصر الفرعونية وينسى مصر الاسلامية وأعجب الطهطاوي بالحرية لكنه لم يفهمها الفهم الاسلامي الذي تتحقق به عبودية المسلم لله وحده، ويتحقق تحرره من كل عبودية لسوى الله لكنه فهمها الفهم الغربي الذي قد يؤدي إلى التحرر من الأخلاق ومن الدين نفسه!

(١) في نفس المؤتمر قال استررد كروفورد - أن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من الدنية النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها عن غير قصد منها ثم ختم تقريره بقوله لقد أزف الوقت لارتقاء العالم الاسلامي وسيدخل الاسلام في شكل جديد من الحياة والعقيدة ولكن هذا الاسلام الجديد سينزوي ويتلاشى بالنصرانية (ص ٧٢، ٧٣ من المرجع السابق).

(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٤٣ وسنده صحيح وله روايات أخرى كثيرة بألفاظ مختلفة والمعنى واحد.

(३१)

وقس على الشيخ رفاعة (١) من ذهبوا بعده.
(ج) ثم تأتي سائر وسائل التبشير فتح المستشفيات وبعث
الإرساليات الطبية التي يقرر كثير من المبشرين في مؤتمراتهم
وكتاباتهم أنها أدت إلى نتائج أسرع وأفضل من عمل القسس
التبشيرية (٢).

(د) ثم المحاضرات والندوات والكتب والمجلات والصحف
والنشرات الخ.

مؤتمرات التبشير:

أما مؤتمر التبشير فقد تعددت نذكر منها:

- ١ - مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) المنعقد في منزل
زعيم الثورة العراقية المسلم في باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها!
 - ٢ - مؤتمر ادنبرج سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) في إنجلترا.
 - ٣ - مؤتمر لكنؤ سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) بالهند.
 - ٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م).
 - ٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م).
- مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م).
وما بلغنا عنها إلا القليل: وأشهره ما نشرته مجلة: (العالم
الاسلامي).

(١) راجع تحليلاً رائعاً للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين (أستاذ الأدب الحديث بجامعة
الإسكندرية) في كتابه الاسلام والحضارة الغربية نشر دار الفتح ط ٢ ٣٩٣ هـ. والكتيب
عبارة عن محاضرتين ألقاهما بالكويت سنة ١٣٨٥ وهو يتناول أثر التغريب وله في نفس الخط
مؤلف آخر تحت عنوان " حصوننا مهددة من الداخل " - مجموعة مقالات نشرها في مجلة
الأزهر

(٢) يقول الطبيب بول هاريسون في كتابه (الطبيب في بلاد العرب) لقد وجدنا نحن في بلاد
العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى - إبراهيم خليل أحمد - المستشرقون والمبشرون في
العالم العربي والاسلامي من مكتبة الوعي العربي بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ويذكر الأستاذ أبو الحسن
الندوي في كتابه الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية أن الأفغانيين حين خلعوا
ملكهم أمان الله خان لأنه سمح لزوجته أن تخرج سافرة قبلوا بعد ذلك أن يلغوا الحجاب
وتم ذلك عن طريق القابلات ودور الولادة الطبية التي أنشأها المبشرون.

ولا نعتقد أن ما نشر هو كل ما قيل وحدث
ومع ذلك فإننا نشير إلى نماذج من المؤتمرات الأول والثالث تبعاً
لما بلغنا عنهما.

في مؤتمر القاهرة - المنعقد في بيت الزعيم المصري المسلم أحمد عرابي:
تناول المؤتمر وسائل تبشير المسلمين بالنصرانية في كتاب خاص كتب
عليه نشرة خاصة ليكون قاصراً على فئة من المبشرين - وهو من إعداد
القسيس الأمريكي فليمنج.

ثم تعرض المؤتمر للأزهر: فنعي أن باب التعليم مفتوح للجميع،
خصوصاً وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً (١).
وطالب سكرتير المؤتمر في مواجهة ذلك بإنشاء معهد مسيحي
لتنصير الممالك الإسلامية (٢) (قيل أن أساس تكوين الجامعة الأمريكية في
مصر كان تنفيذاً لتلك الوصية).

ثم عرض المؤتمر لخريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر.
وقدم القسيس زويمر "رئيس المؤتمر" بمعاونة بعض زملائه
كتاباً تحت عنوان العالم الإسلامي اليوم أشار إلى صلابة عقيدة
المسلمين (وهو ما يقتضي الاشتداد في حربها) وقال ما نصه "لم يسبق
وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي
آسيا وأفريقيا وبث في مائتي مليون من البشر عقائده
وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية".
ثم قدم القسيس زويمر بعض النصائح من بينها:
(أ) وجوب إقناع المسلمين أن النصرانية ليسوا أعداءهم.
(ب) وأخطرها يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم

(١) صادرتها الحكومة الثورية في مصر في عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر.
(٢) جاء في مجلة المجتمع جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هـ أن البابا شنودة قد اتفق مع
الرئيس الأمريكي كارتر على إنشاء جامعة نصرانية في مصر وأن الرئيس كارتر في اجتماعه مع
الرئيس السادات طلب منه ذلك فوافق الأخير بشرط أن يكون تمويل الجامعة من الخارج

ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.
وأخيرا بشر المبشرين ألا يقنطوا إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في
قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين وإلى تحرير النساء (١).
وفي مؤتمر لكنؤ في الهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م):
* النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف
بينها وبين تنصير المسلمين.

* الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات (يلاحظ اختيار
الألفاظ المهذبة لتغطية المعنى المقصود فإن المبشرين المسيحيين
لا يهتمهم في شئ ارتقاء النساء المسلمات).

وكان أخطرها حديث حديث زويمر أشار إلى أن عبد الحميد
(خليفة المسلمين) سجين في سلانيك أشار إلى أنه لم يبق غير
٨٠٠ , ١٢٨ , ٢٧ مسلما تحت سلطة الحكومات الاسلامية وانتقلت
السلطة على الباقيين من الخلافة الاسلامية إلى أيدي كل من إنجلترا
وفرنسا وروسيا وهولندا. أشار إلى أن عدد المسلمين الذي تحت سلطة
الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول؟؟
وكان من بين قرارات المؤتمر: " من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة
بالتبشير "

" دخول النساء في أعمال التبشير لتنصير النساء المسلمات
وأولادهن (٢).

وهم الآن يدعون المسلمين إلى المسيحية بل يحاولون تشويه
الاسلام وإضعاف قيمه (٣).

(١) الغارة على العالم الاسلامي - المرجع السابق ص ٢٤ وص ٣٢.
(٢) ص ٦١ - ٨٣ من المرجع السابق: الغارة على العالم الاسلامي.
(٣) في مؤتمر القدس قال زويمر كلاما خطيرا إذ رسم خط التبشير بعد ذلك: ولكن مهمة
التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين
في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريما (!) وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من
الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وفي نهاية كلمته قال: إنكم أعددتهم نشئا في ديار
المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه
في المسيحية وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم
بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه من دنياه إلا في الشهوات

رابعاً: تقطيع أوصال دولة الخلافة:
برغم كل ما أحدثه التبشير من تخريب لم يتخل الغرب المسيحي
عن العنف تأييداً لهذا التخريب العقلي والقلبي بالسند العسكري
والسياسي، وإسهاماً بهذه الوسيلة في تحقيق نفس الغاية.
واتفقت الدولتان العظيمتان في ذلك الحين على تقطيع أوصال دولة
الخلافة وتوزيع الأسلاب بينها
ففي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)
تم استيلاء إنجلترا على الهند وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية
إلى التاج البريطاني، وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى
التي قامت في مستهل القرن السادس عشر (دولة المغول في الهند أو الدولة
التيمورية نسبة إلى تيمورلنك).
وفي نفس السنة كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء
الاسلام الغربية التي بدأت باحتلال الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م).
وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع إنجلترا لدرة من دور الخلافة
كان احتلال مصر المسلمة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م).
ثم كان اقتطاع سورية ولبنان واحتلال فرنسا لهما بعد الحرب
العالمية الأولى سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ومع بوارج القتال كانت
بارجة تحمل " مومسات " ولما سئل القائد في دهشة أجاب إجابة العالم
بيواطن الأمور: أن تلك البوارج قد يزول أثرها أما هذه البارجة فإن
أثرها لن يزول.
وقبل ذلك. كانت جيوش إيطاليا تخترق البحر تجاه
أراضي ليبيا ترفع نشيداً فاشستياً مجرماً يندد بالقرآن ويهزأ بالاسلام
ويتوعد أمته بالسحق والفناء وفيه: يا أمه! أتمي صلاتك ولا تبكي
بل اضحكي وتأملي ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا أذهب إلى
طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة ولأحارب
الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبقار للسلطان سأقاتل بكل

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - الدكتور محمد البهي.

قوتي لأمحو القرآن (١).
وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من كيف يوقف الغرب زحف
دولة الاسلام إلى داخله إلى كيف يقطع الغرب أوصال دولة الخلافة
الاسلامية يوزعها فيما بينه ثم يجهز على الرجل المريض.
ويأتي بعد ذلك واستكمالاً للمخطط الأثيم.. القضاء على الخلافة
نفسها وقد نفذوا فيها توصية أحد مؤتمراتهم ألا يقطع الشجرة إلا أحد
أعضائها لكن القضاء على الخلافة سبقته بعض الخطوات أهمها
فصل الدين عن الدولة وهو موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل.

(١) وقد جاء ذلك النشيد في نداء لمجاهد طرابلسي وجهه إلى المسلمين نشرته مجلة الرابطة
الشرقية الثالثة - العدد الثاني ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٩ / ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م.

المبحث الثاني

مرحلة إسقاط الخلافة الإسلامية

لا بد أن تسقط الخلافة الإسلامية قبل أن تقوم " دولة " إسرائيل " .
ذلك ما تنبأ به نيلوس بعد أن اطلع على بروتوكولات حكماء صهيون
وذلك منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) (١) وذلك يؤكد طلب قرصو زعيم
اليهود في سالونيك إلى السلطان عبد الحميد إعطاء فلسطين لهم ليتخذوها
وطناً قومياً، فلما رفض الخليفة توعدده الزعيم اليهودي (٢) وكان من بين
من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود (٣).
ولا بد أن يقطع الشجرة أحد أعضائها كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات
التبشير. لكن قبل أن تقطع الشجرة التي أظلت بلاد الاسلام منذ عهد
النبوة وقبل أن يقضى على البطل الإسلامي السلطان عبد الحميد كان
ثمة تمهيد كان بث فكرة فصل الدين عن الدولة
أولاً - فصل الدين عن الدولة:

أشار الكاتب الأمريكي وليام غاي كار (٤) إلى أن فكرة فصل الدين
عن الدولة كانت من عمل اليهود، وبصرف النظر عما قاله وليام غاي كار
فإن من الواضح في الشرق الإسلامي أن الفكرة كانت غريبة عنه
ومن ثم فإن الأيدي الأجنبية كانت وراءها سواء كانت أيدي الصليبية
المتعصبة أو اليهودية الحاقدة ذلك أن فقهاء الإسلام ومن بعده فكرنا
الإسلامي لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها بل إنه على العكس

(١) الخطر اليهودي.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) د. علي جريشة في المشروعية الإسلامية العليا ص ٢٣١

(٤) في كتابه: أحجار على رقعة الشطرنج.

من ذلك يعرف أن قرآنه يحرم تجزئة الكتاب ويعتبر ذلك كفرا وفتنة وجاهلية.

ويعرف أن الوظيفة الأولى لهذا القرآن أن يحكم لا أن يوضع على الأرفف والمناضد أن تحشى به الجيوب والتمائم أو تتغنى به وتتسلى بعض العمائم.

" اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء (١) ".
" كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم (٢) ".

" ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها (٣) ".

" فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة (٤) ".
" وأن احكم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك (٥) ".

" أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٦) ".

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٧) ".

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٨) ".

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٩) ".

فالاسلام دين يحكم كل شئ

" ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ (١٠) ".

(١) سورة الأعراف الآية ٣

(٢) سورة إبراهيم الآية ١

(٣) الجاثية ١٨ .

(٤) المائدة ٤٨

(٥) المائدة ٤٩

(٦) المائدة ٥٠

(٧) المائدة ٤٤

(٨) المائدة ٤٥

(٩) المائدة ٤٧

(١٠) النحل ٨٩

والدولة فيه قسم لا قسيم
فكما ينظم شؤون الفرد وينظم شؤون الأسرة ينظم شؤون الدولة
وينظم شؤون المجتمع الدولي " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١). "

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا (٢). "

ذلك فقه الاسلام

وفكرة الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم.

تاريخ الاسلام لم يعرف هذه التفرقة:

وليس في أحداثه ما يبررها

فلئن عرفها الغرب كرد فعل لاضطهاد الكنيسة لهم والعلماء
وافئذاتها على عقائد الناس وعقولهم حتى سولت لنفسها أن تصدر
صكوك الغفران وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم إذا كان ذلك فإن
شرقنا الاسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء بل حفظ لهم
الاسلام وحفظت لهم أمته أكرم مكانة وأعز دولة وكيف لا؟
وهم ورثة محمد صلى الله عليه و (آله) وسلم على دينه وشرعه وميراثه؟
ومن ثم فلم يكن هناك محل لا من الناحية الفكرية ولا من
الناحية التاريخية لبث فكرة فصل الدين عن الدولة.

لكن الأمر كان يدبر بليل

واعتنق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويحها.
ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل عبد الحميد ذلك الخليفة الذي
رفض أن يعطي فلسطين وطنا قوميا لليهود وبصق في وجه زعيمهم قرصو.
وصارت الحكومة المدنية في أنقرة هي التي تحكم والخليفة
في الآستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة
ثانيا - نشر القومية في مواجهة الخلافة:

كانت اليد الخفية التي تعمل على تقويض الخلافة بيت فكرة
فصل الدين عن الدولة تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية.

(١) الأنبياء ١٠٧

(٢) سبأ ٢٨

إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا).
وإثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة.
والأولى تعهدتها حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة.
والثانية انزلق إليها الشريف حسين ظنا منه أنها الوجه الآخر
للاسلام (١).

واعتقاداً منه في حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن وارثه
ماكماهون حتى انتهى الأمر إلى أن تحارب جيوش القومية العربية
جيوش الخلافة الإسلامية تعضدها الجيوش الإنجليزية التي سارت
تحت راية فيصل بن الشريف الحسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال
الفاحين.

ثالثاً - إسقاط الخلافة الإسلامية:

ولم يكن عبثاً

ولم يكن تدبير مصطفى كمال أتاتورك ولا حزب الاتحاد والترقي.
ومان هؤلاء إلا " النعل " الذي تلبسه القدم الغليظة الكارهة
الكريهة!

وإلا ففيم توقع نيلوس مند سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١)؟
وفيم قول مؤتمر التبشير أن الشجرة لا بد أن يقطعها أحد
أعضائها؟

وفيم تهديد الزعيم اليهودي قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن
رفض إعطاء فلسطين لليهود؟

(١) بدأت الدعوة إلى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتألقت
في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢ هـ، ١٨٧٥ م راجع تفصيلاً لذلك بحثاً
طيباً عن عوامل ضعف المسلمين للأستاذ عاطف الزين - دار الكتاب اللبناني.
ونحن نحسن الظن بالشريف حسين على ما يبدو من رسائله المتبادلة بينه وبين الإنجليز
لكن يبقى حسابه على الله في ظل قول الله " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم
أن تؤمنوا بالله ربكم " وكيف نسي الشريف ما فعلته إنجلترا بالمسلمين.. تعست كراسي
الحكم التي تنسي المسلم دينه وشرفه وكرامته

فيم ذلك كله وفيم قبله فكرة فصل الدين عن الدولة ومصدرها
المباشر الصليبية ومصدرها الغير مباشر الصهيونية كما يقرر وليام
غاي كار

وفيم قبله نسر القومية العربية على يد لورانس الجاسوس
الإنجليزي

ومن جرهم من أذقناهم وراء قدمه؟

وفيم شروط كيرزون الأربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكمالين وهي:

١ - قطع كل صلة بالاسلام.

٢ - إلغاء الخلافة.

٣ - إخراج أنصار الخلافة والاسلام من البلاد.

٤ - اتخاذ دستور علماني بدلا من الدستور القديم (١).

فيم ذلك كله

وإذا صح أن الخلافة كانت أشبه بالرجل المريض - وهم أول من

أمروها - فهل يصح المريض بالعلاج؟

أم يعالج المريض بالقضاء عليه وقتله؟

ماذا فعلوا بعد أن أجهزوا على الرجل المريض بخسة

ونذالة هل استبدلوا نظاما خيرا منه؟

وهل صاروا في مصاف الدول العظمى بعد أن انسلخوا من

إسلامهم.

إن تركيا

وبعد مرور نصف قرن من إلغاء الخلافة فيها لا توضع في الدرجة

(١) يشير إليها الدكتور عبد المعطي بيومي نقلا عن الأستاذ أنور الجندى في كتابه

العالم الاسلامي - الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٤٦، ٤٧

ويؤكد النية إزاء الخلافة الاسلامية والقصد من وراء إسقاطها ما جاء في كتاب مائة مشروع

لتقسيم تركيا تأليف المسيو جوفار الأمانى - ملخصا في كتاب حاضر العالم الاسلامي - المرجع

السابق - وأقوال رجال الدين في أوروبا، وكتابهم، وساستهم مجمعة على وجوب القضاء على

الخلافة الاسلامية وتقسيم التركة بين ملوك أوروبا.

الثانية ولا الثالثة ولا الرابعة بين دول العالم وكانت قبلها في
الدرجة الأولى!.

أهذا هو الترقى يا حزب الترقى؟

ولقد سبقت إلغاء الخلافة تمثيلية لا يزال يتكرر مثلها في السنوات
القريبة كان لا بد من صنع البطل (الذي يقطع الشجرة (١)).
وبعد أن تغلغت قوات اليونان والحلفاء داخل أراضي تركيا.

وبينما الخليفة حبيس الآستانة بل وجيوش إنجلترا

وتتبدل الهزيمة نصرا وينخدع العالم الاسلامي المسكين " بالغازي العظيم "
ثم يعلن بعدها إلغاء الخلافة الاسلامية.

ويعقبها سلسلة من الإجراءات تنتهي إلى سلخ تركيا من إسلامها،
وتحريم الأذان فيها وتحريم الكتابة بلغة القرآن العظيم!

ويقبل العالم الاسلامي على المصيبة!

ولكن ولات حين مناص! فقد فات الأوان!

ويندب العالم الاسلامي خلافته وإسلامه

يقول الشاعر أحمد شوقي:

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة فيك والاسلام

طوى الهلال عن السماء فليتها طويت وعم العالمين ظلام

خفت الأذان فما عليك موحد يسعى ولا الجمع الحسان تقام

ويقول في أبيات من قصيدة أخرى:

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث بالشرع عرييد القضاء وقاح

أفتى خزعبله وقال ضلالة وأتى بكفر في البلاد بواح

ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواحي

الهند والهة ومصر حزينة تبكي عليك بمدمع سحاح

والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماحي

(١) راجع تحت عنوان صناعة الزعيم في كتاب " عندما يحكم الطغاة " للدكتور جريشة
الناشر دار الاعتصام - مصر.

حسب أتى طول الليالي دونه قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم في كل غدوة جمعة ورواح
*** أستغفر الأخلاق لست بجاحد من كنت أدفع دونه وألاحي
أقول من أحيا الجماعة ملحد وأقول من رد الحقوق إباحي
*** فلتسمعن بكل أرض داعيا يدعو إلى الكذاب أو لسجاح
ولتشهدن بكل أرض فتنة فيها يباع الدين بيع سماح
يفتي على ذهب المعز وسيفه وهوى النفوس وحقدتها الملحاح

المبحث الثالث

مرحلة ما بعد إسقاط الخلافة الإسلامية

بات معلوماً أن العالم الإسلامي بعد الاجهاز على الخلافة الإسلامية، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الإسلامي، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق أن لم تنجح في تنصير المسلمين بما يكافئ الجهود الأموال المبذولة فإنها أفلحت في بث الشكوك والوهن في عقائد المسلمين وأفكارهم.

بات معلوماً أن العالم الإسلامي صار كجسد متخن بالجراح استرخى حتى يمن الله عليه بالعافية أو يتحقق أمل بعيد للصهيونية أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ومن ثم قد كان يكفي ما حدث لكن الصليبيين. ومن وراءهم - وعوا الدرس وهو ما صرح به (جب) من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة وخشي أعداء الإسلام هذه الصحوة!

فاتخذوا من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الممزق هامدا متخنا بالجراح وكان لهم في ذلك أكثر من سبيل أهمها التغيير السياسي، والاجتماعي في العالم الإسلامي ولنعط كلا كلمة بما يسمح المقام.

الفصل الثاني
التغيير السياسي والاجتماعي في المنطقة الاسلامية
المبحث الأول

التغيير السياسي

منذ أتيح للغرب الصليبي أن يتسلط على الشرق الاسلامي.. أخذ يحدث التغيير السياسي اللازم لبقاء سيطرته أولا ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيا فكان:

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م

وتونس سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م

ومراكش سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م

وللشام سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م للهند إيذانا بزوال إحدى الدول الاسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس عشر.

واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م

والعراق سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م

فلسطين سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م

ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الاسلامي.

وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا والقومية العربية في البلاد الغربية حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير!!

وقد صحب ذلك دعوة خبيثة إلى العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف من أمثال حزب الاتحاد والترقي في تركيا الذي كانت من قياداته قيادات يهودية من يهود الدونمة.

وتبع ذلك

ما رسم له أعداء الاسلام من قبل حين عقدوا أكثر من مؤتمر للنظر في المسألة الشرقية وقد كانت في البداية تعني رد الزحف الاسلامي الذي كانت تقوده تركيا على أوروبا - ثم لما توقف المد انتقل البحث إلى كيفية تقطيع أوصال الخلافة ثم القضاء على الخلافة بعد ذلك.

ومهما يكن من أمر الأخطاء التي وقع فيها سلاطين تركيا وفي مقدمتها أنها جعلت عضلاتها أقوى من عقلها ومهما يكن من أمر المظالم التي ارتكبتها سلاطين تركيا وفي مقدمتها التفرقة الظالمة بين بني الدين الواحد، وتميز الأتراك على غيرهم من بني الأوطان الأخرى

مهما يكن من هذه أو تلك - مما نسجله ونحذر منه - فلقد كانت الخلافة تظل المسلمين وتجمع شملهم، وترهب عدو الله وعدوهم من أجل ذلك لم يكتف أعداء الاسلام بتقطيع أوصال دولة الخلافة. بل جاوزوا ذلك إلى القضاء على الخلافة نفسها ومنع قيامها بعد ذلك في أي قطر أو وطن آخر!!

وسواء كان ما ارتكبه مصطفى كمال - الشهير بأتاتورك - كان بحسن نية كرد فعل لأحداث ذلك الحين التي خطط لها أعداء الاسلام بما يدفع أتاتورك إلى إلغاء الخلافة، أو كان بسوء نية استجابة للتخطيط اليهودي - الصليبي الذي تبدى فيما ذكره كاتب روسي سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م بعد ما طالع بروتوكولات حكماء صهيون من أنه لا بد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية لتصل إلى فلسطين (١)، وما أعقب ذلك من محاولة زعيم يهودي رشوة السلطان عبد الحميد لمنح فلسطين وطنا قوميا لليهود وبصق الخليفة المسلم في وجهه، ثم توعد

(١) هو الكاتب الروسي سرجي نيلوس - راجع الخطر اليهودي لمحمد خليفة.

اليهود للخليفة، وخلع الخليفة بعد ذلك بقرار حملة ثلاثة اثنان منهم من اليهود ثم ما أعقب ذلك من إعلان وعد بلفور سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م من جانب وزير الخارجية البريطانية بمنح فلسطين وطناً قومياً لليهود وما تم من ثجرة لليهود في ظل ذلك الانتداب البريطاني، وانسحاب بريطانيا سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م من فلسطين ليتمكن منها اليهود بعد ذلك، واتفاق المعسكرين الشيوعي والرأسمالي على الاعتراف بإسرائيل وتدعيمها الأمر الذي لا يزال حتى اليوم بادياً، فروسيا تمد إسرائيل بالقوة البشرية والقوة العقلية، وأمريكا تمدها بالقوة العسكرية والقوة التكنولوجية.

كل ذلك أو بعضه قد يثير أو يشير إلى أن خطوة أتاتورك بإلغاء الخلافة لم تكن عن حسن نية ابتغاء المصلحة الوطنية لتركيا - خاصة إذا أضيف إليها ما قيل عن شروط كيرزون لمنح تركيا الاستقلال ومن بينها إلغاء الخلافة الإسلامية.

نقول سواء كانت جريمة أتاتورك بحسن نية أو بسوء نية فلقد حققت لا عداء الإسلام ما يبغونه بنقض عرى الإسلام أولها الحكم وآخرها الصلاة.

وكان المفروض أن تقف الحملة الضارية على الإسلام والمسلمين عند حد تقطيع دولة الخلافة والقضاء عليها لكن الصليبيين. وعوا من الإسلام درساً هاماً عن الإسلام والمسلمين وهو ما صرح به أحدهم من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة، وما صرح به بعضهم من أن المسلمين أشد خطورة عليهم من اليهود والبلاشفة والشعور الصفراء (١).

(١) كتبت إحدى المجلات الأمريكية تحت عنوان: (محمد يتهيأ للعودة) المسلمون رقدوا

٥٠٠ سنة ويتحركون الآن ويتوثبون للسلطان

ومن هذه التصريحات ما قاله لورانس براون: كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر وبالخطر البلشفي إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب الثانية أما الصفر (اليابان والصين) فإن هناك دولا ديموقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها لكن الخطر الحقيقي:

كان في المسلمين وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمتلكونها.

- وفي كلمة لمسؤول فرنسي سنة (١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م)

ليست الشيوعية خطراً على أوروبا - فيما يبدو لي - إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً هو الخطر الإسلامي والمسلمون عالم مستقل كل لاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة وهم

جديرون أن يقيموا بها عالم جديد دون حاجتهم إلى الاستغراب وفرصتهم في تحقيق
أحلامهم في اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه لغرب راجع:
- لم هذا الرعب كله من الاسلام الأستاذ جودت سعيد.
- الخطر الصهيوني على العالم الاسلامي الأستاذ ماجد الكيلاني.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر الدكتور محمد محمد حسين.

وبغض النظر عن مدى صحة ما قرره أولئك من خطر الاسلام
والمسلمين عليه فإن هذا هو الذي شكل تفكيرهم، وكان الباعث وراء
تصرفاتهم بعد ذلك.
الأسلوب الجديد:

وفي منتصف القرن العشرين، في الخمسينيات على وجه التحديد،
قررت الولايات المتحدة أن تترث النفوذ البريطاني والفرنسي
في المنطقة لتحقيق نفس الأهداف التي كان يحققها هذان النفوذان (١).
لكن إن اتفقت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا في الاستراتيجية
والأهداف فلقد اختلفت معهما في التكتيك والأسلوب ومارست الولايات
المتحدة في مهارة ما يسمى بلعبة الأمم تحقيقاً لأهدافها وكان أهم
أساليبها في ذلك الانقلابات العسكرية التي تصنع عن طريقها البطل أو
أو الزعيم الذي تتعلق به آمال الأمة، فيمتص بذلك ما يمور في باطنها،
وما كان يمكن أن يؤدي إلى ثورة في غير صالحها وينحرف بهذه القوة
الموارد داخل الشعوب عن أهدافها التي تتحقق فيها مصالح الغرب،

(١) مايلز كوبلاند - لعبة الأمم - ص ٣٣ تعريب مراد سرخيس - التوزيع دار الفتح
للطباعة والنشر. وقد أشار إلى اتصال السكرتير الأول للسفارة البريطانية في واشنطن
(سيسل) بمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى - وأفريقيا ليسلمه رسالة تشير
إلى اعتزام بريطانيا إلى إنهاء وصايتها على بعض أرجاء العالم لأزمة مالية تمر بها فإنها
لن تتمكن من القيام بأعباء مقاومة الشيوعية في كل من تركيا واليونان.
(٢) يشير مايلز كوبلاند - مندوب المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط في كتابه
لعبة الأمم - إلى هذه الحقائق حين يقرر:

(أ) لقد كان من الفهوم في التقارير والوثائق السرية للحكومة الأمريكية في أوائل عام
(١٩٤٧ م ١٣٦٦ هـ) أن دبلوماسيتنا وأجهزة مخابراتنا بالحالة التي كانت عليها في ذلك
الوقت يجب أن تعمل الأحداث تغييرات في قيادات بعض دول الشرق الأوسط.
ويشير المؤلف في الفصل الثاني من كتابه إلى حضور السفير البريطاني إلى وزارة الخارجية
الأمريكية لإبلاغها بقرار الحكومة البريطانية وقف مساعدتها لحكومتى تركيا واليونان ويفسر
ذلك بأن معناه انسحاب بريطانيا من الشرق الأوسط وضرورة حلول أمريكا محلها في المنطقة
لملاء الفراغ.

(ب) على العموم فإن ما كنا نحاوله هو ملء الفراغ الناتج من انسحاب بريطانيا من اليونان
وتركيا - هذا الفراغ الذي يشمل كما قلنا من قبل جميع منطقة الشرق الأوسط ص ٢٨
ثم يشير المؤلف إلى قرار وزير الخارجية الأمريكية دين أتشيسون بالتدخل ولو بالأساليب
غير النظيفة

(ج) ونتيجة لذلك فإنه في نهاية ١٩٥١ م قرر تشكيل لجنة خبراء سرية لدراسة العالم
العربي فيما يتعلق على الخصوص بالنزاع العربي الإسرائيلي لاستعراض المشاكل واقتراح
الحلول سواء كانت تتفق مع أساليب العمل الحكومي النظيف أم لا. ص ٤٨.
ويشير بعد ذلك إلى تدخلهم في انقلاب حسني الزعيم (ص ٤٢) في سوريا والدروس التي

استفادوها منها، ثم استعدادهم للعملية الكبرى في مصر.
(د) كان روز فلت غير واثق من الانقلابات العسكرية بعد أن رأى ما أدت إليه في سوريا من فوضى ولكنّه وافق على أن يقابل الضباط الذين قدمتهم له المخابرات المركزية الأمريكية علي أنهم زعماء التنظيم السري العسكري الذي يدبر انقلابا عسكريا في مصر. ص ٥٣.
ثم يشير إلى أن من أهداف هذا الانقلاب استبعاد الثورة الشعبية التي يسعى لها - بجد - الإخوان المسلمون ص ٥٤، ١٥، ٥٩ ص ٢ وللتمويه يضيف والشيوعيون.

القوة العسكرية المحلية تقوم بالدور الجديد
بم تعد الشعوب تحتمل أن ترى السترة الصفراء الأجنبية تحكمتها
مهما حاولت أن تدعي الصداقة أو حتى أن ترفع راية الاسلام (١).
وكان لا بد من أن ترحل السترة الصفراء الأجنبية لكن الباطل
لا يستغني عن القوة وإلا تهاوى وسقط! ومن ثم كان لا بد من أن
يبحث عن مصدر آخر للقوة حتى يمضي في تنفيذ مخططه الأثيم لإبعاد
شعوب الاسلام عن الاسلام وهداه شيطانه إلى ما نجح فيه إلى
حد ما
استبدال السترة الصفراء الأجنبية.

بالسترة المحلية.
وصرح بعض كتابه أن هؤلاء أقدر على التغيير الاجتماعي
المطلوب (٢) وعرفت المنطقة الانقلابات العسكرية (٣) بديلا عن جيوش
الاحتلال الأجنبية ومن أمثلة ذلك كما صرح أحد الكتاب الأمريكيين:
سوريا سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م
مصر سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

(١) ادعت بريطانيا الصداقة لمصر أثناء احتلالها وادعى نابليون من قبل الاسلام
وأعلن خليفته في مصر فعلا إسلامه وعند اقتربت جيوش الألمان من مصر كانت المنشورات
فيه توزع باسم محمد هتلر!!
(٢) راجع ما كتبه مورو بيرجر - الكاتب الأمريكي - عن أن النخب الوطنية أقدر من
النخب الأجنبية في إحداث التغيير الاجتماعي المطلوب وتحذيره من الاكتفاء بمجرد فرض
التغيير بل لا بد من تعهده حتى يعمق في نفوس المجتمع.
(٣) المرجع السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ويذكر صراحة مايلز كوبلاند في لعبة الشعوب كان
انقلاب حسني الزعيم يوم ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ م من إعدادنا وتخطيطنا لعبة الأمم -
ص ٤٩ ثم يقول في ص ٥٨ - وكان قرارنا الأخير - أن تكون مصر خطوتنا الجديدة.

ومن قبل هؤلاء إيران سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م
تركيا سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م
وفي كل مرة يستفيدون من تجارب المرة السابقة
فمثلا الخطأ الذي وقع فيه كمال أتاتورك في محاولة فرض التغيير
الاجتماعي بالقوة
استبدلت القدوة بالقوة
مع وسائل الإعلام المختلفة وما يصحبها من وسائل أخرى
للتبشير أشرنا إليها.
فقد كان أتاتورك غبيا حين فرض خلع الطربوش بالقوة.
فقد خلعه الناس في مصر لما رأوا رجال الانقلاب الجديد الأبطال
لا يلبسونه بدون الحاجة إلى قانون! وهكذا!
لكن القوة بقيت لازمة تؤدي أمرين:
أولهما: قمع المعارضة والمعارضين خاصة إن كانوا من
أصحاب العقائد.
ثانيهما: مساندة الباطل والمبطلين فيما يمضون فيه من تخطيط
أثيم لإبعاد الناس عن الاسلام.
ولبيان هذين الخطئين نقدم وثيقة جاءت في حيثيات حكم صدر
في بلد إسلامي نسقط منها أسماء الضحايا وأسماء
المجرمين لنصل بها إلى الموضوعية الكاملة (١).
تبدأ الوثيقة بالإشارة إلى أسماء أعضاء اللجنة التي قدمت معلوماتها
واقترحاتها وأكثرهم من رجال المخابرات والمباحث والأمن.
ثم تلخص معلوماتها بالإشارة إلى أن " تدريس التاريخ الاسلامي

(١) هذا الحكم منشور في كتاب (الزنزارة للدكتور جريشة) - الناشر دار الشروق

في المدارس للنشء بحالته القديمة يربط الدين بالسياسة في لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ثم الإشارة إلى صعوبة التمييز بين معتنقي الأفكار (.) وبين غيرهم من المتدينين الخ. ليصل إلى المطالبة:

- ١ - بمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين.
- ٢ - إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم بحمل الدعوة الإسلامية، ولا يقتصر الأمر على هذه الفئة، لا يمتد إلى " كل المتدينين " باعتبارهم يمثلون الاحتياطي الذي يصب في هذه الفئة!

ومن وسائل الإبادة: الإعدام والسجن والاعتقال ويبلغ الأمر غاية خسته حين تصرح " بالنسبة لنسائهم سواء كن زوجات أو بنات فسوف يتحررن ويتعرضن مع غياب عائلهم وحاجتهم المادية إلى انزلاقهن " .

وهكذا تفقد الأنظمة العسكرية حتى الشرف والكرامة!!
بقي السؤال - لماذا يفضلونها وطنية؟

نسمع إجابتين:

إجابة من الكاتب الأمريكي مايلز كوبلاندا.
فكان الحكام من " طراز. " يعطون الأولوية على غيرهم لأن استيلاءهم على السلطة يوفر أفضل الفرص - أو أقلها سوءا - لنجاح " لعبتنا " (١).

وفي مكان آخر " إن نموذجا () كان من الأهمية بمكان بخصوص اللعبة وأنا كنا ملزمين بالبحث عن مثل له فيما لو لم يكن على قيد الحياة " (١).

وإجابة من الكاتب الأمريكي مورو بيرجر.
وكان الجيش من بين كل جماعات النخبة الوطنية أكثرها دنوا من المشاكل التي تواجهها مصر، دنوا بالمعنى الحسابي، والعلماني،

(١) لعبة الأمم ص ٢٨، ص ٢٦.

(٢) لعبة الأمم ص ٢٨، ص ٢٦.

والواقعي، وبهذه الصورة كان الجيش أكثر النخبات تغربا (١).
والواضح من تقرير () الموجز أن الضباط كانوا علمانيين
يتوقون إلى بث التعاصر في مصر متماشين مع الخط الغربي التكنولوجي، بل كانوا
جماعة علمانية في البناء
السياسي والاجتماعي للحياة المصرية إلا أن قيادتهم كانت تضع نصب
عينها صورة من مصر العلمانية كما يتصورونها، ويتحركون صوب هذا
الهدف على خط مستقيم (٢).
ويعمم الكاتب وعلى ذلك فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة
الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية، ويواجه الزعماء
العرب طريقتين: فهم يطردون الغرب سياسيا ويسحبون الكتل
الشعبية إلى الغرب ثقافيا (٣).
ونجيب بعد هؤلاء فنقول بعون الله:
١ - إن النخبة الوطنية التي حلت محل " النخبة الأجنبية " وفرت
على الأخيرة أولا: الدم والمال التي كانت تبذل في الحروب الصليبية
أو في محاولات الاستعمار.
٢ - وإنها كذلك منعت إثارة المشاعر الدينية أو الوطنية
التي كانت تتحرك حين يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة تتحدى
قيمه الدينية أو قيمه الوطنية.. ومن ثم فقد ميعت المقاومة أو
منعتها!
٣ - إنها بلباس الوطنية نفذت المطلوب ليس فقط دون
مقاومة بل أحيانا مع استحسان الجماهير وحماسها!! (٤).

(١) العالم العربي اليوم ص ٣١٢، ص ٣١٤، ص ٣٤٠ وراجع
ما قدمنا - والمقصود ب " تغربا " الميل إلى الغرب في قيمه ومثله بدلا من قيم الاسلام ومثله.
(٢) تقدم أنفا تحت رقم ١.
(٣) تقدم أنفا تحت رقم ١.
(٤) وفي هذا السبيل لا بأس من أن تسمح الجهات الأجنبية بمهاجمتها لتكسب الحاكم مزيدا
من الصفات الوطنية ولتكسب استحسان الجماهير وحماستها وفي هذا المعنى يقول مايلز كوبلاند
فإن مساندتنا لأي زعيم للوصول إلى دست الحكم والبقاء هناك حتى يحقق لنا بعض
المصالح التي نريدها لا بد أن يرتطم بالحقيقة القاسية وهي أنه لا بد من توجيه بعض
الإساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ويضمن استمرارها (ص ٥٥ من كتاب
لعبة الأمم).
وفي الوقت نفسه يقول السياسي الصهيوني مستر سكوثمان في مقال يرثي فيه زعيما
عربيا " كان الرجل الوحيد الذي اقتنع بضرورة التعايش السلمي مع إسرائيل وكانت لديه
الجرأة والسلطة الكافية لإيجاد الظروف اللازمة لهذا التعايش " ص ز مقدمة كتاب

الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الأمريكية - دكتور محمد صادق.
وفي مكان آخر يقول مايلز كوبلاند:
إن الهدف الرئيسي من دعمنا (.) هو رغبتنا في توفر زعيم عربي رئيسي يتمتع
بنفوذ قوي على شعبه وعلى بقية العرب له ن القوة ما يمكنه أن يتخذ ما شاء من القرارات
الخطيرة وغير المقبولة من الغوغاء مثل عقد صلح مع إسرائيل (ص ٨٩ لعبة الأمم).

٤ - أنها استطاعت أن تقضي على كل معارضة من أي فئة دون أن يتحرك أحد لنصرة هذه الفئة بل مع اعتقادهم بما تذيعه " النخبة الوطنية " من أن المعارضين خوارج - أو خونة!! وأخيرا سؤال لا ينفك عن السؤال الأخير. لماذا يفضلونها " عسكرية "؟
نقول بعون الله:

١ - لأنها " أسرع " في الوصول إلى الحكم، وأكثر شغفا بالسلطة (١).

٢ - لأنها " أسرع " في تلبية الأوامر الخارجية، والالتزام حرفيا بها، فهكذا تعلمهم الحياة العسكرية.

٣ - لأن قبضتها " أقوى " بالنسبة لأية معارضة أو أية مقاومة.

٤ - أن الطبقة العسكرية في أغلبها أعدت إعدادا خاصا يجعلها " علمانية " و " غربية " لا تستنكف الانحلال لنفسها ولا لغيرها ومن ثم فهي أنسب الفئات لتنفيذ مخطط الإبعاد من " الاسلام ".

٥ - أنها تزيع بذلك احتمال تقدم عناصر دينية إلى الحكم عن الطريق الشعبي العادي (٢)!

وليس معنى اللجوء إلى الانقلابات العسكرية انتهاء الوسائل الأخرى إن القوى الأجنبية المعادية للاسلام لا تزال محتفظة لبعض الأنظمة " الرجعية " بالبقاء أو لأنها تنفذ ما يطلب منها، وثانيا لأنها أضعف من أن تقف يوما في وجهها وثالثا لأنه داخل هذا الأنظمة نفسها يجري التغيير باستعداد الابن على أبيه والأخ على أخيه بعد ما يحري الاتفاق على الصفقة ماذا يبيع لكي يجلس على العرش؟! ورابعا لأنها حين يبدو العصيان يكون الردع سريعا وعنيفا وحوادث

(١) لقول مايلز كوبلاند وكان مبتغانا أن ندفع إلى الرئاسة حاكما أكثر شغفا بالسلطة (ص ٥٩ من لعبة الأمم).
(٢) ص ٦٣ - ٦٥ من (لعبة الأمم).

" الاغتيال السياسي " في الماضي القريب شاهدة على ذلك، وقد كانت موضع تحقيق " الكونجرس " في فضائح المخابرات المركزية الأمريكية. وأخيرا فإن بقاء هذه الأنظمة - في نظر أعداء الاسلام - رهين بانتهاء العصبية التي تستند إليها، وفي المواجهة بزيادة قوة وقدوة القوات المسلحة لتولي الأمر حينئذ سوف تخلعها بيسر وبغير حياء ولا احترام للود البادي والوفاء الظاهر!! وهكذا ترى اتفاقا غريبا على علمنة التعليم وعلمنة الإعلام، وعلمنة المجتمع كله عن طريق المرأة وعن طريق الشباب لبيتعد بذلك عن الاسلام نجدها في الدول الاسلامية رغم اختلاف نظم الحكم الحاكمة لأن التغيير السياسي وإن اختلف أسلوبه فالهدف لا يختلف وهو التغيير الاجتماعي أو التغريب أو بالعبارة الواضحة: الأبعاد عن الاسلام!

لكن هل انتهت تماما وسيلة الحروب والاستعمار التي كانت سبيل الغرب من قبل لفرض أهدافه وغاياته؟

لا نستطيع أن نجيب بالنفي لأن الحروب انتهت في أغلب البلاد في صورتها العسكرية، واستبدلت بها الحرب الفكرية والنفسية لتحطيم عقيدة الأمة ومبادئها.

ولا نستطيع أن نجيب بالاثبات لأنها لا تزال تستعمل في نطاق محدود وهو ما اصطلح الغرب على تسميته بالحرب المحدودة واحتلال الجيوش الأمريكية لشواطئ لبنان سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م مثل قريب وتحركات الأسطول السادس كذلك.

لكن رأينا أن الحرب المحدودة ارتدت كذلك ثوبا محليا فأصبحت الجيوش العربية أو الاسلامية تسلط لهذا الغرض وتدخل سوريا في لبنان مثل قريب. وانفصال بنجلادش عن باكستان من قبلها مثل قريب كذلك!

المبحث الثاني
التغيير الاجتماعي
ما يبغى الغرب هنا؟

في البداية كان الهدف واضحا إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم إلى دين آخر - كما وضح ذلك من كلام المبشرين. ثم لما صارت عملية " التنصير " بلغة الأرقام صعبة إن لم تكن مستحيلة بين الشعوب التي تدين بالاسلام.

اقتصرت العملية على الجزء الأول منها إخراج المسلمين من دينهم وكانت الوسائل إلى ذلك هي نفس الوسائل " وسائل التبشير " الأولى التي كانت تقوم بالشقين الإخراج من الاسلام، والادخال في الدين الآخر.

ونجحت الخطة الثانية ولا تزال تعمل في كثير من البقاع الاسلامية.

ثم كانت الخطة الثالثة التي لا تذهب إلى عملية الإخراج من الدين تماما ولكنها تكتفي بالإبعاد الإبعاد عن الدين من غير استعمال لفظ الإبعاد حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم إلى الهدف الجديد مع تطوير فيها يجعلها أكثر نعومة، وأكثر فاعلية. إذا فالهدف هو إبعاد المسلمين عن الاسلام باعتباره الخطر الكامن كما يتصور الغرب أو يتوهم - وقد كانت الإشارة إلى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهديبا مثل التغريب أو التغيير الاجتماعي (١).

(١) راجع في ذلك كتاب: الحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين وكتاب: العالم العربي اليوم - للكاتب الأمريكي مورو بيرجر.

معنى التغيير الاجتماعي وصلته بالتغيير السياسي:
إن النخبة في الشرق الأدنى في مصر والسودان، والعراق
وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير الاجتماعي،
وتشترك النخبات العسكرية العربية عميقا في الاعتقاد بضرورة
التغيير الاجتماعي السريع.
أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة
تجعل من الصعب التحقق من أن امراء ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا
أصلا، فقد أصبح العرب " متغربين " بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب
إلى أوروبا.
فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى، تتحول هذه
المنطقة فتصبح أكثر غربية، ويواجه الزعماء العرب طريقتين:
فهم يطردون الغرب سياسيا، ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب
ثقافيا (١).
التغيير الاجتماعي إذن يعني تغيير قيم الأمة ومثلها تغيير
ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها وبعبارة واضحة إبعاد المسلمين عن
دينهم.
والتغيير الاجتماعي، قد يسمى التغريب وقد يسمونه المدنية
أو التطور أو التقدم وأيما كانت الحال فلن يكون هناك سبيل إلى
التراجع إن العمل يسير بجد ونشاط في إدخال الدنية الغربية إلى
مصر.
وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة، وضعت
خطوطها بعد دراسة الموقف تقوم على التطور والتدرج (٢).
وواضح أن التغريب، أو التغيير الاجتماعي الذي كان يجري
على أيدي المحتلين والمستعمرين، صار يجري اليوم - في أكثر الأحوال -

(١) راجع مورو بيرجر في العالم العربي اليوم صفحات ٣٠٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣،
٣٢٤، ٣٢٦، ٣٤٠، ٣٤٨.
(٢) الفقرة الثالثة من تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الانكليزية.

على أيدي " النخبات الوطنية " التي هي في أكثر الأحيان " عسكرية " (١).
هذا هو الهدف التغيير الاجتماعي الذي يعني في الحقيقة
إبعاد الأمة عن دينها في شتى نواحي الدين التي تشمل شتى نواحي
الدنيا.

ولكن لهذا الهدف وسيلة أو وسائل وأساليب هي التي تمثل
" التكتيك " الجديد لغزو الغرب الفكري.
ويحسن أن نعرض لها في مبحث مستقل.

(١) يشير الكاتب الأمريكي إلى تقرير لزعيم مصري جاء فيه أن الضباط كانوا علمانيين
(ستعرف معنى العلمانية في الصفحات القليلة القادمة) يتوقون إلى بث التعاصر في مصر
متماشين مع الخط الغربي التكنولوجي
ولم يكن الضباط على ثبات أيديولوجي، بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي
والاجتماعي للحياة المصرية ص ٣١٣ ع أ، ٣١٤ من المرجع المذكور ويضيف الكاتب الأمريكي
" أن معيار ذلك الزعيم في الضابط الكفاء، هو استنتاجا على الأقل تعرفه إلى الغرب "
وينقل الزعيم مدحا لرئيس هيئة أركان الجيش المصري في الحرب العالمية الثانية: (كان
متقبلا للأفكار الحديثة لكثرة زيارته لفرنسا وإنجلترا وألمانيا) ص ٣١٠ من كتاب العالم
العربي اليوم. للكاتب الأمريكي مورو بيرجر.

المبحث الثالث أساليب التغيير الاجتماعي " أو التغريب "

يتخذ الترتيب لإحداث التغيير الاجتماعي الذي يبعد الأمة الإسلامية عن إسلامها يتخذ خطة " استراتيجية " طويلة المدى حتى لا تحس الأمة الإسلامية بالهدف البعيد بل قد لا تحس بالأسلوب الذي يجري به التغيير وكأن هذا التغيير يتم تلقائياً.

* وأهم ما في هذه الاستراتيجية من تخطيط أن يتخذوا لهدفهم رسولا منا " من أنفسهم "، " وأن يقطع الشجرة أحد أعضائها " الأمر الذي يجري في التغيير السياسي سواء عن طريق الانقلاب العسكري، أو الاغتيال السياسي بالأساليب التي أشرنا إليها.

* يلي ذلك أنهم يخاطبون بهؤلاء الأعضاء يخاطبون بهم فكر الأمة وعقيدتها، ومن ثم يجري التغيير أول ما يجري داخل العقول والقلوب ثم ينتقل بعد ذلك إلى مجال الأخلاق والتقاليد والعادات ويبلغ الاهتمام بأحداث التغيير أدنى مظاهره كأكل الطعام باليد اليسرى، وإلقاء التحية بغير تحية الاسلام.

* ولولا كتابات كتبها مفكروهم لتوجيههم إلى أحسن الوسائل لبلوغ أسوأ الأهداف وأخبثها ما استطعنا أن نعرف شيئا عن " استراتيجية " الغرب أو تكنيكة نحو هذه الأمة المسلمة وقبل ذلك لولا فضل الله ورحمته لانتهدت هذه الأمة نتيجة ذلك التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق لإبعاد الأمة عن دينها.

* وإذا كانت أساليب التغيير الاجتماعي تتجه إلى فكر الأمة وعقلها ثم إلى عقيدتها وقلبها فإنها تعتمد على وسائل الاقناع المختلفة. وتخطط لها تخطيطا علميا يقوم عليه علماء النفس وعلماء الاجتماع فوق أجهزة التخابر والاحصاء المختلفة.

ويسير التخطيط على جعل وسائل الاقناع المختلفة في أيدي غير المستمسين بالدين فإذا أفلت متدين إلى هذه الوسائل أحاطته بوسائل الاغراء والاحتواء المختلفة حتى تتحرف به عن السبيل القويم. وتحت شعارات: العلمانية، والقومية، وتحرير المرأة تجري وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق أبعاد الأمة عن دينها ونحاول بمشيئة الله بحث هذه الثلاثة لنبين كيف يجري بها إبعاد الأمة عن دينها.

أولاً: العلمانية

معنى العلمانية:

قد تشعر الكلمة في اشتقاقها أنها تعني رفع شعار العلم ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الاسلام بل إنها إحدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه!

وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا معنى الكلمة في لغتها الأصلية ليقع المسلمون في هذا الوهم!!

إن العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية Secularity وهذا اشتقاق من Secular وهي مرادفة للكلمة الإنجليزية Unreligious أي لا ديني أو غير عقيدي ومن ثم كانت العلمانية تعني اللادينية!! ومن هنا نفهم إعلان البعض عن قيام دولة علمانية أو عن رغبة البعض الآخر في ذلك!

ونفهم سر اختيار الكلمة إنها تعبر عن المقصود دون صدم للمشاعر والأحاسيس!

ولنا أن نتصور الفارق بين الاعلان عن دولة علمانية أو الاعلان عن دولة لا دينية!

من هنا تحس خبث ترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية، ونحس خبث الذين يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ الكاشف عن المعنى المقصود ونحس مع هذا كله بواجبنا لتعريف هذا اللفظ الخبيث على حقيقته!

العلمانية بين الغرب والشرق:
لم يكن غريبا في الغرب أن تجد العلمانية مكانها فقد فرضت
ذلك ظروف الغرب
نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب
المختلفة ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي وتجاوزها
ذلك الحجر على العقول إلى حجر على القلوب حين فرضت
صكوك الغفران وقرارات الحرمان وراحت تتاجر بها وتتخذها
وسيلة للكسب الحرام!!
وغرقت أوروبا في دماء ضحايا الكنيسة حيث سقط المئات بل
الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها غير من غيبوا في
غياهب السجون
إذا كانت سنة الله في الكون أن لكل فعل رد فعل مساويا له
في القوة ومضادا له في الاتجاه فلقد وقع الصراع العلم مع
الكنيسة وانتهى بإعلان العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة،
وتقلص سلطان الكنيسة داخل جدرانها!!
وفضلا عن أن ظروف أوروبا التاريخية كانت تبرر انتشار العلمانية
وفصل الدين عن الدولة فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية بعد ما
أدخل عليها من تحريف كان اليهود وراء أكثره - كانت ظروف الديانة
المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية إلى جانب الدين.
وليس غريبا بعد ذلك أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة
كما صرح بذلك كاتب أمريكي (١) بغية القضاء على بقايا الدين الذي
حرفوه بتعطيله وحبسه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة.
وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع عن أن الدين الذي حبس داخل
جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير حتى صارت الصلاة تؤدي على
أنغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء
الخافتة الحالمة وبين الألحان الدافئة والساخنة تحت سمع وبصر
رجال الدين بل وتحت " رعايتهم وتوجيههم " السديد.

(١) وليام غاي كار في كتابه: أحجار على رقعة الشطرنج.

وكانت أوروبا قد بلغت في التقدم العلمي " التكنولوجي " درجة جعلتها ولو إلى حين - تستطيع أن تقيم نهضة مادية بهرت الناس في أكثر الأحيان.

وحين أريد نقل العلمانية إلى الشرق الإسلامي غفل المسخرون عن علم أو عن جهل - غفلوا عن هذه الظروف جميعا غفلوا عن أنه ليس في ظروف الشرق الإسلامي التاريخي ما يبرر فصل الدين عن الدولة، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الإسلامي - إذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة - لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين للعلم أو للعلماء

ولم يكن في تاريخنا الإسلامي محاكم تفتيش. وصكوك غفران وقرارات حرمان.

والذين انحرفوا من العلماء عن جادة السبيل إلى ممالاة الحكام لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهورها والذين كانوا لسان

صدق حملتهم في حنايا صدورها وقدمتهم في أول صفوفها كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة لأن الدولة في فقه الإسلام قسم للدين لا قسم فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين

كذلك لم تكن الديانة الإسلامية لتسمح بقيام العلمانية إلى جوار الإسلام بمقولة أن الإسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشريعة وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة لأن الإسلام عقيدة وشريعة وشريعة وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما يدينون لله في مجال العقيدة والشريعة

كذلك مع التسليم جدلا بصحة نظرة الغرب التي اعتنقها الحاقدون أو الجاهلون في الشرق الإسلامي فلم يكن الشرق الإسلامي قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمي والتكنولوجي الذي بلغه الغرب لي طرح الدين جانبا ويرفع شعار العلمانية.

من ثم حرم الشرق الدين كما حرم الدنيا وارتضى

بقشور تورثه الترف والدعة وتبعده كثيرا عن الجد والجهاد والعمل

وسائل نشر العلمانية:

حرص الغرب منذ وطئت أقدامهم التراب الاسلامي على نشر العلمانية بأكثر من سبيل، وحين ورثت النخبات الأجنبية " النخبات الوطنية " مكان السلطة وبواتها كراسيها حرصت على زيادة نشر العلمانية بكل الوسائل وضعت خبراتها " العلمية " والتكنولوجية لتحقيق هذه الغاية.

ومن ثم فلم يكن غريبا أن نسمع عن بلاد إسلامية متخلفة من الدرجة الثالثة أو الرابعة تدخل فيها " التلفزيون " قبل أن تمحو من أبنائها الأمية التي تربو على الثمانين أو التسعين في المائة بل أننا نسمع عن إدخال التلفزيون الملون في بلاد متخلفة جدا وأحيانا فقيرة جدا.

أما مجالات نشر العلمانية ووسائلها فقد كانت: أولا في التعليم، ثانيا: في الإعلام، صحافة وإذاعة، وتلفزيون، وسينما، ومؤلفات، ثالثا: في القانون ويحسن أن نعرض لكل كلمة: أولا - التعليم:

إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة!! تقف حاجزا في طريق أي إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني!! ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جليلة القدر.

ولكن إذا بدا أن مثل هذه الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصورا في إصلاح التعليم اللاديني ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام

أحد أمرين: فإما أن يتطور وإما أن يموت ويختفي (١).
* هذه كلمات اللورد كرومر الذي حكم مصر المسلمة ممثلاً
للاحتلال الإنجليزي يساعده دنلوب وهو أحد خريجي كلية اللاهوت
في لندن.

* تكملها كلمات للمستشرق جب (وفي أثناء الجزء الأخير من
القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني
تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند (٢) ".
* وأخيراً تكمل هذا كلمات زعيم المبشرين النصارى " زويمر "
يقول على جبل الزيتون في القدس إبان الاحتلال الإنجليزي لفلسطين
سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) (لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة
من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج
التعليم في الممالك الإسلامية وإنكم أعددتهم نشأ في ديار المسلمين لا يعرف
الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها (!) وأخرجتم المسلم من الإسلام،
ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أرادته
له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف
همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهووات، وإذا جمع
المال فللشهووات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود
بكل شيء).

كانت تلك هي النصوص
ومفادها أنه لما كانت البلاد الإسلامية في سابق عهدها إسلامية
التعليم، فقد كبر على الاستعمار الغزي أن يترك للمسلمين دينهم،
بعد أن أبى عليهم أن يترك لهم أرضهم
وكان لا بد له أن يحقق لهم " جهالتهم " بالدين ليتحقق فيهم من
بعد أن جهل شيئاً عاداه.
وكان له في ذلك أكثر من سبيل

(١) تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦ م الفقرة ٣ ص ٥ والاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد
حسين ج ١ ص ٢٧٥.
(٢) وجهة الإسلام تأليف المستشرق جب وآخرين ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة.

أما السبيل فهو ما لجأ إليه من حصر التعليم الديني
وحصاره ماديا ومعنويا.

فإما الحصر والحصار المادي فقد كان يفتح التعليم اللاديني
في مواجهته وتشجيعه وهو ما أشار إليه المستشرق جب " بإنماء التعليم
العلماني تحت الإشراف الإنجليزي في مصر والهند ".
وتم مع ذلك تضيق الموارد المادية على التعليم الديني.
وإغداقها على التعليم اللاديني.

وأما الحصر والحصار المعنوي فهو ما لجأ إليه من تنفير وسخرية
بطالب العلم الديني وبأستاذه وبالتفرقة بين أستاذي الدين، والمواد
الأخرى. في كل شئ بفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين
خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه في الكليات الأخرى
فمناصب المعاهد والكليات الدينية محدودة، متواضعة في المظهر وفي
الأجر. ومناصب المعاهد والكليات الأخرى عديدة كثيرة فارهة المظهر،
والأجر. وفي اللاشعور يرسب ذلك كله.

نفورا من الدين

واقبالا على غير الدين

من حيث لا يدري الطالب الصغير أو الكبير ومن حيث لا يشعر.
وأما السبيل الثاني. فكان الابتعاث إلى الخارج إلى الدول
غير الإسلامية وحقق ذلك الابتعاث نتائجه الباهرة المقصودة.
فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده
تعلقا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيع
بطباع غير إسلامية ثم يصير التطبع مع الزمن طبعا وينسلخ الطالب
من حيث لا يشعر حتى من تقاليد الملبس والمأكل والمشرب وطريقة
التعامل ويغدو غريبا أو شرقيا ربما أكثر من الغربي أو من
الشرقي.

وحول هذا المعنى يقول أحد الكتاب الغربيين " فبينما يترك الحكام
الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية
ويواجه الزعماء العرب طريقين.

" فهم يطردون الغرب سياسيا ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافيا (١) ".

ولقد بدأ هذا السبيل مبكرا

ربما ليسارعوا إلى تخريج الأساتذة التي تجري " تفريخ " مبادئهم بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث الجدد، وبغير حاجة إلى جهد غير وطني. وهو ما يصرح به نفس الكاتب السابق حين يقول " أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امراء ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلا، فقد أصبح العرب " متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا ".

ومثل ذلك هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي ابتعث إلى باريس خمس سنوات (١٨٢٦ - ١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربي (الذي تتلاصق فيه الأجساد وتختلط الأنفاس وتتلاقى النظرات) بأن هذا الرقص لون من العياقة والشلبنة (أي الفتوة) ثم ينادي بالفرعونية (وهي في ميزان الاسلام جاهلية وعصبية منتنة) ينادي بها بديلا عن الاسلام.

ومن بعد رافع كان طه حسين وكتاباتة في مستقبل الثقافة في مصر وفي مرآة الاسلام ومن قبلها في الشعر الجاهلي لا تحتاج إلى تعليق لكل ذي بصر إسلامي

ومع طه حسين قاسم أمين الذي نادى في مصر بتحرير المرأة وإن نسب البعض كتابته إلى الشيخ محمد عبده " والزعيم " سعد زغلول وقد خشي الزعيمان على شعبيتهما فحملا قاسم العبء وحمله أنه كان ظلوما جهولا

كل هؤلاء لم تكن ثقافتهم ولا تربيتهم محلية ومن ثم فلم يكن غريبا ما صرحوا به أو أذاعوه. بل كان ذلك جزءا من مخطط رهيب أثيم لهدم قيم الاسلام ومثله. ولا يزال الابتعاث رغم ما خرج من أساتذة يقومون بنفس

(١) العالم العربي اليوم - مورو بيرجر.

الدور. لا يزال له دوره وبخاصة في البلاد التي تسمى " نامية " والتي يخشى أن تتجه بصدق إلى الاسلام لا يزال الابتعاث يولي أهمية كبرى لهذه البلاد باعتبارها بكرا " ويصل الاهتمام إلى حد نزول الابتعاث من مرحلة ما بعد الجامعة إلى مرحلة ما بعد الثانوية العامة حيث سن المراهقة الخطير ينتقل فيه الشاب من المجتمع المغلق إلى المجتمع المفتوح، والمفتوح جدا. فتقلب موازين عقله بعد موازين قلبه، كما حدث في درس رفاة راعف الطهطاوي (الصعيدي). كما يصل الاهتمام حد الحرص على إيفاد المبعوث سنة كاملة كل خمس سنوات بعد عودته من بعثته المباركة وتوليه أهم المناصب. وهكذا يستمر الرضاع بين الأم ووليدها دون فطام وهكذا يتولد ضمان استمرار " الولاء " و " الوفاء " أو ما هو أشد من الولاء والوفاء

و أما السبيل الثالث: فهو انتشار المدارس الأجنبية في البلاد الاسلامية وقد كان في البداية سبيلا لتنصير المسلمين وعلى هذا نصت بعض المؤتمرات التبشير وعلى هذا نفهم إنشاء الكلية الإنجيلية في بيروت. وإنشاء الجامعة الأمريكية في مصر (١).

لكن استفادة من نصائح زويمر لم يعد مطلوبا إدخال المسلمين إلى المسيحية أنه يكفي إخراجهم من الاسلام. وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حاليا في البلاد الاسلامية. وأقل ضرر لها هو الازدراء باللغة العربية، وتمجيد اللغة الأجنبية بما يترتب على الأمرين من آثار خطيرة في اللاشعور. وأقل ضرر منها هو الازدراء بالدين بعد أن تعمد إلى تقديم مدرسه متهدما في في مظهره ومخبره، مشيرا للسخرية والاشمئزاز من صغار الطلاب وكبارهم على السواء. بينما يظهر رجل الدين عندهم على نحو مخالف يولد الرهبة والاحترام وقد يولد الحب والود والإلفة.

(١) راجع قرارات مؤتمر القاهرة ١٣٢٤ و ١٩٠٦ م ومؤتمر لكنؤ بالهند (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م) في كتاب الغارة على العالم الاسلامي.

وإما السبيل الرابع: فقد كان تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير وقد رأينا أن كرومر قد دعا إلى تطوير الأزهر. ورأينا خلفاء " كرومر " يقومون بالتطوير بعد خمسين سنة أو يزيد. ومع كرومر أو قبل كرومر نادت بذلك مؤتمرات التبشير. ولم يكن الأمر قاصراً على مناهج المعاهد والكليات الدينية إن الأمر امتد إلى مناهج " الدين في التعليم العام فاقترعت على القشور واحتوت على التعقيد وصاحبها سوء اختيار معلم الدين الذي كثيراً ما يكون متعمداً ليورث في اللاشعور كراهية الدين والسخرية منه

وأما السبيل الخامس والأخير فقد كان نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم وقد بدأوا بها في الجامعات في أكثر البلاد الإسلامية تحت دعوى التقدم والتمدين، ونشر الروح الجامعية، وكان التمدين والتقدم ونشر الروح الجامعية لا يتم إلا بإشعال نار الغرائز وتأجيج سعار الشهوة في سن الشباب الملتهب.

وقالوا في تبرير الاختلاط الكثير مما هو غير صحيح حتى في علمهم هم فقد قالوا إن الاختلاط يشذب الغريزة ويهدبها وأثبت العلم أن الاختلاط لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يشيع " البرود الجنسي بين الجنسين " وهذا مرض

تشكو منه بعض البلاد وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وإما أن يؤجج سعار الجنس ويزيد لهيبه وهو ما تؤكد تجربة القط والفأر اللذين أتيا بهما وهما رضيعان ثم وضعاً في قفص صغير واحد، وظلاً يأكلان سوياً من طبق واحد، حتى إذا جاء موعد ظهور الغريزة، ولكل غريزة موعد انقض القط على الفأر فأكله ولم تشفع له عشرة طالت ولا اختلاط دام

وتوسعوا في أمر الاختلاط فجعلوه في المرحلة الابتدائية وهي عند البعض قد تضم بعض سنوات المراهقة وجعلوه في المرحلة الثانوية وهو أخطر ما يكون

وتزداد المهزلة حين يجعلون على هؤلاء المراهقين مدرسات لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات فتنهدم قيمة احترام

المدرس مع ما ينهدم من قيم بالاختلاط أو مع الاختلاط.
وتأكيدا لهذا السبيل الآثم تحرص كثير من المؤلفات على
التهوين من مقدمات الزنى التي لا بد أن تفضي إليه إلا من عصم
ربي وقليل ما هم.

ففي أحد كتب مؤسسة فرانكلين الأمريكية التي تنشر في أحد
البلاد الاسلامية يقول " فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب أن
تعمل على إشراكهم معا في الأعمال الممتعة ومواقف اللعب وإذا حدث
استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغي النظر إليه على أنه نوع
من الصداقة وليس غراما أو عشقا
وعبثا تحاول المؤسسة الأمريكية أن تخلف عن الحرام اسم الحرام.
وأن تخلف عليه ثوب " البراءة " الكاذب.
وفي مكان آخر ولنفس المؤسسة:

" إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي
يستطيع معظم الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أي حال باعتبارها
جانبا من جوانب النمو الجسمي للمراهق وفي مكان آخر:
وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع
يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسه أو ضغطه على اليد
أو قبلة، والكشف عن هذه المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعي.
وأخيرا

فالشوق إلى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الانصات قصة
فيها تلميحات جنسية ليست هذه أمور شائنة (١) "

وقد سبق خطوة الاختلاط في الدول الاسلامية المتقدمة خطوة
تمر بها الآن الدول الاسلامية " غير المتقدمة " هو التوسع في
تعليم البنات.

وتعليم البنات في حد ذاته قد لا يكون مصدر قلق لكن
التوسع في هذا التعليم من غير تخطيط إسلامي بل ولا حتى فطري
هو مصدر القلق كله.

(١) حصوننا مهددة من الداخل - للدكتور محمد محمد حسين. مكتبة المنار الاسلامية -
الكويت.

ذلك في إنكار اختلاف فطرة المرأة عن الرجل غباء أو تغاب فلا شك في هذا الاختلاف ومن ثم وجب اختلاف المناهج وفقا لهذا الاختلاف، ووجب اختلاف مجالات العمل كذلك تبعا لهذا الاختلاف.

ذلك لو كان الذين يخططون لتعليم البنات يصدرن عن فهم إسلامي أو حتى عن فهم ذاتي مبرأ من التدخل الأجنبي. أما أن يصير الأمر مجرد من مزاحمة للبنات مع الولد بحجة التمدين والتحضر حتى لو صادم ذلك فطرتها وطبيعتها بحيث ترى البنت مهندسة وصانعة وعاملة في الأفران فذلك لا يقره عاقل.

كذلك يسبق خطوة الاختلاط خطوة أخرى هو تعرية المرأة " المسلمة " أو كشف الحجاب عنها كذلك تحت دعاوي التحرر والتمدين وما حدث في الكويت الشقيقة منذ سنوات أقرب مثل. لقد كانت الكويت - وهي جزء من الجزيرة العربية. تفرض عاداتها الإسلامية الحجاب على المرأة.

وبغض النظر عن عن الخلاف الفقهي في صدد كشف وجه المرأة. فإن الأمر لم يقتصر على كشف الوجه بل كشفت المحارم التي لا خلاف على حرمتها.

وكان آخر ما قدمته الكويت المسلمة إخراجا لضعيف كبير مسلم إن رقصت فتياتها المراهقات بملابس قصيرة تكشف عن أفخاذهن وبأداء متكسر مشير أمام الضيوف الكبار الذين امتدت بهم الجلسة إلى ما بعد منتصف الليل.

وهكذا يسبق التحرر الاختلاط ليزول الحياء قبل الاختلاط فيسقط آخر مانع يحول دون اشتعال النار.

وهكذا ينزوي التعليم الديني.

مع ذلك الضجيج الهائل من حوله ومع ذلك التخريب الهائل من داخله وهكذا مثلت " الازدواجية " في التعليم تكتيكا مرحليا " مارسه أعداء الاسلام في الشرق الاسلامي المسكين ".

- وترتب على هذا الازدواج بالوضع الذي أشرنا إليه نتائج خطيرة:
- ١ - فهي أولاً أدت إلى تمزيق المجتمع الاسلامي.
 - بين طائفة العلمانيين الواردين من الخارج أو المتخرجين في الداخل.
 - ٢ - وهي ثانياً أدت إلى إبعاد العلمانيين عن الاسلام.
 - ٣ - هي ثالثاً جعلت الأمر إلى أيدي هؤلاء العلمانيين.
 - ٤ - هي رابعاً أدت إلى الازدراء من شأن الدين والازدراء بطلابه ومعلميه

ثانياً - العلمانية في الإعلام:

العلمانية في التعليم أقدم وأخطر.
والعلمانية في الإعلام أعم وأشمل ومن هنا تكمن خطورتها.
أن التعليم قد يخاطب الآلاف بمناهجه.
لكن الإعلام يخاطب الملايين ببرامجه.
وأكثر هذه الملايين ساذجة تؤثر فيها الكلمة.
مقروءة.

أو مسموعة.

أو منظورة.

فإن كانت طيبة كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.
وإن كانت خبيثة كانت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. من هنا كان اهتمام الاسلام بالكلمة وأمانتها.
فإما أن ترتفع بالمؤمن إلى معية سيد الشهداء.
وإما أن تهوي بقائلها في النار سبعين خريفاً.

وللأسف فإننا نستطيع باطمئنان أن نقرر:
أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفزيون
وسينما مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والاعراء بالجريمة، والسعي
بالفساد في الأرض بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة، وتحطيم
للأخلاق والقيم والمثل وهما (العقيدة والأخلاق) أساس لبناء
الاسلام فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء؟؟.
وتفاوت درجات الفساد في وسائل الإعلام تبعاً لهذه الوسائل
فهي في السينما أشد
يليها التلفزيون.
والإذاعة.
والصحافة.

كذلك تفاوت درجات الفساد بين أقطار الاسلام المختلفة.
قد يقول قائل ولربما كان الفساد في بلاد لا تجاهر به أشد
من بلاد أخرى تجاهر به، ففيها الزنى واللواط وأكل الربا وشرب الخمر
وغير ذلك من المنكرات.

ونقول ولقد يكون هذا صحيحاً لا يمارى فيه عالم ولقد
يكون علاجه واجبا ليس عن طريق الحدود وحدها، وإنما عن طريق
التربية الصحيحة والعلاج الاجتماعي بوسائله المختلفة. بالقدوة
والأخذ على يد المفسدين مهما كان مركزهم حتى لا تصير الحدود
قصراً على الضعيف دون الشريف.

ومع ذلك فلا يبرر ذلك أن تجهر بلاد بالفاحشة فإن
في ذلك إشاعة لها أيما إشاعة، أو تتعالن بلاد بالمعصية فإن في ذلك
إغراء بها أيما إغراء وهذا يساعد على سرعة الانتشار،
ويهون الجريمة على من يتردد في اقترافها ولذا كانت الحدود ردعاً
لهذا الشر أن يسري أن يستشري.

وليعلم الناس ما تفعله الصحافة في بلاد المسلمين نختار أربعة أمثلة من تواريخ مختلفة:

(أ) مقال نشر بجريدة السياسة الأسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ م ذكر فيه كاتب المقال أن بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوروبا وقد تلقى بعضهن العلم في الكلية الأمريكية - بالقسطنطينية وذكرت واحدة منهن " إن المرأة التركية اليوم حرة، فلن نسير في الطرقات في ظلام، وأنا نعيش اليوم مثل نساءكم الانجليزيات نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية، ونرقص، وندخن، ونسافر ومنتقل بغير أزواجنا " ويعلق كاتب الجريدة ولا يسع كل محب لتركيا إلا أن يغطها على هذه الخطوات.

(ب) في سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) استضافت أسرة تحرير الأهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقته التي تعيش معه في الحرام (سيمون دي بوفوار) ويجهر بهذا الفجور والفساد. ويدعي الرجال ويدعي النساء ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة وليسمعوا عنها السم الزعاف

(ج) ويبلغ الفجور في السبعينات أقصى مداه حين تنشر جريدة الأهرام عن ضبط بيوت للدعارة فيها نساء من بيوتات لم يكن يسمع عنها من قبل سوء.

وتنشر عن ضبط تلميذات صغيرات في هذه البيوت.

ثم تهون هذه الجريمة تحت عناوين مثيرة.

تلميذة في شقة مفروشة، إفتحوا أبواب الاختلاط في كل مراحل التعليم وأطلقوا الحرية للشباب تحت رقابة الأسرة والمدرسة ولا تهمنا البنت التي تنحرف من أجل فستان (١).

(د) وفي أحد أعداد مجلة النهضة الكويتية سنة ١٩٧٦ م تحقيق صحفي في سبع صفحات كبيرة مطرزة بصور مثيرة لفتيات شبه عاريات وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض: حصاد المعاكسات في أسواق الكويت - مغازلات معاكسات همسات نظرات إشارات أرقام تليفونات

سألت إحدى الصحفيات بعض فتيات الكويت اللاتي

أدلين بأسمائهن كاملة وقصصن ما يحدث لهن من تحرشات بأسلوب مكشوف حتى أن إحداهن () لم تستحي أن تصرح أن بائع الأحذية في كل مرة يقيس لها حذاء أو يخلعه يتحسس ساقيها كما أن بائع الملابس يمسك خصرها بكلتا يديه وتحكي أخرى (). أن الملابس تكشف كل شيء (لأنها شفافة) وخاصة عند طلوع الدرج داخل المحل لأن الأضواء توضع على الدرج فتكشف كل شيء في جسمها. هذا بالإضافة إلى زجاجة العطر التي سكبته على صدرها إلى جانب المكياج الصارخ الذي تزين به وجهها، ولا أدري لماذا تحرص على مداراته بطرف العباءة (الشفافة) بعد كل هذه الزينة التي وضعتها عليه. ولا ندري ماذا يستفيدة القارئ المسلم من مثل هذه التحقيقات إلا تزيين الانحلال والتهوين من أمره وتعليم من يتعلم. ونختتم القول بالتنويه بما أوصى به المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة المنعقد في عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م بمدينة رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم منددا بحال الإعلام في البلاد الإسلامية: " ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها إعلامنا ولا يزال يتردى، عن علم من القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم، فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير، ومنار إشعاع للحق صار صوت إفساد وسوط عذاب وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعوة إلى الحق ".
ثالثاً: - العلمانية في القانون:
" حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً " هذا مثل لأهمية الجانب القانوني في الإسلام.
وكما تكون طاعة الله في الشعائر لا بد أن تكون كذلك في الشرائع.
وكما يكون إشراك بالله في الشعائر، يكون كذلك إشراك بالله في الشرائع.
هذه كتلك لأن كلا من عند الله.
والرهبة لازم كالرغب في إقامة شريعة الله.
والرهبة تولدها السلطة.

والرغبة تولدها القدوة.
والاثنان يتحققان إذا كان الحكم للاسلام، وكان حكامه من
المسلمين من أجل ذلك كله كان حرص أعداء الاسلام على إبعاده عن
مجال السلطة ليحرموا الاسلام الرهبة والرغبة.
ومن ثم ليبقى مجرد هيكل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة
ولقد وضع ذلك مما فعلوه في العالم الاسلامي.
ولنأخذ مثلاً تركيا:

حين فكروا في إبعاده عن الاسلام بذلوا جهودهم " لعلمنة "
القانون وتدرجوا ففي كل عشر سنوات يتم علمنة جانب من جوانب
القانون منذ سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم صارت كل حوالي عشرين
سنة حتى تمت أكبر علمنة بإعلان إلغاء الخلافة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م).
وفي مصر:

اقرنت " علمنة " القانون بالاحتلال الأجنبي فكانت أول علمنة
سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) بعد الاحتلال بسنة واحدة واقرنت إلغاء
الامتيازات الأجنبية بشرط الأجانب الاستمداد من التشريع الغربي بعيداً
عن الشريعة الاسلامية ثم اقرنت إلغاء النص على أن دين الدولة هو
الاسلام في دستور مصر المؤقت سنة ١٩٥٨ م ثم في ميثاق العمل الوطني
سنة ١٩٦٢ اقرنت بأحداث داخلية يعرف عنها الكثير الكثير
وأكثر الدول الاسلامية - بكل أسف - تمت فيها علمنة القانون.
والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات
من كل جانب لعلمنة القانون، ويجري التمهيد لهذه العلمنة بما يجري
من " علمنة التعليم " و علمنة الإعلام فيوجد جيل علماني يقدر
القانون العلماني ويولد نتيجة الإعلام - رأي علماني يتقبل مثل
هذه العلمنة.

وهكذا عملت العلمانية من خلال التعليم، من خلال الإعلام
من خلال القانون
ولننظر كيف عملت " القومية في مواجهة الدين

ثانيا: القومية

علي عهد الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم آخي بين المهاجرين والأنصار على أساس من آصرة الاسلام وليس على أساس أي آصرة أخرى آخي بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثمي، وبين مولاه زيد وعمه الحمزة بن عبد المطلب، وبين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان.

ولما أراد أحد المسلمين أن يثيرها عصبية ونادى يا للأنصار فنادى الآخر ياللمهاجرين قال رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم غاضبا: أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم! في حديثه صلى الله عليه و (آله) وسلم أكد المعنى فقال: " ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية.

وكان من آخر وصاياه يوم حجة الوداع كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى!!

وعلى عهد الراشدين (رضوان الله عليهم) ضمت أرض الاسلام أكبر إمبراطوريتين على وجه الأرض الروم والفرس فما فضل عربي على عجمي لعروبتة أو جنسه أو لونه إنما كان الفضل بعد التقوى للعمل الصالح والعمل الصالح وحده وعرفت علوم الاسلام في فروعها المختلفة فقهاء وعلماء من الأمصار ليس فيهم من العرب إلا النزر اليسير (١).

(١) قال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بن موسى وكان ديانا شديد العصبية للعرب. من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن الحسن قال ثم من؟ قلت محمد بن سيرين قال: فما هما قلت موليان قال:

فمن كان فقيه مكة؟ قلت عطاء بن رباح ومجاهد وسعيد بن جبير وسليمان بن بسلة قال: فما هؤلاء؟ قلت موالي - قال:

فمن كان فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر ونافع بن أبي نجيح قال: فما هؤلاء؟ قلت موالي - فتغير لونه ثم قال:

فمن كان أفقه أهل قباء؟ قلت: ربيعة الرأي وابن أبي الزناد - قال فما كانا قلت

من الموالي
فما زال يسأله عن فقهاء اليمن وخراسان والشام وهو يجيبه بأسماء من الموالي حتى بلغ فقهاء الكوفة فقال والله لولا خوفه لقلت الحكم بن عقبة وعمار بن أبي سليمان ولكن رأيت فيه الشر فقلت: إبراهيم النخعي والشعبي قال فما كانا قلت عربيان.

(۷۵)

وفي الحديث عرفت أوروبا فكرة القومية ثم صارت متخلفة
عن العصر تشير إلى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر وصارت
دعواها بذلك دعوى رجعية لكن الأمة العربية ابتليت لها.
عرفت: ميشيل عفلق زعيما لحزب البعث العربي الاشتراكي.
وأنطون سعادة زعيما للقوميين السوريين.
وجورج حبش زعيما للقوميين العرب.
وقسطنطين زريق أحد الزعماء الآخرين (١)!
وهكذا لم تعرف القومية العربية زعيما ممن يحمل أسماء المسلمين
إلا واحدا لا يزال عمله في ذمة التاريخ (٢).
وعرض الكتاتيون في القوميات لما تقوم عليه القوميات من أسس
ليكشفوا عن عدم صلاحيتها فعرضوا لنظرية العرق التي قامت عليها
القومية الألمانية وما يزعمون عن العرق الآري الممتاز ليكشفوا عن أن
الألمان ليسوا شعبا خالصا بل خالط غيره.
وكذلك الشعب العربي خالط الروم والفرس والأتراك
وفي كتاب كفاحي لهتلر جعل الأمة العربية في الدرجة ١٣!
وعلى نفس المنوال عنصر اللغة.
فسويسرا تضم ٣ لغات.
والقارة الهندية تضم ٣٠٠ لغة.
وكذا سائر عناصر القومية من تاريخ وأرض ومصالح مشتركة ليس

(١) بشير معرب كتاب لعبة الأمم إلى أن: أكثر من تسعين بالمائة من قادة حركة القومية
العربية الأقحاح هم من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، ولا تزال هذه الجامعة
(وكانت تسمى سابقا الكلية الانكليزية السورية) ناشطة في تقديم مثل هذه الخدمات
لدول منطقة الشرق الأوسط ويشير نفس المؤلف لي أسماء زعماء القومية وكلهم من
المسيحيين!
(٢) أنظر كتاب في الزنزانة للدكتور جريشة بعض هذه الأعمال.

فيها عنصر خالص تقوم عليه القومية.
هذا كله بالبحث العلمي الهادئ.
فإذا أضفنا إلى ذلك ما لابس إثارة القوميات من أحداث تاريخية
لبان ما قدمنا له من أن القومية أحد العناصر التي استخدمها أعداء
الاسلام لإبعاد الأمة عن دينها.
إثارة القومية الطورانية في تركيا اقترنت بتمزيق تركيا وإبعادها عن
الاسلام وإثارة القومية العربية في البلاد العربية اقترنت بتمزيق دولة
الخلافة ومؤامرات لورانس ومكماهون قصدا إلى القضاء على
الجسد الاسلامي الذي أسموه يومئذ بالرجل المريض!!
حتى الجامعة العربية كانت كما يعرف كل من عاصر أحداث
العصر من صناعة وزير خارجية الإنجليز! لتكون بديلا عن الجامعة الاسلامية وفي
كتابات حديثة لكتاب غربيين أشاروا إلى أن
القومية العربية التي رفع رايتها في مصر زعيم كبير كانت بديلا هاما
عن الشعار الاسلامي الذي كان يهدد بثورة في المنطقة فكان الانقلاب
العسكري إمتصاصا لمشاعر الأمة المتوثبة للاسلام (١)!

نتائج الدعوة القومية:

وهكذا فإن تيار الفكرة القومية كانت مهمته أقصاء الاسلام وتفريغ
القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الاسلامي، وإحلال
فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته، واستبدال رابطة أخرى برابطته
لعزل الشعوب الاسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة
بعضها ببعض كصلتها بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية
أو الماركسية أو غيرها، والتي لم تكن تربطها بها أي رابطة، وبذلك تنقطع
الصلات بين الشعوب الاسلامية، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة
القرآن، والقيم الخلقية، ويقضى على الأخوة الاسلامية.
فما دام باب القومية قد فتح على المسلمين فقد كان طبيعيا أن تنتهي
إلى ظهور القومية الكردية في العراق والبنغالية في باكستان، بعد أن
أوصد الباب الذي يصل المسلمين بعضهم ببعض وهو الاسلام.

لعبة الأمم لمايلز كوبلاند - ص ٦٣ - ٦٥.

وقد شجعت الدول الأوروبية الكبرى على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الاسلامي. وخاصة بريطانيا وفرنسا، يثول (لورانس) منفذ سياسة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج، وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية، وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أصح: هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا بمثلها الأعلى الديني مثلها الأعلى الوطني هذا ما كان يجول في خاطري طول الطريق) (١). ومعلوم أن الثورة العربية على الأتراك قامت بتأييد بريطانيا ودعمها الأدبي والمادي، ودعم حليفها فرنسا، وقد ثبت أن عددا من الزعماء كانوا متصلين بالقنصليات الأجنبية لتلقي هذا الدعم. وينبه (جب) الأوروبيين إلى أن العالم الاسلامي المترامي الأطراف يحيط بأوروبا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم، ويشير إلى أن وحدة الحضارة الاسلامية تمحو من الأذهان حيثما حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومي لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الاسلامي والتقاليد الاسلامية. وحيث يتحدث عن الحركات القومية التي أيدتها دعايات الحلفاء القومية أثناء الحرب العالمية الأولى ينبه إلى أن هذا النصر التي حققته الاتجاهات القومية في الشرق الاسلامي يجب أن لا يصرف الغرب عن الانتباه إلى تيار المعارضة الاسلامية الخفي، الذي يعارض في تفتيت الوحدة الاسلامية إلى قوميات علمانية، مبينا أن هذه المعارضة الاسلامية هي أشد قوة في البلاد العربية. ويقول (جب) في صراحة تامة: (وقد كان من أهم مظاهر فرنجية العالم الاسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن. فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا ومصر وأندونيسيا والعراق وفارس، وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دورا مهما في تقوية الوطنية الشعبية وتدعيم مقوماتها) (٢).

(١) لورانس: أعمدة الحكم السبعة.

(٢) في كتاب (وجهة الاسلام).

وهذا يعلل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية - في الشرق الاسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيها، وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم السابق على الاسلام لتلاميذ الدارس وأخذهم بتقديسه، والاستعانة على ذلك بالأناشيد، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلتقي فيها قلوب المسلمين بزي خاص - ولا سيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهره (١).

بين العروبة والاسلام وفضل العرب:

إذا كنا ننكر المبادئ العنصرية والقومية، فإننا نرحب باتحاد العرب وتعاونهم وتمتين أواصر القربى بينهم على أساس الاسلام فالعرب هم مادة الاسلام، بلسانهم نزل القرآن الكريم، ومنهم اصطفى الله عز وجل الرسول الذي بعثه إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. ولهذا فلا يمكن فصل العروبة عن الاسلام، أو فصل الاسلام عن العروبة، وليس عجباً أن يكون تفكير العربي الصادق في عروبه تفكيراً إسلامياً.

ومن هنا كان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفراً أو سبباً للكفر، وهذا معناه أن العرب أفضل الأمم وأن محبتهم سبب قوة الإيمان كما يقول أبو العباس ابن تيمية (رحمه الله) مستدلاً بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم: (حب "أبي بكر وعمر" من الإيمان وبغضهما من الكفر، وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر) (٢).

كما جاء في حديث آخر (فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم).

وقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي رضي الله عنه: (يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك). فقال سلمان يا رسول الله،

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (١٥٦) (القرب في محبة العرب) للحافظ العراقي.

كيف أبغضك وبك هداني الله، فقال صلى الله عليه و (آله) وسلم (تبغض العرب فتبغضني).

ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضل العرب أن يجعلوا عمادا يتكفل حوله ويوالي عليه ويعادي عليه وإنما ذلك من حق الاسلام الذي أعزهم الله به، وأحيا ذكركم ورفع شأنهم، فهذا لون وهذا لون، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم، وما من الله به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم وإرسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدمهم عند الله في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة إذا لم يؤمنوا كما يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز (١).

موقف الاسلام من الدعوة القومية:

إن مبادئ الاسلام ومبادئ الغرب متباينة كلياً في باب القومية، فالذي يعتبره الغرب مصدر القوة هو مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الاسلامية، كما يقول شاعر الاسلام محمد إقبال: (لا تقس أمم الغرب على أمتك، فإن أمة الرسول الهاشمي صلى الله عليه و (آله) وسلم فريدة في تركيبها أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل، ولكن إنما يستحکم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

لهذا كان من غير المعقول ولا من الممكن، كما يقول الأستاذ المودودي أن توجد في الأمة الاسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان، كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة، ومن كان مسلماً وأراد أن يبقى على إسلامه فلا بد له أن يبطل في نفسه الشعور بأي أساس غير أساس الاسلام، ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب

وأخوف ما كان يخافه الرسول صلى الله عليه و (آله) على المسلمين أن تظهر فيهم العصبية الجاهلية فتفرق كلمتهم فكان يقول لأصحابه دائماً: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض).

ولا يمكن بقاء الرابطة الاسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية، ومن المغالطة الزعم بن إحداهما تساير الأخرى ولا تضرها،

(١) نقد القومية العربية ص (٢٠) و (٢١).

فعندما بدأ المسلمون في هذا الزمان يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم متأثرين بالأوربيين صار العربي يتغنى بعروبته، والمصري ينتسب إلى الفراعنة، والتركي يتباهى بعجابه بتركيته ويحاول أن يصل نسبه بهولاكو وجنكيز، والفارسي يقول لشدة انفعاله بنعرتة القومية أنه لم يكن من تأثير (الإمبراطورية العربية) إلا أن صار علي والحسن والحسين رضي الله عنهم - أبطاله وإلا لكان رستم واسفندار وأنوشروان أحق أن يكونوا أبطاله القوميون في حقيقة الأمر وقد بدأ ينشأ في الهند مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية، بل فيهم من يريدون أن ينقطعوا عن ماء زمزم ويتصلوا بماء نهر جنجا، وفيهم من تبعثهم أهواؤهم على اتخاذ (بهيم) و (أرجن) و (رام ها) أبطال الهندوس القدماء أبطالهم القوميون وليس هذا كله من هؤلاء السفهاء الراكبين رؤوسهم إلا لأنهم ما عرفوا ما يملكون من الحضارة وما يملكه الغرب وما تبينوا ما بينهما من الفرق الجذري، لأن عيونهم كليلة عن المبادئ والحقائق فلا ينظرون إلا إلى السطح، ويهر عقولهم ما يجدونه بارزا عليه من الفقايع والألوان الظاهرة ولا يعلمون أن الشيء الذي هو ماء الحياة للقومية هو نفسه، السم الزعاف للرابطة الاسلامية (١).

إن بطلان الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات مما هو معلوم من رين الاسلام بالضرورة، لأنها منكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للاسلام وأهله، وذلك من وجوه أربعة:

أولاً: لأنها تفرق بين المسلمين وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي بل تفرق بين العرب أنفسهم وتقسمهم أحزاباً، فهي بذلك تخالف مقاصد الاسلام الذي يدعو إلى الاجتماع والوئام قال تعالى:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

ثانياً: لأنها من أمر الجاهلية فهي تدعو إلى غير الاسلام، وكل ما خرج عن دعوة الاسلام والقرآن من نسب وبلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، كما يقول الشيخ ابن تيمية " رحمه الله " مستشهداً بقوله صلى الله عليه و (آله) وسلم: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم) والنصوص في ذلك كثيرة منها ما رواه مسلم أن النبي صلى

المودودي (بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية) ص ٦٨.
الله عليه و (آله) وسلم قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من غضب لعصبية). وقوله: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يغني أحد على أحد، ولا يفخر أحد على

أحد). ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية،
ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضا أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى
البغي والفخر وإنما فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها
والتعصب لها.

والاسلام بخلاف ذلك فهو يدعو إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله وأن يكون المسلمون الصادقون من كل أجناس بني آدم حسدا واحدا وبناءا واحدا يشد بعضه بعضا ويألم بعضه لبعض وفي الحديث الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ويشبك بين أصابعه) و (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). وفي حديث الحرث الأشعري أن النبي صلى الله عليه و (آله) وسلم قال: (وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شهر فقد خلع ربة الاسلام من عنقه إلى أن يراجع، ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى (١) جهنم، قيل يا رسول الله (وإن صلى وصام) قال: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله). وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأدلة وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعواتها أن يكونوا من جثى جهنم.

ثالثا: لأنها تؤدي إلى موالاتة الكفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم وفي ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

(١) جمع جثوة وهي الشئ المجموع وقوم جثى جلوس (٥١) لسان العرب يقول شاعر القوميين:

سلام على كفر يوحد بيننا * وأهلا وسهلا بعده بجهنم

أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم) (١).
الآيات

والقوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يعود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ويقولون أن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم والله عز وجل يقول:
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة). إلى قوله: (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل). (٢) ونظام القومية يقول كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم والله سبحانه وتعالى يقول: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء آؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده). وقال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (٣).

وشرع دعاة القومية يقول أقصوا الدين عن القومية، وافصلوا الذين عن الدولة، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركو مصالحكم وتستردوا أمجادكم، كأن الاسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية.
وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه و (آله) وسلم وبعده إلى يومنا هذا إخوانا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم إلى يومنا هذا هذا والله أبطل الباطل وأعظم الجهل. وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه.

رابعا: لأن الدعوة للقومية تفضي بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن

(١) المائدة ٥١

(٢) الممتحنة ١ - ٤

(٣) المجادلة ٢٢

الكريم لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن. فيوجب هذا لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام (١).
وأخيرا فينبغي ألا ننسى أن القومية قد اقترنت في التاريخ الاسلامي الحديث بالعمالة للاستعمار، كما اقترنت بالعداء للاسلام، كما ظهر مما قدمناه من مؤامرة لورانس وأمثاله.

(١) ابن باز: نقد القومية العربية (ص ١٠ - ٢٩).

ثالثاً: تحرير المرأة
كما كانت العلمانية شعاراً خادعاً يخفي وراءه الحرب على
الدين.
وكما كانت القومية شعاراً خادعاً كذلك يستعمل في مواجهة
الدين.
فلقد رفع هذا الشعار " تحرير المرأة " بقصد اجتذاب المرأة
المسلمة واستخدامها حرباً على دينها.
وأول من أوصى به أحد مؤتمرات التبشير
وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة
ثم تبعهم المستشرقون.
وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم وهم في شرقنا
الإسلامي كثير
ماذا يقصدون بالتحرير
التحرير لا يكون إلا من عبودية؟
فهل كانت المرأة المسلمة كذلك؟
إن المسلم لا يعطي العبودية لمخلوق بل يعطيها للخالق وللخالق
وحده، ومن ثم فإنه أكثر الناس تحرراً من عبودية المخاليق سواء كانت
آدمية، أو كانت مالا، أو جاهاً، أو سلطاناً أو غير ذلك من متاع الحياة
الدنيا
والمرأة المسلمة لها ما للرجل " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
واللرجال عليهن درجة " (١). هذه الدرجة ليست درجة العبودية أبداً ولن

(١) البقرة ٢٢٨

تكون، لكنه أمر اقتضاه التنظيم، أن يكون للسفينة ربان واحد لا ربانان،
وإلا لغرقت السفينة بمن فيها
ولقد سبقت المرأة غيرها من النساء
وكانت لها الشخصية القانونية المستقلة.
تتعامل باسمها دون حاجة إلى اعتماد تصرفها من أحد، بينما
ظلت المرأة الفرنسية لا تتعامل باسمها وحده بل لا بد من إجازة الزوج
لتصرفها وذلك إلى عهد قريب
فماذا يعني التحرر أو التحرير بعد ما أعطاهها الإسلام ما لم
يعطها نظام آخر.
قالوا: أنه يعني تحريرها من بيتها.
وتحريرها من زيها.
قلنا: وبماذا يخدمهم تحريرها من بيتها، وتحريرها من زيها
وبعبارة أخرى كيف يمكن من خلال هذا وذاك إبعاد الأمة عن الإسلام.
المرأة بلا شك نصف المجتمع.
وهي نصف خطير.
لأنه يؤدي رسالة خطيرة وإن غفل عنها الكثيرون.
إن الذين يتخرجون من المدارس والجامعات يمكن تعدادهم ويمكن
إن يوجد غيرهم لم يتخرجوا من هذه أو تلك أما الجامعة التي لا بد
أن يتخرج منها كل مسلم بل كل انسان فهي الأم.
فإن صلحت صلح خريجوها.
وإن فسدت فسدت خريجوها.
وتحرير المرأة من بيتها يعني إغلاق هذه الجامعة
وإذا كانت هذه هي الجامعة الأولى التي خرجت من قبل تلك الأجيال
العظيمة التي حملت إلينا الإسلام، بل حملته للدنيا كلها.
فإن إغلاق هذه الجامعة يعني انعدام الخريجين من ذلك
الطراز ويعني غلبة الخريجين من طراز آخر

ولقد رأينا في عصرنا بداية الثمار.
رأينا ممن تسلطوا على فكر هذه الأمة بل وعلى سلطانها
من كانت أمه راقصة في ناد ليلي.
وأخرى تعمل في الغناء.
وليس بين الاثنين كبير اختلاف
أما ماذا يعني تحريرها من زيها.
فإنه يعني كشف ما أمر الله أن يستر، وهتك ما أمر الله أن يسان.
يعني عرضا رخيصة لسلعة غالية صانها ربها وصانها
الاسلام.
يعني إثارة اللحم والدم وهو أمر لا يستطيع أن ينكره
إلا غبي أو متغاب.
فإذا أضفنا إلى تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيها
كانت النتيجة نتيجة الاثنين غير نتيجة الواحدة.
إن التحرر من البيت وحده قد يكون له النتيجة السلبية
الخطيرة السابقة وهي حرمان الأمة من جامعة تخرج أجيالا
وأن تحرر المرأة من زيها وحده قد تكون له النتيجة الإيجابية
الخطيرة السابقة وهي الإغرار بالفاحشة والدعوة إليها.
لكن التحريرين قد يعنيان فوق النتيجتين السابقتين مجتمعتين.
نتائج أخرى أخطر وأشد إن أولها بلا شك انحلال المجتمع
وسقوطه بسقوط قيمه وأخلاقه ومثله
إن فرنسا - غير الاسلامية وصاحبة الإمبراطورية الكبيرة
سقطت تحت أقدام ألمانيا - على مدى أسبوع واحد وهي.
كما صرح رئيس وزرائها، أن فرنسا هزمها الانحلال قبل أن يهزمها
الاحتلال.
فما بالناس بأمة إسلامية أساس نظامها عقيدة وأخلاق
وما بالناس بأمة إسلامية لم تصل بعد من ناحية القوة المادية
إلى ما وصلت إليه فرنسا وأمريكا

إن إشاعة الانحلال - في الأمة الإسلامية - عن طريق تحرير المرأة من بيتها وزيتها يعني أن الأمة الإسلامية وهي بعد لم تقف على قدميها تماما كما الطفل بمرض خطير لا يستطيع أن يقاومه الرجل الكبير

إنها جريمة كبرى خيانة عظمى يقارنها كل من يدعو إلى هذا السبيل بالكلمة أو الصورة أو القدوة السيئة.

وفي عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) طالب " جوزيف ريد " المدير العام لهيئة رعاية الأطفال في السوق السوداء حيث يباع سنويا خمسة آلاف طفل وكلهم - بكل أسف - جاءوا من سفاح ويجري الاتفاق مع الفتيات اللاتي حملن بهمن من غير زواج مقابل مبلغ من المال إلى جانب التكاليف الصحية والسكنية (١)

أي جيل يكون ذلك الذي لا يعرف له أبا ولا يعرف له أما كذلك؟

أي ارتداد إلى عصر الرق ذلك الذي يباع فيه الأطفال ويشترون؟

ترى هل يخرج لنا تحرر المرأة في شرقنا الإسلامي

ما أخرجه في ذلك الغرب الصليبي؟

وهل نقم منا الغرب أن كانت لنا روابط أسرية متينة يقوم

عليها بإذن الله مجتمع متين؟

أم نقم منا الغرب أن لنا دينا هو سر ابتعائنا بين الحين والحين.

فخشي هذه الابتعثة ورغب لنا في رقدة لا نهوض بعدها ولا قيام؟

أما المرأة الريفية:

فلم يشأ المخططون لتغريب المسلمين أن يتركوها في حالها

وحياتها أصروا على أن يغزوها في عقر دارها لينهبوا بما بقي

من حياتها لتشارك أختها في المدينة ما وصلت إليه من مدنية

تحت ستار الأمم المتحدة انطلقت أمريكا تغزو الريف المسلم (باسم

(١) مجلة المجتمع - العدد ٢٤٩ - ٢ جمادى الأولى ١٣٩٥ - ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ م
نقلا عن وكالة اليونيتدبرس - واشنطن.

التربية الأساسية).
أما ما التربية الأساسية
فهي كما عرفها أحد سدنتها حامد عمار في بحث ألقاه
في مؤتمر أمريكي منهج من مناهج الاصلاح الاجتماعي لرفع مستوى
المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية (وتغيير الأفكار والنزعات).
وفي مكان آخر تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير
الأفكار والنزعات والاتجاهات (١).
وفي سرس الليان مصر - مركز للأمم المتحدة.
أما قضايا المرأة:

التي يتعمدون إثارتها بين الحين والحين ليظهروا بمظهر المدافعين
عن المرأة المحبين لمصلحتها فزوبعة في فئجان فنسبة الطلاق في
البلاد الاسلامية ضئيلة.
ونسبة التعدد أشد ضآلة.

بما لا يصح أن يرتفع الصوت معها كأنها مشكلة أو قضية (٣)
ولئن كانت هناك قضية أو مشكلة فهم سببها.

حين تسببوا بوسائل إعلامهم في تصديع البيوت وفي إثارة
المشاكل وحين تسببوا بدعاوى المساواة العريضة في أن لا يكون للبيت
قوامة وأن يكون فيه رئيسان الرجل والمرأة ورئيسان في مركب واحد
يغرقانه (كما هو المثل).

(١) حصوننا مهددة من الداخل - للدكتور محمد محمد حسين - الناشر مكتبة المنار الاسلامية -
الكويت ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

(١) في حديث الحبيب بورقيبة بأهرام ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٥ م صرح الرئيس بأنه أصدر
في سنة ١٩٥٦ م قانونا بمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة
سنة واحدة وغرامة مالية (٢٤٠) ديناراً وفي مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط
متلبساً بجريمة الزواج بثانية، ولم يخل سبيله إلا بعد أن قرر أن هذه الثانية خلية وليست
زوجة وهكذا يطيب لبعض الحكام أن يحرموا ما أحل الله وأن يحلوا ما حرم الله ألا
سواء ما يزرون

ثم حين ساندوا وساعدوا انحلال الأخلاق وانفلتت من قيود
الدين فلم يعد الرجل يخشى الله في المرأة ولم تعد المرأة تخشى
الله في الرجل

فدب الخلاف والشقاق

والحل ليس تحررا من الدين أو مزيدا من التحرر

وإنما عودة إلى الدين والتزام بضوابطه وأخلاقه

تصير المشكلة محلولة

" وفي أنفسكم أفلا تبصرون (١) "

" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٢) "

*** هذه شعارات الغرب ووسائله

لإحداث التغيير الاجتماعي فينا

علمانية:

في التعليم.

في الإعلام.

في القانون.

قوميات:

تمزق الأمة الواحدة

وتمزق الدولة الواحدة.

تحرير المرأة:

ليسقط المجتمع في حمأة الرذيلة.

ويقضي بنفسه على نفسه.

ولو نجحت هذه الدعوات فماذا يبقى لنا من الاسلام؟
وإذا نجحت فماذا يبقى في مجتمع لم يقف بعد على قدميه؟
لقد استجاب لها الطامعون في السلطة.
واستجاب لها الراغبون في السقوط لأنهم لا يقدر
على الارتفاع.
واستجاب لها السذج الجاهلون الذين حسبوها علاجاً
لهذا الشرق الاسلامي من تخلفه وعدم نهوضه.
وبقي أن ينهض العالمون والصادقون ليفضحوا المخطط الأثيم
للقضاء على الاسلام والمسلمين
بقي أن ينهض العالمون الصادقون ليقوموا بما قام به من قبل
نبيهم ورسولهم محمد عليه و (آله) الصلاة والسلام فهم خلفاؤه على
ميراثه وهم الأمناء على رسالته وهم أمل الأمة الباقي بعد
أن تردى غيرهم وسقط في الشرك ولنكمل الصورة أو نقرب بها من الكمال نقدم
لامتنا بعضاً مما فعل ويفعل الصليبيون؟

المبحث الرابع

ما يفعل بنا الصليبيون

لسنا نشير أحقادا فنحن على استعداد أن نعاملهم بما أمرنا به القرآن إن كفوا عن قتالنا وقتلنا، وإخراجنا من ديارنا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم (١)). فإن لم يكفوا عن قتالنا وقتلنا، وعن إخراجنا وتشريدنا (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢)).

ولن نأتي من القديم

لنذكر قومنا: بما فعلوه يوم دخلوا بيت المقدس فذبخوا فيه سبعين ألفا من المسلمين حتى غاصت الخيل إلى صدورها في دماء المسلمين (٣). ولا بما فعلوه في الجزائر حين قتلوا مليون شهيد ولا بما يثيرون من أحقاد حين يحفظون جندهم " أنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة، لأحارب الدولة الإسلامية التي تجيز البنات الأبقار للسلطان!! سأقاتل بكل قوتي لأمحو القرآن (٤).

(١) الممتحنة ٨، ٩

(٢) الشعراء ٢٢٧

(٣) حاضر العالم الإسلامي - الكاتب الأمريكي ستودارد ص ٢٠٨ وحضارة العرب للكاتب الفرنسي غوستاف لوبون ص ٣٢٦ - ٣٣٠

(٤) نشرت هذا النشيد مجلة الرابطة الشرقية السنة الثالثة العدد الثاني ٢٥ جمادى سنة

١٣٤٩ وقد تقدم في مبحث التبشير ص ٣٣

ولا بما يخططون له حين يقول قادة فكرهم " إن جزيرة العرب التي هي مهد الاسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية " وحين يكمل آخر: " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة لم يبعده عنها إلا - محمد - وكتابه.

وحين يضع لهم أحد فلاسفتهم الحل النهائي فيقترح أن يباد ثلثا المسلمين وينفى الثلث الثالث، وتهدم الكعبة وينقل قبر الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم إلى متحف اللوفر (١). سنترك هذا وغيره جانبا.

لنذكر قوما بما يجري الآن حيث يدعون أنهم تخلوا عن عصبيتهم أو صليبيتهم.

١ - في الفلبين:

يتعرض المسلمون في الفلبين لحرب إبادة لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلا

فهم يجلون من قبل الصليبيين عن أراضيهم التي خصها الله بالخصب والنماء، فإن رفضوا تعرضوا للإبادة من قوات الجيش الفلبيني التي لا تكتفي بمجرد الحرب الشريفة بل تستعمل كل وسائل الإبادة الممنوعة مثل الغازات والنابال، ثم هي بعد ذلك تمثل بالحث وتنتقم من الجرحى والأطفال والنساء.

وفي بيان للأخ عبد الباقي أبو بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجهة تحرير مورو مؤرخ ٢٩ مارس سنة ١٩٧٦ م ينقل عن عمدة بانكوك محمد صالح عثمان قائد المجاهدين الذي لا يزال يقاوم الحصار منذ ١٦ شهرا والآن - يعزز الجيش الحصار ب ٨ كتائب جديدة غير قوات الطيران التي تقصف المنطقة ليلا ونهارا والبواخر التي توجه ضرباتها المركزة من المدافع الفتاكة بدون انقطاع وفي مرارة يختم

الفيلسوف الفرنسي كيمون.

كلامه: يبدو لي أن المسلمين في العالم لم يعرفوا حقيقة الوضع الذي نعيشه أو أنهم يتجاهلوننا، ثم يقول أمين عام الجبهة وكتيبة لهذه المعارك التي لا تزال دائرة للآن قتل ما لا يقل عن ٥٠٠٠٠ مسلم ثم يقول: " وماركوس يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من المسلمين ولكنه يريد أن يسرق المسلمين ويسرق أنظار العالم (١) ".

٢ - في أثيوبيا:

كان أسد الحبشة يضطهد المسلمين اضطهادا شديدا، فرغم أنهم في حقيقة الأمر يمثلون أغلبية البلاد، فإن أحدا منهم لا يشترك في الوزارة ولا في الحكم، بل ولا يسمح له بارتقاء منصب قيادي من أي لون، ولقد صارت سجون أثيوبيا مقابر للمسلمين الذين يجأرون مما هم فيه، ولأسد الحبشة هواية في تعذيب المسلمين أنه يأمر بربط أيديهم إلى أرجلهم ويبقون على هذا الحال سنين حتى تتقوس ظهورهم وتأخذ شكل المنحنى، فإذا أفرج عنهم لم يستطيعوا المشي إلا على أربع

وكننا ننتظر بعد ما أسقط الإمبراطور بانقلاب عسكري أن النظام سوف يتغير لكن الحقيقة أن القبضة العسكرية الحاكمة اشتدت على المسلمين حتى أن تقريرا عرض على المجلس العسكري وتم إقراره يصرح: لقد حان الوقت أن نعرف جيدا من هم أعداءنا، لقد اختار العرب وعملاؤهم أن يكونوا أعداءنا وعلينا أن نعاملهم على هذا الأساس (٢). أن المجازر التي يتعرض لها الثوار المسلمون في أريتيريا أمر يحرك كل ذي ضمير أو مروءة " لكن أين المروءة " لقد خفت حتى اختفت.

٣ - المسلمون في تايلاند:

نشرت مجلة الاعتصام القاهرية أنه:

(أ) في ١٦ نوفمبر ١٩٧٦ قامت السلطات التايلاندية

(١) مجلة المجتمع العدد ٢٩٦ - السنة السابعة ٢٠ ربيع آخر ١٣٩٦ - ١٠ إبريل سنة ١٩٧٦

(٢) مجلة المجتمع العدد ٢٩٧ - السنة السابعة ١٣٩٦ - ١٦ إبريل سنة ١٩٧٦

بهدم المسجد الكبير في ولاية (بنارا) في إطار مخطط يستهدف إزالة الآثار الاسلامية، ومنع المسلمين من إقامة شعائرهم الدينية وتشجيع ممارسة البوذيين لطقوسهم أمام المساجد وبناء الأصنام في كل المدن بالولايات الاسلامية الأربع في فطاني
(ب) قام خمسة أشخاص من المنشأة البحرية التايلاندية بذبح خمسة من القرويين المسلمين الأحياء، ومثلوا بجثثهم ثم قذفوا بها في البحر في محافظة تلوية في ولاية فطامي.
انطلقت مظاهرة احتجاج تعرضت لها القوات التايلاندية سقط فيها عشرون شهيدا وجرح فيها المئات
(ج) قامت العصابات التايلاندية في الفترة الأخيرة بحرق إحدى قرى المسلمين في محافظة (جاها بولاية جالا) وتسعى العصابات البوذية إلى تشجيع هجرة البوذيين من شمال البلاد إلى الجنوب الاسلامي وإقامة مستعمرات فيها.

*** وبعد فهل نجح الغرب في حربه الفكرية لنا؟

أولا: بالنسبة للأسلوب

حين نجح انقلاب " كمال أتاتورك " العسكري واستطاع أن يحقق للغرب ما كان يبغيه سلم الحلفاء في اتفاقية لوزان باستقلال تركيا.

ذلك أنه بإلغاء الخلافة الاسلامية في تركيا سنة ١٩٢٤ تحقق أمل بعيد للصليبية ومن ورائها حاربت من أجله دهرا طويلا.
وحاول كمال أتاتورك بعد ذلك سلخ تركيا من إسلامها بما فرضه من علمانية التعليم وعلمانية القانون، وتحرير المرأة المسلمة التركية واختلاط بينها وبين الرجال في كل المجالات، ثم بما فرضه من إلغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية ومن محاولته تغيير الزي بالقوة.

وعد ذلك كله نجاحا شجع الغرب بعد ذلك على مزيد من الانقلابات العسكرية في المنطقة الاسلامية بهدف إبقاء السيطرة أو القوة التابعة له لتنفيذ البرنامج أو المخطط الموضوع لإبعاد المسلمين عن دينهم وتحقيق التغيير الاجتماعي أو ما يطلق عليه التغريب. لكن المراقبين لمجريات الحوادث أحسوا بقصور التجربة الكمالية في تركيزها على جانب القوة فنصحوا إلى جوارها بمحاولة تثبيت النتائج التي تصل إليها الانقلابات العسكرية وتعميقها في الشعوب (١)

وحسبنا ذلك انتقادا لانقلاب أتاتورك فإذا أضفنا إليه أن ما بلغه كمال أتاتورك لم يغير شيئا من الشعب التركي بل أنه على العكس من ذلك زاده استمساكا وتصميما وأنه لولا ظروف تركيا الدولية وإحاطة الأعداء بها من كل جانب لكان للشعب من أتاتورك وغيره من الأتاتوركيين شأن آخر. وهناك أمر لا يزال غائبا عن أولئك الذين يجرون التغيير أنهم يحاولون تبديل بناء بناء

يحاولون هدم البناء القديم وإقامة بناء جديد. إن الانقلابات العسكرية تلجأ في وسيلتها للتغيير إلى العنف والقوة والقانون الطبيعي أن كل فعل له رد فعل مساو له في القوة ومضاد، له في الاتجاه والقانون الطبيعي كذلك أن زيادة الضغط تولد الانفجار. ولعلمهم يتغلبون على ذلك بالتغيير من حين لآخر إمتصاصا للبخار الحبيس أن يؤدي إلى الانفجار لكن التوقيت قد يخطئهم فيحدث الانفجار قبل التوقيت الذي ضربوه، وعلى نحو لا يستطيعون السيطرة عليه ولا على نتائجه.

(١) يشير إلى هذا المعنى مورو بيرجر ص ٣٢٥ حين يقول: وقد يتطلب تعميق هذا المعنى وتحويله إلى رغبات وأذواق ومشارب تلقائية حرة عملية تثبيت طويلة تعنيفا بوسائل أقل تعنيفا وتحكما وذلك بعد إشارة إلى التغيير الاجتماعي بالطريق العسكري - كتاب العالم العربي اليوم - المرجع السابق.

ونهدى إلى الغرب قول عصمت اينونو وهو في مرض موته إنني لا أكاد أصدق ما أرى لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الاسلام من نفوس الأتراك وغرس مبادئ الحضارة الغربية مكانه فإذا بنا نفاجا بما لم نكن نتوقعه لقد غرسنا العلمانية فأثمرت الاسلام (المجتمع العدد ٢٥٦ ٢١ جمادي الثانية ١٣٩٥ هـ يوليو ١٩٧٥ م).

وأخيرا لقد انكشف هذا الأسلوب وتعرى وأساء العسكريون إلى أنفسهم وإلى الذين يعملون لحسابهم وأساءوا أكثر مما أحسنوا. وإذا كان الغرب بحصافته قد أدرك فشل الأسلوب القديم. أسلوب احتلال الشعوب بالقوة العسكرية، فعليه - بحصافته - أن يدرك قبل فوات الأوان فشل الأسلوب الجديد أسلوب تغيير الشعوب بالقوة العسكرية عن طريق الانقلابات العسكرية.

هذا عن الأسلوب الجديد
فماذا عن الهدف الجديد؟

ثانيا: بالنسبة للهدف

كان الغرب " ذكيا " حين أدرك في وقت مناسب أو متأخر أن التنصير كهدف لحملته الفكرية المؤيدة بالقوة العسكرية خارجية أو داخلية أن ذلك الهدف فشل وأنه برغم الجهود الضخمة البشرية والمالية والإعلامية والتعليمية فإن النسبة التي تم تنصيرها من المسلمين نسبة تافهة يمكن أن تلحق بالعدم لتكون النتيجة سلبية تماما! لذا كان البديل عن التنصير وإخراج المسلمين عن دينهم هو التغيير والاكتفاء بإبعاد المسلمين عن دينهم. وهو ما تبذل له الجهود اليوم من تعليم علماني، وإعلام علماني، وقانون علماني، وتحرير المرأة من زيها ومن بيتها ثم ما يبذل من حط لقيمة - الدين وقيمة علمائه ودعاته.

فهل يا ترى نجح الهدف الجديد؟

نجاح أمر يتعلق بالأمم والشعوب لا يحكم عليه في سنين ولا في جيل فقد لا تظهر نتيجته إلا بعد أجيال قد تكون النتيجة الواضحة أن التغريب نجح في إبعاد المسلمين عن دينهم بما فيه من قيم إيمانية وقيم أخلاقية، وقيم قانونية وأن المسلمين استبدلوا به من قيم الغرب حتى في عاداتهم وفي لبسهم وفي طريقة أكلهم وشرابهم. في تعاملهم و " أتيكيتهم " !
لكن هذه النتيجة مشكوك في صحتها.

إنه على قدر عمق التغيير " الاجتماعي " الذي حدث استبدالاً
بقيم الاسلام قيم الغرب وتقاليده فلقد حدث على نفس العمق
أكبر استمساك وإصرار على النظام الاسلامي عقيدة وأخلاقاً وعبادة
وقانوناً وماج العالم الاسلامي بحركات كثيرة وعميقة وأحياناً عنيفة
تدعو إلى الاسلام كمنهج متكامل للفرد والأسرة والمجتمع والدولة!
وبدا أن الجمر يتقد تحت الرماد
فهل يتركونه حتى يكون ناراً يحرق وفي نفس الوقت نوراً
يضيء.

أم يحاولون أن يأخذوا نوره وأن يتقوا ناره؟
على الذين يمارسون التغيير أن يحذروا
فقد تصيبهم النار قبل أن تغطي عيونهم النور وعليهم أن
يغيروا من هدفهم فلقد انكشف للناس
وخير للغرب أن يتعد عن فتنة المؤمنين عن دينهم فإن
السهم قد يرتد أول ما يرتد إلى صدره، وقد تصيبه النار قبل أن
يرى النور خير أن يحتفظ " بصدقة " الشرق الاسلامي، ويحافظ
على مصالحه الاقتصادية والتجارية فيه من أن يصر على التغيير
فيفقد هذه المصالح ويجني العداة إلى الأبد
إن المسلمين لا يعادون الذين لا يقاتلونهم في الدين ولا يخرجونهم
من ديارهم بل إنهم على العكس يسالمونهم، ويبروهم، ويقسطون
إليهم فذلك أمر دينهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين (١)).

لكنهم في نفس الوقت ينقلبون مع الزمن، طال أو قصر، إلى
أسود غضاب إزاء من يقاتلهم في دينهم ويفتنهم فيه وإزاء من يخرجهم
من ديارهم ويسلبهم أوطانهم ذاك أمر ربهم (إنما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم
أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٢)).

(١) المجادلة ٨

(٢) المجادلة ٩

خير للغرب أن يدرك أنه يمكن لحضارته أن تعيش إذا تركت
حضارة الاسلام كذلك لتعيش وأنه يمكن للحضارتين أن يتعايشا
(لكم دينكم ولي دين (١) وأنه خير أن تتعايش الحضارتان من أن
تصر حضارتهن على العيش وحدها
فتفتنى بإذن الله وحدها

لأننا نؤمن أن الله حافظ دينه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون) (٢)، (والله متم نوره (٣)، (ويأبى الله إلا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون (٤) - فأى الطريقين يختارون؟
ولا يخشى الغرب أن يغزوا الاسلام مرة أخرى
فحسبنا اليوم وسائل الإعلام.

وحسبنا اليوم وعي الناس.
وحسبنا اليوم أن نترك لهم الخيار فإنه (لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي (٥).

وحسبنا درس الامتداد العضوي الذي مارسه تركيا من غير
بسط فكري ولا عقائدي

فارتد المد جزرا أصاب الأمة في كبدها وفي قلبها
حسبنا الدرس التاريخي أن نكرره مرة أخرى.

وحسبنا أن ننظم بيتنا ونضمد جروحنا ونستعيد أنفسنا
فأمامنا لذلك سنين إن لم يكن قرون!

ولا نترك هذا التعقيب حتى نقول لأبنائنا وأخوتنا ممن
لا يزالون منخدعين وإن كانوا قلة فإنهم أعزاء علينا أن يفارقونا،
وفارقوا قومهم نقول لهم

(١) الكافرون ٦

(٢) الحجر ٩

(٣) الصف ٨

(٤) التوبة ٣٢

(٥) البقرة ٢٥٦

إن في الغرب بضاعتين بضاعة يزجيهما إليكم وبضاعة
يضمن بها عليكم
فأما التي يزجي فإنها تسلبكم أخلاقكم، وقيمكم، وتاريخكم،
وشخصيتكم
وأما التي يضمن فهي سر تفوقه المادي عليكم هي علمه
وفنون صناعته (تكنولوجيته)
فما بالكم أقبلتم على التي يزجي وتركتم التي به يضمن
فما حصلتم غير القشور غير الزبد وتركتم ما ينفع الناس!
إن في خزائنا الجواهر وإن علاها التراب من طول الزمن وكثرة
الكيد (١) وإن ما عندهم سراب خادع أو معدن براق لكنه غير
أصيل فلا ينبغي أن نترك الجواهر في خزائنا لنمد أيدينا
للمعادن غير الأصيلة
ما ينبغي أن تكون اليد المتوضئة هي السفلى
واليد الأخرى هي العليا
فكيف إذا كانت اليد المتوضئة تملك الجواهر كيف ترضى أن
تمتد وأن تكون هي السفلى
وذلك لا يمنع من أن نستفيد بعلم الغرب وتجربته.
من غير أن نهجر قيمنا، ومبادئنا، وأخلاقنا، وعقيدتنا من غير
أن نترك ديننا فلا تباع ديننا ولو كان بالدنيا كلها!

(١) يقول الشاعر: إن الجواهر في التراب جواهر* والأسد في قفص الحديد أسود

الباب الثاني
الاتجاه الماركسي
الفصل الأول:
الوعاء
الفصل الثاني:
المبدأ
الفصل الثالث:
ماذا فعلت الماركسية
بالمسلمين

لم تتغلغل الشيوعية في الشرق الاسلامي كما تغلغل الغرب
ربما لأن الأخير أسبق زمنا وأرسخ قدما.
وربما لأن الأخير أدرك في الوقت المناسب طبيعة هذا الشرق
فكف عن الحرب السافرة لهم في عقيدته وتلون باسم الحضارة
أو المدنية أو التغريب أو لتغيير الاجتماعي لينشر العلمانية، وتحرير
المرأة، وإضعاف الدين. دون أن يشعر أكثر المسلمين
لكن الماركسية أخطر على الشرق الاسلامي من الغرب. بما
تحمل في " أسلوبها " من " خداع " ينطلي على عامة الناس، خاصة
من يخاطبون أول ما يخاطبون ممن يسمونهم طبقة " الصعاليك "
أو البروليتاريا أو طبقة العمال الكادحة وبما تحمل من تخدير لهذه الطبقة
أنها إليها سيؤول الحكم، وأن لها المكاسب من دون سائر
الطبقات (١).

ثم بما تحمل في غايتها من تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على
دينها باعتبارها في البداية وفي النهاية قائمة على الكفر بالله والالحاد
في أسمائه ورفض كل الأديان، وإن اتخذت " تخطيطا " مرحليا بعدم
الهجوم على الأديان أو الزعم بأنها تسمح لها بالوجود أو البقاء
أو بالإلتواء بهذه الأديان للقول بأنها هي الأخرى إشتراكية
ويسارية. الخ وهي في سبيل هذه الغاية حين يلوح لها
النصر أو التمكين تدوس كل شيء. وتهلك الحرث والنسل وتغرق
البلاد في حمامات الدم لتقضي على كل خصومها وليظل الردع ماثلا
لكل من تحدته نفسه بالخروج عليها.
وقد عاشت الماركسية منذ صارت لها دولة تبذل الكثير لنشر
مبادئها ورسمت لنفسها " خطة " الزحف عن طريق " الشعوب " أو
الطبقات الكادحة ليتم التغيير من القاعدة لكنها منذ سنين قليلة

(١) راجع أفيون الشعوب للأستاذ عباس محمود العقاد الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥
الناشر دار الاعتصام - القاهرة.

راحت تجرب " لعبة " الولايات المتحدة لتجري التغيير من
" القمة " بدلا من " القاعدة " عن طريق الانقلابات العسكرية.
ونجحت انقلاباتها في بعض البلاد في الاستيلاء على السلطة.
لكن هل تنجح في تغيير القاعدة؟.
والماركسية تستعد لثرت حضارة الغرب وهو أمر وارد.
أولا: لأنها اليوم تعيش " شبابها " وحضارة الغرب تعيش كهولتها
ثانيا: لأن لها من السحر والخداع لعامة الناس وخاصة الطبقة
العاملة ما ليس لغيرها من مبادئ الغرب.
ثالثا: لما يعيشه الغرب الآن من تفسخ وانسلاخ من دينه بما
لا يحميه من ذلك الكفر الصراح.
وأخيرا: لما أشرنا إليه وسوف نشير إليه بإذن الله من أن أساس
الحضارتين واحد فلا غرو أن تثر الأخت أختها
ومن ثم.
فكلماتنا رغم موضوعيتها وأساسها العلمي - تحمل النذير
لامتنا.
أن البساط يسحب من تحت أقدامها
وإن الدمار و " الفناء " ينتظرانها
إن هي غفلت بعد اليوم ولو لحظة
أو هي فرطت بعد اليوم ولو ذرة.
ونحسب أن نقطة البداية الطبيعية لمثل هذه المبادئ الخادعة أن
نتعرف وعاءها فكل وعاء بالذي فيه ينضج البيئة التي نشأت فيها
. ثم الرجل الذي نادى بها
ثم نعرض بعد ذلك للمبدأ في أصله
في محاولة تطويره. لتلافي عيوبه.
وأخيرا. لما فعلته الماركسية بالمسلمين

ابتداء. من أرض القرم والقوقاز.
واتنها. إلى أرض اليمن والصومال.
والله المستعان. وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم
وإن الحكام أول المسؤولين ليس فقط أولئك الذين سمحوا لها
- عن علم - بالوجود على أرض المسلمين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم - بل كذلك أولئك الذين
يمهدون لها - عن جهل - الطريق، ونعني ذلك الفريق الغارق في شهواته
المبذر في أمواله وأموال المسلمين من غير إقامة لعدالة الإسلام الاجتماعية
بين الفقراء والمحرومين.

الفصل الأول

الوعاء

دراسة المبدأ بغير وعائه. دراسة قاصرة.
ذلك أن الفصل بينه وبين ذلك الوعاء فصل تحكمي.
. وإلا.

فإن نافخ الكير " يمكن أن يخرج مسكا وحامل " المسك " يمكن
أن يخرج شرارا. وصدق الله العظيم " والبلد الطيب يخرج نباته
بإذن ربه: والذي خبث لا يخرج إلا نكدا " (١)
والحديث عن وعاء الماركسية يشمل: البيئة التي ظهرت فيها.
ثم الرجل الذي نادى بها وحسبنا ذلك.
وإن كان في كثير من النماذج الأخرى الداعية إليها الكثير
من سمات أصحابها الأولين

الأعراف ٥٨

المبحث الأول

البيئة

ظهرت الماركسية أول ما ظهرت. في أوروبا.
وكان كل شيء هناك يمهد لها.

الدين

الاقتصاد

الفلسفة

ولنعط كلا كلمة

أولاً: الدين في القرن التاسع عشر (١):

قاست أوروبا الكثير مما آل إليه أمر دينها هذه حقيقة لا بد
الاعتراف بها ففي الوقت الذي بدت تفتح فيه على العلم وتأخذ
بأسبابه

وفي الوقت الذي اتصلت فيه بالشرق الاسلامي - بأكثر من
طريق - وعرفت عقيدته السهلة وشريعته السهلة. تفتحت آذانها
وعيونها. على دين معقد يصادم العقل ويرهقه. فمن قائل بأقانيم

ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)

ومن قائل " المسيح ابن الله " .

ومن قائل " إن الله هو المسيح بن مريم "

وكل ذلك تحريف لدين المسيح - عليه السلام وخروج عليه.

فكيف لأبناء " عصر النهضة " أن يسيغوا ذلك " الخط والخبط "

وكيف بمن سمعوا شيئاً عن عقيدة الاسلام " لو كان فيها آلهة

إلا الله لفسدتا (٢) " .

(١) راجع عرضاً طيباً في كتاب الأستاذ عبد الحلیم خفاجي ص ٦٩ وما بعدها.

(٢) الأنبياء ٢٢

" ليس كمثل شئ " (١). (قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (٢).

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسبح ذلك التعقيد؟؟؟
ثم كيف مع ذلك التعقيد بما انحدر إليه رجال الدين
" كرسي الاعتراف " صكوك الغفران قرارات الحرمان.
وأخيرا تلك الوصمة التي لا تنسى.

اضطهاد العلم والعلماء. وتكفيرهم. وسوقهم إلى محاكم
التفتيش لترتفع أعظم الرؤوس على أعواد المشانق
لم يكن بعد ذلك غريبا أن ترتفع الصيحة
" أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ".
ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين

إلى دين ماركس

ثانيا: الاقتصاد في القرن التاسع عشر (٣):

كانت الرأسمالية في عنفوانها.

أصحاب المزارع الكبيرة " يمارسون " الاقطاع.

وأصحاب المصانع - بعد الثورة الصناعية - يمارسون إقطاعا من
نوع آخر

قلة تملك وتكدس الثورات وتعيش حياة " الترف الداعر " .

وملايين محرومة تعيش حياة البؤس والشقاء. وتشهد من

قريب من يرفلون في عرق جبينهم.

والتطرف يفضي إلى تطرف ذلك قانون الطبيعة

فليس غريبا أن تستمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع.

(١) الشورى ١١

(٢) الاخلاص

(٣) راجع تفصيلا في مؤلف الدكتور محمد البهي تهافت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق ص

١٧ وما بعدها - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة أكتوبر سنة ١٩٧٥ م

يا صعايلك العالم اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شئ تفقدونه غير القيود والأغلال (١).
وليس غريبا أن يصدقوا نظرية " فائض القيمة وإلغاء الملكية الفردية " وشيوعية المال وأسطورة: من كل حسب طاقته. ولكل حسب حاجته
ثالثا: الفلسفة في القرن التاسع عشر:
كانت الفلسفة السائدة في ذلك القرن هي ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية والتي كانت ميراثا كبيرا منذ أفلاطون " إلى فيورباخ ".
وقد أغرقت في التحليق في الخيال وأغرقت كذلك في الخوض. فيما ليس لها فيه علم. مثل كثير من " الإلهيات " فكانت الفلسفة المادية القائمة على " الحس " رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة في الخيال (٢).
وهكذا كان الدين في أوروبا يمهد للماركسية وكانت الرأسمالية في أوروبا تمهد للماركسية وكانت الفلسفة المثالية في أوروبا تمهد للفلسفة المادية. وكان على البشرية كلها.
أن تكفر عن " خطيئة " أوروبا.
بخطيئة أخرى. هي الماركسية.
وقبل أن نعرض لها.
نلقي بعض الضوء. على صاحبها ومؤسس أول دولة لها ليكتمل الحديث عن الوعاء.

هذه صيحة ماركس استغل فيها نكسة الرأسمالية وارتكاسها لينتقل بالعالم إلى نكسة وإرتكاسة أشد خطورة.
(٢) راجع عرضا جميلا للأستاذ عبد الحليم خفاجي عن أن الفلسفة المادية كانت تعبيراً عن أزمة الفلسفة المثالية من ص ٥٥ - ٦٦ من كتابه القيم (حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون) الطبعة الأولى ١٣٩٤ - ١٩٧٤ - دار القلم - الكويت

المبحث الثاني
مؤسس الفكرة
أولاً: اليهود و " الفكرة " :
مؤسس الفكرة: ماركس
ومؤسس الدولة: لينين
وكلاهما من أصل يهودي
وحتى لا نفرق في الحديث عن صناعة اليهود للفكرة وصناعتهم
للدولة وما قيل من " تخطيط " اليهود للثورة البلشفية (١).
وتمويلهم لها (٢).
واشراكهم بأعضاء منهم في مجلس الحزب والثورة (٣).
ثم في مجلس السوفيت الأعلى الحاكم (٤).
ورفعهم شعارهم شعارا للثورة البلشفية نفسها (٥).

(١) هذا ما قد يتضح من بروتوكولات حكماء صهيون - وما يؤكد تنبؤ ناشر هذه البروتوكولات العالم الروسي " سرجي نيلوس " منذ سنة ١٩٠١ بقيام الثورة البلشفية في روسيا، وهو ما حدث فعلاً بعد ستة عشر سنة من تنبئه.

وفي مجلة يهودية أمريكية في ١٠ / ٩ / ١٩٢٠ أن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم ونتيجة لتدبير اليهود ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم (مجلة افريكان هيبرو).

(٢) تشير كثير من المؤلفات إلى أن تمويل الثورة الشيوعية قام به خمسة من اليهود هم: جاكوب شيف، جوحنايم ماركس بريتوغ واتوكان (راجع محمد خليفة التونسي الخطر اليهودي. ماجد الكيلاني - الخطر اليهودي على العالم الاسلامي، حقيقة الشيوعية سلسلة اخترنا لك دار المعارف بمصر. تجربة عربي في الحزب الشيوعي لقدرتي تلعجي بيروت. (٣) كان من اليهود في مجلس إدارة الحرب والثورة: ١ - تروتسكي ٢ - جوف ٣ - لينين ٤ - اتشلخت ٥ - سويردلوف ٦ - لورتسكي ٧ - جوسيف ٨ - مولتوف ليس يهوديا ولكنه متزوج من يهودية راجع ما سبق.

(٤) كان المجلس الحاكم على عهد ستالين مكونا من ١٧ عضوا يهوديا على النحو التالي: كاجتوفتش (نائب رئيس المجلس) بيريا، شفيرنيك، كيرتشسينستين جوركين، فيرشيلوف، مولوتوف، إيليا ايرهمبرج، ويفنسكي، هيسنرج، ميخيليس فرمين جودي، لوزوفسكي علاوة على أن رئيس المجلس ستالين كان متزوجا من يهودية ويذكر أمان راجوزا في كتابه عن ستالين أن جدته لأمه كانت يهودية.

(٥) يتخذ اليهود الأفعى الرمزية رمزا لأمتهم كما يتخذون النجمة السداسية شعارا لهم وقد اتخذت الثورة البلشفية شعارا لها الأفعى الرمزية وبداخلها النجمة السداسية

. كل ذلك وإن كان أكثره صحيحا إن لم يكن كله فإنه في الوقت نفسه يتضمن لونا من الدعاية اليهودية بقصد إلقاء الرعب في قلوب أعداء اليهود وحمل الآخرين على تقبل مطالب اليهود. نقول لا نغرق في ذلك لنعرض لماركس صانع الفكرة. ونترك صناع الدولة " اكتفاء بالإشارة السابقة ".
ثانيا: ماركس:

ونددع أنه من أصل " يهودي " .

وإن كان لذلك الأصل تأثيره بما عرف عن الطبيعة اليهودية من حقد والتواء وبما عرف منها من تقديس للمادة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (١) أية حياة ولا شك أن للوراثة أثرها. نعرض عن ذلك حتى لا نحاج بأننا نحمل الرجل أوزار - أجداده وآبائه والله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (٣).

لكننا نشير إلى أشياء ثابتة في حياة كارل ماركس:

- ١ - ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل إلى الهدم والتدمير والأنانية.
- ٢ - ما قبله على نفسه أن يعيش بعد وفاة أبيه عائلة على أمه وأخواته يأكل من نصيبهن في الإرث بعد أن أكل نصيبه وذلك بدلا من يعولهن وهن الإناث الضعاف.
- ٣ - ما قبله على نفسه أن يعيش عائلة على صديقه " فردريك انجلز " .

٤ - ما ارتكبه من غش واحتيال على بعض دور النشر إذ باعها حق نشر بعض كتبه في الوقت الذي كان يبيعها إلى دور أخرى

٥ - موت ابنتيه منتحرتين

واحدة (الينورا) بعد أن عاشت (في الحرام) مع عشيق لها ثم

(١) البقرة ٩٦

(٢) فاطر ١٨

اكتشفت سبق زواجه، والثانية (لورا) خوفاً أن تدرکها الشيخوخة، ونحن وإن كنا لم نأخذ كارل بذنب آباءه. فإننا لا نأخذه بذنب بناته كذلك. ولكننا نتساءل كيف لم يستطع ذلك العبقرى. أن یربى بناته. بل لم يستطع أن يعرفهن طریق الحياة الصحیح (١). ولنحاول بعد ذلك أن نتعرض على الماركسية مبدأً. بعد أن عرفناها وعاء فيما عرضنا له من " البيئة التي نشأ فيها ثم من الشخص الذي نشأت عنه " .

(١) راجع عرضاً جميلاً لأحد عباقرة الفكر الحديث عباس محمود العقاد في كتابه الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام - نشر دار الكتاب العربي من ص ٢٩ - ٧٤ وقد أغفلنا الإشارة إلى أمرين:
الأمر الأول: ما أشار إليه العقاد من اعتلال جسمه، وما قد يكون له من أثر في اعتلال عقله فإن ذلك ليس اضطراراً دائماً فقد تكون علة الجسم حافزاً إلى توقد العقل واستقامته إذا عرف الطريق الصحیح.
الأمر الثاني: ما أشار إليه العقاد من قذارة كارل ماركس البدنية وعدم نظافته وما استدل به على ذلك نقلاً عن " ليوبلد شوارتشيولد " صاحب كتاب البروس الأحمر، وغيره من التقارير المحفوظة في دار المحفوظات بمدينة لبيزج - فقد لا يرى البعض أن تلك القذارة الظاهرية ناجمة عن قذارة باطنية وقد لا يكون الربط محكماً بين قذارة جسمه وقذارة أفكاره.

الفصل الثاني المبدأ

من مادية " فيورباخ " وجدلية " هيغل ". أقام كارل ماركس فلسفته على المادية الجدلية (١) وربطها بأربعة قوانين وبهذه المادية فسر التاريخ تفسيراً مادياً، وبهذه النظرية المادية أرجع كل شيء في الاقتصاد إلى أدوات الانتاج وقال بفائض القيمة وبذا تبدو الماركسية أشبه بالدين. نظرة إلى الحياة وتفسير للكون، ونظام للمجتمع، ولا يتسع المقام للعرض لجوانب الماركسية كمذهب. وكنظام اجتماعي واقتصادي وسياسي لكننا نكتفي منها بالأساس فإذا انقضت الأساس فبقية البناء محكوم عليه بالسقوط والانهدام وتبدو الرابطة واضحة بين أساس الماركسية الفكري، وأساس الغرب الفكري بل إن الماركسية مدينة للغرب في فكرها فإن ماركس لم يأت بجديد وإنما من التلفيق بين ما قاله هيغل وما قاله فيورباخ أقام فلسفته التي - كما أشرنا - رد فعل للفلسفة المثالية التي أغرقت في الخيال (٢) أو كما قال بحق أحد الكتاب كانت تعبيراً عن " أزمة الفلسفة المثالية في القرن التاسع عشر " وفلسفة ماركس مضى عليها أكثر من قرن ومن ثم فهي - كفكر بشري محكوم عليه بالرجعية، وإن ادعت، أو ادعى أنصارها لها عكس ذلك.

ويبدو ذلك واضحاً في محاولات كثيرة جرت لترقيعها. ومنها ما قال به لينين حين واجهت النظرية العمل والتطبيق . وبدأ امتحانها الحقيقي ومنها ما أدخله عليها ستالين وخروشوف والمؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٦٣ في موسكو من ٢٩ عالم سوفيتي ليضع

(١) يعترف ماركس وانجلز ولينين أن اليانغ الفلسفي الأساسي للفلسفة الماركسية كان المثالية الألمانية وأنه لولا الفلسفة الألمانية ولا سيما فلسفة هيغل (ونضيف إليها فيورباخ) لما تأتى للاشتراكية العلمية أن ترى النور.
ماركسية القرن العشرين - ترجمة لكتاب جارودي - التحول الكبير في الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م تعريب نزيه حكيم.
(٢) تقدم أننا تحت رقم ١.

" أسس الماركسية اللينينية " مما انهارت معه بعض أسس تلك الفلسفة أمام حقائق العلم الحديث وأخيرا منها ما قال به الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي في سنة ١٩٦٦ م في كتابه " التحول الكبير في الاشتراكية " .

والذي عرب تحت اسم ماركسية القرن العشرين (١).
وبه بعدت الماركسية كثيرا عن أساسها وغضب لذلك أنصارها فأخرجوه من الحزب سنة ١٩٦٩ بعد أن كان يحتل مركز عضو المكتب السياسي وفيلسوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وأعقب ذلك رفض الحزب الشيوعي الفرنسي لدكتاتورية البروليتاريا، وتبعه في ذلك الحزب الشيوعي الإيطالي.

وفي الصفحات التي تلي نحاول بمشيئة الله في بحث أن نعرض للمبدأ في أساسه (٢)، ثم نحاول أن نعرض في مبحث ثان نظرتهم إلى الدين قديما وحديثا ليحقق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وسوف نلتزم الموضوعية في عرضنا للمبدأ ومناقشتنا له إن شاء الله.

(١) مشار إليه ماركسية القرن العشرين - ترجمة لكتاب جارودي التحول الكبير في الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ تعريب نزيه حكيم.

(٢) بالنسبة للتفسير المادي للتاريخ تراجعت عنه الماركسية فيما قرره فردريك انجلز من خطئه وصاحبه في تقديم العامل المادي على غيره من العوامل وحسبنا منهم ذلك. وبالنسبة للماركسية كنظام فإن مكان دراستها كنظام اقتصادي علم الاقتصاد وكنظام سياسي علم السياسة وكنظام اجتماعي علم الاجتماع بيد أننا كما أشرنا بهدم الأساس ينهدم بإذن الله بقية البناء والله غالب على أمره - راجع لنا عرضا سريعا تحت عنوان فتنة الماركسية في كتاب شريعة الله حاكمه ليس بالحدود وحدها.

المبحث الأول
المبدأ في أساسه
تقوم الماركسية على أساس من المادية الجدلية.
فالماركسية تقوم على المادة.
وتؤمن بالجدل.
ولنا في كل كلمة
أولاً: المادة:

في فكر ماركس - على ما كان سائداً في القرن التاسع عشر -
كانت المادة هي ما تقع عليه الحواس ومن ثم قامت فلسفة ماركس
ونظريته على أساس من ذلك التعريف الذي صار طالب المدارس الثانوية
يعرف اليوم أكثر منه، وإن أضاف إليه ماركس أن الفكر لاحق على
المادة وتابع لها من ثم فقد عاد لينين ليعرف المادة بأنها الوجود
الموضوعي خارج الذهن.
وتتابعت الاكتشافات العلمية بأسرع مما تصورت الماركسية
وصارت الماركسية في حرج من أمرها
واجتمع أكثر من عشرين عالماً سنة ١٩٦٣ م ليضعوا " أسس
الماركسية اللينينية " فهدموا ما قاله ماركس إذ قرروا " أن النشاط
الذهني أو الفكري خاصة مميزة للمادة ولكنها ليست شكلاً من أشكال
المادة.

ثم ليقرروا:
وفي الوقت الحالي يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم
المادة المنحطة ويسجل فيلسوف ماركسي متحرر من الماركسية القديمة
جمودها في مواجهة العلم، وبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات
العصر العلمية، ويدعوها لي أن تطور نفسها لتظل صالحة للعصر

لكنها في الواقع إذ تطور نفسها تكاد تنسلخ من أصلها لتصير شيئاً
جديداً. يمكن أن ينسب إلى شيء آخر سوى ماركس (١).

وبعد:

هل المادة هي الطاقة؟

أم صورة منها؟

وهل الحرارة والكهرباء آخر مراحل المادة؟

وأين يذهبان حين يختفيان مع الأثير؟

وما هو الأثير؟

إنه ليس بالشئ المادي وإن لم يعرف بعد ما هو

لا يزال العلم يضيف كل يوم جديداً.

ولا تزال محنة الماركسية قائمة ما استمسكت بقيام الكون على

أساس من المادة والمادة فقط (٢).

وهل المادة هي ما يحس فحست، وقد أثبت العلم أن ما تقع عليه الحواس

من المواد يمثل ٧ % وما لا تقع عليه الحواس ٩٣ % (٣).

ولا تزال محنة الماركسية قائمة وهي عاجزة عن أن تجيب

أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون؟

أم خلقوا السماوات والأرض؟

بل لا يوقنون (٤).

(١) ينقل الفيلسوف الفرنسي اندريه جارودي عن فردريك انجلز قوله على المادية بالضرورة

أن تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام باي الأثر في تاريخ العلوم.

ثم يتساءل: هل حقق الماركسيون برنامج انجلز.

ويجيب: لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين المادية والتجريبية النقدية حيث

قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة "التحول الكبير في الاشتراكية".

(٢) راجع عرضاً جميلاً للأستاذين: عبد الحليم خفاجي، يوسف كمال محمد الأول في كتابه

القيم حوار مع الشيوعيين والثاني في بحثه القيم مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية

والاسلام

(٣) من بحث لوحيه الدين خان مقدم إلى مؤتمر الفقه الاسلامي بالرياض في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ

(٤) الطور ٣٥، ٣٦

ثانيا: الجدل:
الجدل الذي يمزج ماكس بينه وبين المادة هو ما أشار إليه
هيجل من احتواء الشيء على النقيضين
وغير ماركس ذلك النسج
وغيره أن كان العلم - على قرنه التاسع عشر يعتبر الطبيعة قائمة
على عنصرين - الطاقة والمادة
ومن ثم أخذ الجدل وبني عليه فلسفته المادية الجدلية.
وأثبت العلم بعده وحدة الطاقة والمادة.
وأن المادة ليست إلا طاقة مركزة.
والطاقة مادة لا نقول عنها أنها طاقة إلا أن تسير بسرعة الضوء
وكان تفجير الذرة تكذيبا لما قال به ماركس من قيام التناقض
داخل المادة فقد توهم من وجود السالب (الالكترون) والموجب
(النيوترون) أنهما متناقضان وفات ماركس أن الاختلاف لا يعني
التناقض أن وجود السالب والموجب: داخل الذرة.
وداخل الكهرباء
وداخل المغناطيس
بل وفي النبات
وفي الحيوان
وفي الانسان
لا يعني أبدا التناقض.
أنه يعني شيئا آخر فات ماركس هو التكامل والتزواج مم
فمن العنصرين تقوم الحياة وصدق الله (ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون) (١).

(١) الذاريات ٤٩

ومظاهر الطبيعة الأخرى التي قد تعطي ظلا من الاختلاف.
كالليل والنهار مثلا إنما تعطي في الحقيقة التكامل الذي أشرنا إليه
وهو ما يشير إليه القرآن الكريم. (وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا
النهار معاشا) (١).

من ثم فلا تناقض متى وجد التكامل
بل إنها كلها تسير وفق نظام رسمه لها خالقها (لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (٢).
ولا يقع التناقض ولا الصراع إلا أن تخرج المادة عن نظامها الذي خلقها
عليه خالقها فالذرة لا تنفجر حتى يختل ترتيب الإلكترونات
والبروتونات ومثل الذرة كل مظاهر الكون والطبيعة لا تختل
حتى تخرج عن نظامها المفطور أو مدارها المرسوم.
ومثل الطبيعة الانسان لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى
بل تكامل وتزواج " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة (٣) " والتناقض والتنافر
لا يتأتى. إلا أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها
ولا تناقض داخل الانسان نفسه لا تناقض بين روحه وجسده بل
كذلك تكامل وتزواج ولا يأتي التناقض والتنافر حتى تطغى إحدى
القوتين على الأخرى.

فيتوهم الانسان أن يمكن أن يعيش جسدا بغير روح يلبي
رغائب الجسد وشهوته وفي مقدمتها شهوتي البطن والفرج. وينسى
أن له روحا لها غذاء ولها أشواق ولا بد معها من الضوابط
للقوة الأولى قوة الجسد.
أو يتوهم الانسان أن يمكن أن يعيش روحا بلا جسد فيعرض

(١) عم ١٠، ١١

(٢) يس ٤٠

(٣) الروم ٢١

عن مطالب الجسد أو يكاد فيرهق نفسه بالصيام دهرا، وبقيام الليل
كله وينسى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه و (آله) (إن لربك عليك
حقا، ولبدنك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه). وبذا ينهار جدل "ماركس" ومن
قبله جدل "هيجل" وتعيش
الحقيقة الخالدة (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (١)).

(١) الذاريات ٤٩

المبحث الثاني

الماركسية والدين

كان لا بد من هذا المبحث وإن استغنيا عن كثير من مباحث

الماركسية

أولاً: لأن كثيراً من المتمر كسين يزعمون أن لا كفر في الشيوعية

ولا إلحاد.

ثانياً: لأن النعمة الجديدة التي صاروا إليها أو ساروا بها هي

كان الجمع بين الماركسية والدين فلا تعارض بينهما. ونحاول أن نبين موقف

الماركسية من الدين.

ثم نبين بعد ذلك موقف الدين من الماركسية وهل يمكن أن

يرقع بها الدين أو يكمل بها "نقصه".

أولاً - موقف الماركسية من الدين:

لم يخف ماركس رأيه في الدين.

بل إن الدين - على قرنه التاسع عشر في أوروبا - كان تمهيدا

طبيعياً للماركسية كما قلنا بما آل إليه أمره من تعقيد في

العقيدة ثم بما آل إليه أمر أهله أو رجاله من تنفير وتشويه

بعد التحريف والتأويل

وماركس وأتباعه يردد في أكثر من مكان أن الدين "أفيون"

الشعوب ومخدر الفقراء وأنه انعكاس لشقاء فعلي واحتجاج على

هذا الشقاء (١).

روحيه جارودي - المرجع السابق ص ١٤٣ وما بعدها والدكتور عبد الحليم محمود في

بحثه الاسلام والشيوعية ص ٣١ والاسلام في وجه الزحف الأحمر محمد الغزالي ص ٥٠

وما بعدها جمال عبد الناصر عن الشيوعية في كتاب (حقيقة الشيوعية)

وظلت الماركسية تعترض موقفها من الدين طوال صدامها مع الكنيسة حتى إذا قيص للماركسية أن تجد لها أتباعا في شرقنا الاسلامي. فإنها بدأت تراجع موقفها من الدين لتتخذ إزاءه " خطة مرحلية " بعد ما وجدت من عقيدة الاسلام صخرة صلبة تقف في طريقها وكان أن قرر بعض المؤتمرات الشيوعية ضرورة الابتعاد عن الهجوم على الدين وتلا ذلك نصائح بعض مفكريهم بعدم إنكار أثر الدين وبمحاولة الاستفادة منه وهكذا يقول أحدهم: " وإن هناك لأملا كبيرا مشتركا بين ملايين المسيحية في العالم وبين ملايين الشيوعيين وهو أن نبي المستقبل دون أن نضيع شيئا من ميراث القيم الانسانية التي جاءت بها المسيحية منذ ألفي عام ويضيف أن تكذيب صيغة " أفيون الشعوب " التي لخص بها ماركس ولينين تجربة لا سبيل إلى نكرانها، ليس قضية فحسب بل هو أيضا أمر ممارسة سياسية واجتماعية (١).

ثانيا - موقف الدين من الماركسية:

ونحن نقصد بذلك ديننا دين الاسلام.
فلئن كان في ظروف الدين المسيحي - على وضعه الحالي - ما أتاح للماركسية أن تنتهكه بل أن تلتهمه فليس في ظروف ديننا شيء من ذلك. ليس في ديننا ذلك التعقيد في العقيدة. وليس فيها أقانيم ولا تثليث ولا إشراك. وليس في ديننا شيء من التحريف أو التشويه.
كما حدث لدين المسيح عليه السلام مما حدا بمفكري الماركسية أن ينظروا إلى الدين على أنه مشروع إنساني " أي جهد بشري " .

(١) روجيه جارودوي - المرجع السابق ص ٢٠٢ - وإن كان يعترف في نفس الوقت بإلحاد الماركسية ويميز إلحاد الماركسية عن إلحاد القرن الثامن عشر الذي كان في جوهره سياسيا وإلحاد القرن التاسع عشر الذي كان بصورة عامة إلحاد علموي (يقصد علمي) أي من تناقض العلم مع دينهم في ذلك الحين ويسمى الإلحاد الماركسي إلحاد القرن العشرين ويقول أنه في جوهره إنسي ص ١٤٣، ١٤٤ المرجع السابق وهو يعتبر الدين جهدا إنسانيا ص ١٦٣

ولا وقف علماء الاسلام من العلم مثل ما فعل رجال الدين المسيحي مع العلم والعلماء في القرون الوسطى ومن ثم فإن موقفنا من الماركسية يختلف عن موقفهم.

ومحاولة التوفيق أو " التلفيق " التي يصنعها " أذكيا " الماركسية للتدليس أو التدسس إلى الاسلام بإعلانهم قبول الاسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهاجا محاولة مفضوحة مردودة

أولا: لأنه واضح فيها التكتيك المرحلي وهو ما كشفت عنه كثير من كتابات مفكريهم بل ما أوصى به بعض مؤتمراتهم.

وثانيا: سواء اعتبروا تلك " المصالحة " أو التوفيق " تكتيكا " مرحليا أو قبلوه استراتيجية دائمة أو حتى أدخلوه في نظريتهم واعتبروه جزءا من أيديولوجية (عقيدة) دائمة على كل هذه الفروض.

فإن ذلك العرض مرفوض.

لأن القول بأن الاسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منهج. قول يتنافى مع طبيعة الاسلام فهو عقيدة ومنهج حياة وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ولا المساومة.

ولا التلفيق ولا الترقيع!

ويسمى كل ذلك: كفرا.

وفتنة.

وجاهلية. ومحادة لله ورسوله.

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)؟ (١).

(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) (١).
(أفحكّم الجاهلية ييغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٢).

(اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) (٣).
وإذا كان الأمر كذلك فإن الذين صنعوا الدين رجال وهم رجال ولهم أن يصنعوا مثل ما صنعوا ومن ثم لهم أن يشرعوا " الماركسية " كما شرع البابوات " المسيحية ".
وليس في ديننا صكوك غفران ولا قرارات حرمان.
وهو في هذا منطقي من عقيدته ومع شريعته.
فعقيدته أن " الشرع " كالخلق خالص حق الله.
(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٤).
والألوهية التي نرفعها لنا شهادة وشعارا ونقر بها لله سبحانه وتعالى وننفىها عن سواه هذه الألوهية من معانيها التسليم لأمر الله وشرعه.
وشريعته كذلك:

شملت كل نواحي الحياة (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٥) تشمل الحياة الانسانية. والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية ولا يمكن فيها فصل حياة عن حياة. ومن ثم فللماركسية أن تبحث لها دين آخر.

(١) المائدة - ٤٩

(٢) المائدة - ٥٠

(٣) البقرة - ٢٧٨، ٢٧٩

(٤) الأعراف ٥٤

(٥) النحل - ٨٩

تجري معه التوفيق أو التلفيق
ولقد سبقتهم إلى ذلك يوماً قريش
فقال الله لهم:

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد
وأنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين (١)).

(١) الكافرون.

الفصل الثالث

ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين (١)

المأساة أجل من تكتب في فصل.

نكتفي فيها بالإشارة.

ونطلب فيها من القارئ بل نلح أن يقرأ المزيد.

المبحث الأول

المسلمون في الاتحاد السوفيتي (٢).

الأرض الاسلامية - ميراث محمد و (آله) عليه و (عليهم) الصلاة والسلام - أضعاف

أرض روسيا فأقاليم الاسلام في الاتحاد السوفيتي تشمل: ١ - الأورال.

٢ - استرخان.

٣ - سييريا.

٤ - القرم (وهي أغنى المناطق بالحاصلات الزراعية).

٥ - القوقاز (وهي أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن).

٦ - تركستان بلاد ما وراء النهر (منها إماما السنة البخاري

ومسلم، والمفسران الزمخشري والنسفي، وأئمة البلاغة وإعجاز القرآن،

عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي، ومنها

(١) أما ماذا فعلت في غير المسلمين فمذابح المجر سنة ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا سنة ٦٨ أقرب

مثال وخير مثال وأما ما فعلته في نفسها فاقراً فيه: أثرت الحرية - ليفكتور كرا نتشيسكو

روسي هارب من جحيم رومانيا.

(٢) هذا عنوان فصل في كتاب الاسلام في وجه الزحف الأحمر وجدناه أفضل ما كتب عن

حال المسلمين في الاتحاد السوفيتي للداعية الشيخ محمد الغزالي.

الفارابي وابن سينا، ومن علماء الرياضة والفلك خالد والبلخي ومن علماء الهندسة بنو موسى. ومنها البيروني، والماتريدي الخوارزمي، والسرخسي والجوهري وغيرهم
ومن الثروات المعدنية: ٢٥٠ منجما للذهب، ١٦ للفضة، ٣٢ للرصاص ٣٤ للبترو، ٧٠ للفحم، ١٣ للكبريت، ٦٣ للصدويوم عدا الأورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاطين
وهذه الأقاليم تمثل الشمال الشرقي من العالم الإسلامي. وهي تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتي (كانت ٤٠٠ ألف كيلو متر فصارت بعد ضم البلاد الإسلامية ١٤ مليون كيلو متر)

بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيري الشعب البلشفي نداء موجهها إلى شعوب روسيا من المسلمين كان من بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه (مؤرخا ٧ ديسمبر ١٩١٧) أن إمبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشعل نارا
وفي وجه هذه الأحداث الجسم نتجه بأنظارنا إليكم أتم يا مسلمي روسيا الشرق، أتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أتم له أهل أيها المسلمون في روسيا
أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا والتركستان.
أيها التتر والأتراك في القوقاز أيها الجبليون في إتحاد القوقاز
أنتم يا من انتهكت حرمت مساجدكم، وقبوركم واعتدي على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة الطغاة الروس على مقدساتكم:

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية
ومنظمتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم لا يطغى عليها ولا يعتدي
عليها معتد

هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار لا يحول
بينكم وبين ما تشتهون حائل إلى أن قال البيان:
أيها الرفاق أيها الأخوة

لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي
إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم.
أيها المسلمون في روسيا
أيها المسلمون في الشرق.

إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي بالعالم إلى بعث جديد
نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون
استجابات البلاد الاسلامية وأعلنت استقلالها (عن الحكم الروسي
القديم). فهل تركها الحكم الذي " يحمل الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء
العالم "؟

في إبريل سنة ١٩١٨ أي بعد أربعة شهور من البيان السابق - أصدر لينين أمرا بالزحف
على البلاد الاسلامية وسارت الجيوش الروسية
بالدبابات والطائرات والمدافع تدمر وتحصد ما في طريقها وفي نهاية
العام تم لها الاستيلاء على جمهورية " إيديل أورال " وشمال القوقاز،
وحكومة خوقند، وتأخر استيلاؤها على شبه جزيرة القرم لعنف
المقاومة فيها.

وفي سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية الاش أورودو.
وفي إبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم، واستأنفت الهجوم
على جمهورية آذربيجان واستطاعت إخضاعها.
وفي نهاية سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية خيوة بعد أن ظلت
تدافع دفاع المستميت

وفي سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية بخارى ودار فيها قتال مرير ودافع أحفاد الإمام البخاري " رضي الله عنه " عن ميراث محمد و (آله) عليه و (عليهم) الصلاة والسلام لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف في وجه الزحف الأحمر الثقيل فهزمت جيوشهم المنظمة، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العالم الاسلامي (١) ونشرت جريدة أفسيتا في عددها الصادر ١٥ يولية سنة ١٩٢٢ تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم (نتيجة نقل الروس ما في الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم).

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر يناير ٣٠٢ ٠٠٠ مات منهم ١٤ ٤١٣

ارتفع عددهم في شهر مارس إلى ٣٧٩ ٠٠٠

مات منهم ١٩ ٩٠٢

بلغ عددهم في إبريل ٣٧٧ ٠٠٠

مات منهم ١٢ ٧٥٤

وفي يونية ٣٩٢ ٠٧٢

(ولم يذكر كم مات في هذا الشهر).

وقد كان سكان القرم في سنة ١٩١٧ : ٥ ملايين.

فأصبحوا في سنة ١٩٤٠

٤٠٠ ألف فقط.

وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجداً.

لم يبق منها إلا عشرات

لجأت الثورة الشيوعية بعد أن استتب لها الأمر إلى نفي شعوب

(١) كان العالم الاسلامي قد قطع إرباً. وكانت دولة الخلافة الاسلامية خارجة من الحرب العالمية الأولى وكان زعيمها مصطفى كمال أتاتورك - لعنه الله يتأهب لإلغاء الخلافة الاسلامية.

بأكملها ليحل محلها الروس
وفي بيان لوكيل الجامع الأزهر ورئيس
جماعة الكفاح الاسلامي أرسل إلى الأمم المتحدة قدم بعض المهاجرين
من الحكم البلشفي الغاشم بعض الحقائق نذكر منها:
(أ) في التركستان وحدها قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف
مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء
الروس على محاصيلهم وإعطائهم للصليبيين ليحلوا محلهم وفيما
بين سنة ١٩٣٧ - ١٩٣٩ ألفت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم
فريقا ونفت الباقي

وقتلوا من علماء الدين: الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة
والشيخ خان مروان مفتي بخارى، والشيخ عبد المطلب داملا، والشيخ
محسوم متولي، والشيخ عبد الأحد دار خان، والشيخ الحاج ملا يعقوب،
والشيخ ملا عبد الكريم وغيرهم كثيرون ومن الساسة خدمة نياز
رئيس الجمهورية، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وشريف حاج قائد
مقاطعة ألماتا، وعثمان أورا ز قائد مقاطعة كاشغز، ويونس بك وزير
الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة، وطاهر بك رئيس مجلس
النواب وعبد الله داملا وزير الأشغال.
وفي سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ ألفا شخص منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم
في الطريق.

وفي سنة ١٩٥٠ هرب ٢٠٠٠٠ مسلم وقتلت روسيا منهم سبعة
آلاف.

(ب) في القرم قتلوا: سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا.
سنة ١٩٢٨ قتلوا ولي إبراهيم رئيس الجمهورية مع وزرائه.
سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباشي رئيس الجمهورية وجميع وزرائه.
سنة ١٩٣٧ قتلوا إلياس طرخان رئيس الجمهورية وجميع وزرائه
بعد استدعائهم إلى موسكو أثناء محاكمة المارشال تحاتشفسكي.

نصوص في الاتحاد السوفيتي:
في دستور سنة ١٩١٨ نص على أن حرية الدعاية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع.
عدل في سنة ١٩١٩ إلى حرية إقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللا دينية مكفولتان لجميع المواطنين.
وفي دستور سنة ١٩٣٦ (م ١٢٤) لكي يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفيتي عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين وفي المادة ١٢٢ من القانون الجنائي السوفيتي تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة.
وواضح من هذه النصوص: ١ - التفرقة الظالمة بين حرية التدين وحرية الإلحاد فالأولى قاصرة على مباشرة الشعائر (إن صدقوا فيها) والثانية ممتدة إلى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين
تنتهي حرية التدين إلى مجرد شعائر بغير مضمون ولا تطبيق إذا وعينا النص الجنائي الذي يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة فمن أين يأتي لهم بالتدين الذي يسمح الدستور (المحترم) بممارسة شعائره

المبحث الثاني
المسلمون في غير الاتحاد السوفيتي
من البلاد الماركسية
ونكتفي فيه ببعض النماذج:
أولاً: من الصين:

ونأخذ منها مثلاً واحداً ما نشرته صحيفة "تمد بات باد" في
هونج كونج في عددها الصادر في ١١ أكتوبر ١٩٦٦ وهو منشور
موجه إلى الحرس الأحمر جاء فيه: "يا رجال الحرس الأحمر لا يمكن
أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعداً أن نهجم أكثر
الأعداء تخفياً - المسلمين - الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد
الصينيين تحت قناع الدين المزعوم
من الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على
وجوهكم سنطردكم وندمركم.
ومن الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار
تخدم الشعب، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير
ولا يمكنكم من الآن فصاعداً أن تضيعوا وقتكم في الصلاة
يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية.
ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن).
اسمعوا أيها المسلمون:
- دمروا جوامعكم - حلوا المنظمات الإسلامية، أحرقوا
القرآن.

- ألغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك.
 - كفوا عن الصلاة.
 - ألغوا الختان.
 - ادرسوا أفكار ماو.
 - إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم.
 - فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى.
 - فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو (١).
- ثانيا: من يوغسلافيا:
- ونقطف بالنسبة لها من بيان وكيل الجامع الأزهر عمن جاءوا لاجئين:
- ١ - قتل الشيوعيون ٢٤ ٠٠٠ مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.
 - ١٥ ألف من مقاطعة طوزلا.
 - ٣ آلاف من مدينة سرايفوا.
 - ٦ آلاف من ماكيدونيا وكومونا.
 - ٢ - قتلوا مفتي كرواتيا الشيخ عصمت مفتيتش والعالم مصطفى يوصولا حبيتش.
 - ٣ - في سنة ١٩٤٧ حكموا على ١٧ زعيما ألبانيا (من المقيمين في يوغوسلافيا).
 - ٤ - في سنة ١٩٤٩ حكموا على ١٣ زعيما ألبانيا بالإعدام وعلى آخرين منهم بالأشغال الشاقة.

(١) مجلة الوعي الاسلامي عدد أكتوبر سنة ١٩٦٦ أشار إليه كذلك الشيخ محمد الغزالي، في كتابه القيم الاسلام في وجه الزحف الأحمر

ثالثا - من بلغاريا:

جاء في بيان موجه من هؤلاء المسلمين إلى إخوانهم في العالم الإسلامي، وأشار إليه خطاب إتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا إلى كل من وزير الخارجية السعودي، وإلى الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٦ (١). نحن المسلمين البلغار نتقدم بالشكر لكل من عمل نشر قضيتنا للرأي العام سواء كان ذلك بالإذاعة أو بالصحف، وقد كان لذلك أثر عميق في نفوسنا، ونود أن نوضح حقائق أخرى عن تلك القضية. بعد أن شعر المسؤولون البلغار بنشر القضية خارج القطر أذاع راديو صوفيا بيانا باللغة العربية رادا فيه بأن المسلمين في بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين.

لا شك أن هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة كما سنوضح ذلك، ونلفت نظر العالم بأجمعه أن الدستور البلغاري يذكر في المادة (٣٣):

البند (ب) لكل مواطن بلغاري الحق في أن يعتنق أي دين يرتضيه.
البند (و) لكل مواطن بلغاري يحمل اسما غير بلغاري الحق في رفع قضايا جنائية في حالة تعرضه للأذى أو الإهانة لمجرد حمله لهذا الاسم.

وبالرغم من ذلك إن الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة في تنفيذ مخطط التنصير الماركسي ضد المسلمين.
فقد طلب من جميع المعلمين المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية أو أن يتردوا من أعمالهم وألا يسمح لهم بممارسة أي عمل في أي جهاز من أجهزة الدولة الرسمية ورفض ١٦٥ معلما مسلما أن يغيروا أسماءهم ولذلك طردوا من وظائفهم ومنعوا من حق العمل في بلغاريا موطنهم ومسقط رأسهم. وعند بدء العام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢ طلب من جميع تلاميذ

(١) الأول برقم ٤٢ في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦ والثاني في ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦

المدارس المسلمين أن يغيروا أسماءهم الاسلامية كشرط لاستمرارهم
كتلاميذ وإلا يطردون من المدارس، ورفضوا جميعهم وطردها من
المدارس.

صدرت أوامر بإجراءات حازمة لتغيير أسماء المسلمين العاملين في المؤسسات،
وكونت جماعات بوليسية مسلحة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة تنفيذ
هذه الأوامر ومتابعتها حتى النهاية.

تم القبض على مجموعات كبيرة من المسلمين ووضعوا في معسكرات
أعدت خصيصا لهذا الغرض وساموهم أمر أنواع العذاب ومن عاد منهم
فبرجل مكسورة أو يد أو أضلع مكسورات.

تم حصار بعض القرى وقاموا بانتهاك حرمت المنازل بعد أن حطموا
الأبواب والنوافذ واقتحموها عنوة وقذفوا بأصحابها في الخارج، وقد
لقي عدد كبير من النساء والأطفال حتفهم وكذلك الشيوخ من جراء
الرصاص الذي أصلاهم به رجال الأمن الذين من واجبهم حفظ المواطنين،
وقد تعرض الكثير من النساء والأطفال لنهش الكلاب البوليسية وقد عارض
كل المسلمين تلك الأوامر حتى الفتيات منهم مما أدى إلى إرسالهن إلى
السجون، وإخفاء تلك الجرائم تم القبض على بعض المسلمين واتهموهم
زورا وبهتاناً بارتكاب جرائم قتل المسلمين وحكم عليهم بالإعدام ونفذ
فيهم حكم الإعدام.

في يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالي ٥٠٠٠ مسلم من منطقة
بازرجيك ومنطقة بلا قويفقراد وسمولن قراد في مظاهرة احتجاج متجهين
إلى صوفيا (العاصمة) وكان ذلك في جوف الليل لكي لا يعلم بهم
البوليس وقد ضم الموكب كل فئات المسلمين من الذين أعمارهم من ١٥ إلى
٧٥ عاما وكان تحرك الموكب تحت ظروف قاسية وسط الأمطار الغزيرة
والوحل وعلى بعد أميال قليلة من صوفيا وبالتحديد في محطة اسكار
علمت السلطات وأرسلت لهم قوة ضخمة من الجيش والبوليس
وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ونقلوهم إلى مدينة بيلو حيث
وضعوا في السجون حتى الآن.

وفي ١٢ مايو ١٩٧٢ حوصرت قرية ايلانسكو برجال البوليس تصحبهم
الكلاب البوليسية فتصدى لهم المسلمون بشجاعة وبسالة وقتلوا أحد

رجال البوليس وكإجراء انتقامي تم القبض على ٣٠ مسلما وقدموا إلى محاكمات عسكرية أصدرت أحكامها بالإعدام على ثلاثة من المسلمين وبالسجن على عدد آخر.

في يوم ١٣ مايو ١٩٧٢ حوصرت باكرودا حيث يشكل المسلمون نسبة ٨٠% من عدد السكان واقتحم الجيش منازل المسلمين عنوة واقتادوا المسلمين مكبلين بالسلاسل واقتيدوا إلى مراكز الشرطة حيث طلب منهم أن يوقعوا على طلب بتغيير أسمائهم تحت جو من الارهاب والضرب والتهديد بالسجن والطرده من العمل وفي هذه الظروف القاسية تمكن الشهيد أمين محمد وفتسرnkوف من الهرب ولكن قوات الجيش طارده وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد وهو أب لطفلين في ٣٢ عاما من عمره. أوقفت جميع المعاشات عن العجزة الذين تقاعدوا عن العمل وأغلقوا أبواب العمل أمام كل الذين رفضوا تغيير أسمائهم وحرموا حق العلاج وهم الذين أفنوا شبابهم في خدمة بلغاريا.

حدث في مدينة مدان أن وضعت امرأة مسلمة في أحد المستشفيات الحكومية منها رسميا أن تختار لطفلها اسما غير إسلامي فرفضت أن تستجيب لطلبهم فأخبروها أن هذا أمر حكومي ولا بد أن تنفذه فعند ذلك رمت طفلها بين أيديهم وتركتهم لهم.

في كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد وكانوا في الماضي قد منعوا الشباب من دخول المساجد والآن قد منعوا الشيوخ وكانوا ينتظرون موت أئمة المساجد فيقفلوها بحجة أن إمام المسجد قد توفي. إلى غير ذلك من الحوادث الشنيعة في مطاردة المسلمين وإذلالهم. ويختم البيان بما يلي:

إننا نناشد إخواننا المسلمين والعرب أن يمدوا لنا يد العون وأن لا يكتفوا فقط بالاحتجاج إذ أن هذا الأمر يحدث على سمع العالم ومرآه إننا نطالب وقف هذه الحملة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ونطلب من الدول العربية التي لها علاقات اقتصادية مع بلغاريا أن تتدخل في الأمر وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ونرجو أن يرفع هذا الأمر للأمم المتحدة ولجنة حقوق الانسان إذ أننا لا نستطيع الاتصال بهم.

ونسأل الله أن يشد من أزرنا
وموعدنا الصبح أليس الصبح بقريب.

المسلمون البلغار

رابعا - من ألبانيا:

وننقل هنا عن اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا:
إذا كانت هنالك معان كثيرة ومختلفة توصف بها حالة شعب من
الشعوب، لكي تترجم معاني التضحية والصبر ومعاناة الاضطهاد.
وتحمل كل ذلك بنوع كبير من التحدي لكل شيء، وإن شعب ألبانيا المسلم
لجدير بأن تطلق عليه تلك المعاني والصفات.

وهنا نبدأ بنظرة سريعة مختصرة لتاريخ ألبانيا القريب وذلك إلى
ما قبل خمسين عاما كانت ألبانيا في حوالي العشرينات من هذا القرن
تحكم بواسطة أحمد زوقو حيث كان ملكا عليها، وكان الشعب في ذلك
الوقت يمارس طقوسه الدينية بحرية سواء المسلمين أو المسيحيين، وفي
هذا التاريخ بدأت عواصف الشر تهب من بعد حيث وقعت ألبانيا تحت
الحكم الإيطالي في عهد (فكتور امانولي) وانتدب (دوتشه موسيليني)
ليحكم ألبانيا. أما الملك أحمد زوقو فقد نقل إلى إيطاليا.

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية وكانت ألبانيا مثل جارتها يوغسلافيا
ترزح تحت السيطرة الألمانية، ولأسباب الحرب مع الألمان فقد اندمجت
كل من يوغسلافيا وألبانيا تحت قيادة واحدة برئاسة (تيتو) وكان من
ضمن القادة البارزين في حرب العصابات كل من (أنور خوجة) و (محمد
شيخو) الألبانيين اللذين هم الآن يسيطران عن الحكم في ألبانيا
استمر الاتحاد الإئتلافي بين يوغوسلافيا وألبانيا من عام ١٩٤٤ إلى
١٩٤٨، حيث ظهرت سياسة تيتو المعتدلة مع الشيوعيين والتي لم ترق
القادة الألبانيين فانفصلوا عن يوغسلافيا وتبنوا الحكم الشيوعي
الماركسي المتطرف.

تلك نظرة سريعة، الهدف منها الوصول إلى معرفة الوسائل التي
أوصلت الحكم إلى ما هو عليه الآن.

ألبانيا يبلغ تعداد سكانها المليونين نسبة المسلمين ٨٠ - ٩٠ %
وباقى السكان مسيحيون، ويتركز السكان المسلمون فى وسط ألبانيا ورغم
أن المسلمين نسبتهم كبيرة إلا أنهم يلاقون أشد المصاعب والاضطهاد
من عنت الحكم الشيوعى الحاقد.

حيث قام الحكام الحاقدون بهدم المساجد ومنع المسلمين من أداء
شعائر دينهم، كما أن مواليدهم الجدد لا يتم تسجيلهم وإعطائهم
الجنسية إلا بأسماء غير إسلامية وكذلك الموتى لا يتركونهم لأهلهم
ليمارسوا عليهم الشعائر الإسلامية، من غسل وكفن وصلاة، كذا
لا يدعونهم يدفنونهم فى مقابرهم الخاصة بل يجبرونهم بدفنهم فى المقابر
العامة مع الشيوعيين أما عند عقد الزواج فيستحيل ذكر الديانة ويتم
العقد تحت اسم مواطن ألبانى فقط، وأما بالنسبة للمناهج الدراسية
فهى حقلهم الخصب فى زرع الإلحاد فى نفوس الأطفال الصغار منذ نعومة
أظفارهم إلى أن يستوي عودهم وذلك بمختلف الوسائل التعليمية،
والإعلامية وقد حدثنا أحد أولئك الذين اشتغلوا بمهنة التدريس حيث
يقول بأن الوزارة أمرت المدرسين بأن يهتموا بغرس فكرة عدم وجود
الله فى عقول الأطفال، وقد حدث مرة أن سأل طالب عن الله هل هو
موجود فأجاب الأستاذ نعم الله موجود، وبسبب هذه الإجابة قضى
سنة أشهر فى السجن، ثم طرد من مهنة التدريس بتهمة أنه
يعلم الأطفال أشياء تضر بمستقبلهم، ويذكر الأستاذ بأن الإجابة المتعارف
عليها عن الله ورسوله، هى أن الله والعباد بالله هو (أنور خوجة) ربهم
ومالك نعمتهم، وأن (محمد شيخو) رسول والمتصرف بأمره.
هذا جزء بسيط، وقطرة من بحر عميق مما يلاقىه المسلمون فى ألبانيا
المسلمة.

خامسا: من الصومال:

أعلن زعيم الانقلاب العسكرى محمد زياد بري الاشتراكية
العلمية (الماركسية) ثم أصدر بعض النصوص القانونية:
التي تسوي بين الرجل والمرأة فى الميراث - وصرح تعليقا على
ذلك لإحدى المجلات المصرية (١) ولأن الإسلام دين ثورى فقد قام

(١) مجلة روز اليوسف - ٢ فبراير ١٩٧٦ م

بحل بعض المشكلات حلولا فورية ثورية وكتب شيخ الجامع الأزهر يقول أنه تثبت من قتل بعض علماء الاسلام الذين كتبوا لرئيس الانقلاب يوضحون له حكم الله في الموضوع لقد قتلهم أشنع قتلة لأنهم بينوا حكم الله.

أما الذي لم يفصح عنه الإمام الأكبر فهو أنهم قتلوا حرقا (١) ليعيد إلى الأذهان قصة أصحاب الأخدود.
" النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٢) ".

(١) وقد أراد شيخ الأزهر أن ينشر بيانا في الصحف عن تلك المأساة لكنه لم يسمح له بذلك.

(٢) البروج ٥ - ٨.

المبحث الثالث

كيف يعملون الآن في العالم الاسلامي
وننقل هنا عن مجلة كومونست السوفيتية في أول يناير
سنة ١٩٦٤.

أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا.
لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكري للعقيدة الدينية
ومفاهيمها إنما هي بمثابة (التنقيح للدين) وتحدياته للاشتراكية
العلمية.

ثم تقول:

ستظل العقيدة الاشتراكية في نزاع مع العقيدة الدينية ولن يستقر
التحول الاشتراكي الصحيح إلا بسيادة الاشتراكية على الدين
ثم تقول:

وإذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكي تعايشا مع العقيدة الدينية
أو إظهار الاهتمام بها في بعض الحالات، كما هو الحال في المناطق
الاسلامية، فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت.
ثم تقول: وفي بعض النظم الاشتراكية الجديدة نجد جماعات من أصحاب
المسؤوليات وهم اشتراكيون فكرا واقتناعا - يمارسون الفروض الدينية
ويشجعونها وهم يفعلون ذلك للسيطرة على زمام المعامل الدينية لئلا
تتحداهم وترى مرحلة التحويل الاشتراكي مرحلة قاسية، ونحن في
الاتحاد السوفيتي لجأنا إلى هذا الأسلوب أيضا في مناطقنا الاسلامية.
كما يلجأ إليه أقطاب الحزب الشيوعي في إيطاليا الكاثوليكية.
وتضيف المجلة:

ففي مثل هذه المناطق الاسلامية وجدنا أن ممارسة الطليعة الاشتراكية للفروض الدينية يساعدنا كثيرا على مرحلة التحويل الاشتراكي هناك (١) لأن العبادة العلنية في الوسط الاسلامي تعبر عن احترام الطليعة الاشتراكية للمشاعر المحلية، وبالتالي تنتزع هذه الطليعة من هذا الوسط الاسلامي الاحترام والطاعة للقيادة الاشتراكية. وتضيف:

ولكن من الضروري أن يأتي وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قرارا حازما بالأمر بعد للهدنة مع الميراث الديني وأصحابه وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث ديني جديد فيه خطر على التجربة الاشتراكية. وفي النهاية:

" مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعايده كليا من حياة الناس فلا تحطم الفأس ما في الضمير (٢) ".
ولكن مهمة الإلحاد العلمي أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعي مادي كالدعوة إلى العلم في نفوس الجماهير لينفروا من الدعوة الروحية التي هي من طبيعة الإيمان وليس من الضروري أن تهزأ من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية وأن تقول المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح إلا للأطفال فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرا، وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقالب اشتراكي، فإذا قلنا أن يسوع نائر يطلب الحق للفقراء فهذا تفسير اشتراكي وبمثل هذا نقول عن محمد وغيره:

(١) حرص السيد خالد محيي الدين في مصر على أداء فريضة الحاج والاعلان عن ذلك كما حرص الاعلان أنه يؤدي الصلاة ويؤمن بالاسلام عقيدة (وطبعا لا يؤمن بها شريعة. لأنه يؤمن بالنظام الماركسي أو كما يسميه الاشتراكية العلمية) راجع مقالا له في جريدة الأخبار في ١٩٧٦ وراجع مؤلف الدكتور عبد الحليم محمود - الفصل الخامس المنهج الشيوعي (٢) هذا يدل على ذكائهم أخيرا وفهمهم لطبيعة العقيدة الدينية السليمة (كالعقيدة الاسلامية) ومراجعتهم لخطتهم السابقة.

وحسبنا ذلك بغير تعليق (١) و
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وعن كتاب صدر في موسكو سنة ١٩٦٧ وأعيد طبعه عام ١٩٧٤ م.
عن معهد الإلحاد العلمي بأكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة
المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي (٢). يشير إلى بعض وسائل نشر
الإلحاد ومحاربة الدين.
نقتطف منها جزءا لنرى أي حزب ضد الدين رغم الدعاية
الكاذبة بتعايش الشيوعية مع الدين
ولنرى أن وسائل الإلحاد هي وسائل التبشير القديمة تعيد
نفسها مرة أخرى وإن حاولت أن تتجنب أخطاء التبشير واقتربت من
من وسائل التغيير الاجتماعي يقول كتاب نشر الإلحاد الصادر في روسيا
والآن من ذا الذي يعتبر أهلا للقيام بنشر الإلحاد بين معتنقي
الاسلام؟ ذلك سؤال هام وخطير إذا كان الداعية الملحد الذي
سيحاوّر المسلم لا تربطه بالاسلام أي رابطة مشتركة من الناحية القومية
ففي إمكان المؤمن أن يفترض أنه إنما ينقد الاسلام خاصة ولا يتعرض
لدينه هو بشئ لذلك كان من السهل على الداعية الذي ينتمي والمؤمن إلى
قومية واحدة أن يجري معه حوارا، وخاصة إذا بدأ الحوار بينهما
باللغة القومية المشتركة، وإن كان هذا لا يعني أن علاقة المسلم بمن
ينتمي إلى قومية أخرى قائمة بالضرورة على عدم الثقة
وأيا كانت قومية الداعية فلا بد من معرفة جيدة بالدين والعادات
والتقاليد التي يتمسك بها المؤمن، فخلال العمل بين المسلمين تعد مراعاة
السن والجنس عند المؤمنين على جانب كبير من الأهمية، ومن ثم كان

(١) في كتاب نحن والشيوعية في الآونة الحاضرة - الدكتور سعدون حجازي دار الطليعة
للطباعة والنشر - ملحق عن موقف الحزب الشيوعي العراقي - كنموذج - من قضية
فلسطين ص ٥٨.

(٢) قام بالترجمة من الروسية الدكتور سعد مصلوح مدرس علم اللغة الروسية بجامعة
القاهرة ونشرت بمجلة الدعوة السعودية في عددها الصادر في ١٢ ربيع الثاني ١٣٩٦ ١٢ إبريل
- ٧٦ م بعض أجزاء اقتطفنا منها الجزء المشار إليه.

الحديث لكبار السن أيسر بالنسبة لداعية متقدم في السن، والغالبية العظمى من المسلمات يرفضن الحوار مع الأجنبي أما مع المرأة التي تقوم الدعاية فإنهن أفضل سلوكا إلى حد كبير.

أضف إلى ذلك أن نموذج المرأة النشيطة يؤثر تأثيرا قويا على كثير من النساء فالمؤمنات يتجهن إلى محاكاة الصديقة الأكثر ثقافة أو ذات الشخصية الأكثر استقلالاً.

ويعين الداعية إلى الإلحاد في عمله الرأي العام الإلحادي الذي هو مدعو لأن يقوم بتشكيله. ومن المعروف على سبيل المثال أن كبار السن يكتسبون نفوذا غير عادي بين المسلمين. وهذه الخاصية يستغلها كذلك الداعية حين يلجأ إلى مساعدة الشيوخ المتقدمين في السن والذين يكونون موضع الاجلال في المنطقة إذ يصغى الناس في العادة إلى كلماتهم باهتمام خاص وباستعداد لتنفيذ أي رجاء يصدر منهم. وتمارس لجان الكبار التي تؤسس في مناطق السكنى والمؤسسات تأثيرا قوميا في تكوين رأي عام إلحادي. ففي كولخوز " مير " في منطقة اشخاباد (عشق آباد) امتنع والد طالبة بالصف العاشر اسمها جولينا عطاييف عن إرسالها إلى المدرسة وحاول إرغامها على الزواج وتكلم أعضاء لجنة الكبار عن الكلوخوز مع والدي الفتاة أكثر من مرة وتوصلوا إلى إعادة الطالبة إلى المدرسة. وفي كولخوز " كيناس " يقوم أعضاء لجنة الكبار بعمل كبير إذ يزورون بانتظام البيوت التي يقيم فيها المؤمنون، وقد توصل هؤلاء الأعضاء الذين اضطلعوا بمسؤولية دفن الموتى إلى أن جعلوا تأثير الشيوخ الرسميين وغير الرسميين يتضاءل في هذه العملية إلى حد كبير وفي نشر الإلحاد بين المسلمين في دار الإلحاد العلمي بموسكو يعمل الشيوعيون المتقدمون في السن مثل م. ش. شاجي أحمدوف وس. خ. اسماعيلوف وج. م. اختيافوف، وكثير غيرهم، وهم يزورون مساكن المؤمنين ويسدون إليهم النصيحة.

ويساعد الدعاة مساعدة كبيرة في صراعهم ضد التأثير الديني، ارتداد انسان ذي شهرة في قضايا الدين يصلح مثالا بالنسبة لبعض المؤمنين. وقد حقق الملحد قادر يرزنيسوف من كولوخوز كيسيل بولدوزاخ جمهورية تركمانيا نجاحا كبيرا في نشاطه الإلحادي عندما دعا جماعة من أكثر المؤمنين تعصبا ثم ارتدوا عن الدين ليخطبوا أمام غيرهم من المؤمنين

وصار الدين ارتدوا عن الاسلام في هذا الكولوخوز عونا للدعاية يمارسون نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين.

ويكتسب العاملون في ميدان الطب نفوذا كبيرا بين المسلمين وفي نقط العلاج الطبي يستقبل الأطباء مرضاهم للعلاج الصحي والاجتماعي، وهكذا يقدم الأطباء المساعدة الطبية ثم يدور الحديث حول موضوعات العلوم الطبيعية. وقد حققت نقط العلاج الطبي هذه فوائد جمة لقضية تربية السكان تربية إلحادية في مدن أوزبكستان وقرها. ولذا، فإن الطبيب ومساعدته من أجود المرشحين لممارسة الإلحاد بين أفراد المسلمين

ويختص المعلمون في المدارس بدور كبير في الدعاية إلى الإلحاد فالبداية الأولى للتعرف إلى الطفل تجعل في إمكان المعلم تحديد التأثير الديني للعائلة. ومهمته الأولى حينئذ هي إقناع الآباء بالامتناع عن تربية الأولاد تربية دينية ويمكنه في الوقت نفسه أن - يؤثر تأثيرا إلحاديا كبيرا على الآباء أنفسهم بإقامة اتصال مباشر بينه وبين أسرة التلميذ كثير من المعلمين لا يقصرون دورهم على تنشئة تلاميذهم بحيث يشبون غير متدينين بل أنهم يربون بهم رسوخ العقيدة في الإلحاد والقدرة على مساعدة المؤمنين على التحرر من أغلال الدين. وقد نشرت صحيفة الكوسمولي الأوزبكستاني واقعة طريفة عن رجل عميق الإيمان أسمه غلام أكا أحضر إلى طشقند ماء مقدسا من بخارى وكم حاول أقاربه أن يقنعوه بأن هذا الماء لا يحوي أي شيء مقدس فلم يقتنع العجوز. غير أن ابنته كانت تلميذة في الصف العاشر وضعت نقطة من الماء المقدس تحت الميكروسكوب ودعت أباهما أن يحدق النظر، فقال الرجل في دهشة ما هذه الديدان إن نقطة الماء أكبر بمئات المرات، يا إلهي لم أكن أتصور على الإطلاق أن في الماء المقدس يمكن أن يوجد مثل هذا العدد من الميكروبات إنها معدية ميكروبات ألقى هذا الماء يا ابنتي على الأرض في الحال هذه تجربة بسيطة قامت بها تلميذة أدت النتيجة المرجوة ولم تفلح في تحقيقها محاولات الإقناع والشروح المسهبة. وتؤدي اللجان دورا كبيرا في ممارسة نشر الإلحاد بين الأفراد من النساء المؤمنات وقد أثرت تأثيرا طيبا في كثير من مناطق سمرقند حين نظمت اللجان النسائية في نهار رمضان حفلات الشاي

للنساء الصائمات في الشقق والنوادي، ولم يكن المؤمنات يرفضن الافطار في مثل هذه الأحوال وبذلك كن يخطون الخطوة الأولى في سبيل الانعتاق من الدين.

ومن الأمور التي لها أهمية في نشر الإلحاد بين النساء تكوين رأي عام ضد الحجاب ضد تزويج صغار السن من البنات، وضد المعاملة المهينة للمرأة، ففي كولوخوزالاتو في جمهورية كيرغيزيا يتحدث الملحدون إلى الرجال أمام الزوار الآخرين قبل بداية أي اجتماع أو عرض سينمائي يقولون لهم على سبيل المثال يا حسن قل للناس لماذا أتيت إلى الحفل بدون زوجتك وأنت يا موزا أيضا بين الناس لم فعلت ذلك؟؟ وهنا كان بعض الرجال يصمتون ولكن كثيرا منهم كانوا يخرجون ثم يعودون ومعهم زوجاتهم وهكذا استطاع الملحدون أن يجعلوا كل الرجال يحضرون إلى أماكن الاجتماعات العامة ومعهم زوجاتهم

وربما كان عميق الإيمان من المسلمين أكثر عزوفا عن حضور الأمسيات والمحاضرات والمحادثات الإلحادية من أتباع أي نظام ديني آخر ذلك أن القرآن يستنكر تناول الدين بالنقد لذلك كانت المناقشات المضادة للدين والكلمات العامة عنه لا تجدي نفعاً، ذلك أن أي طعن على الاسلام تعتبر إهانة صارخة لانسان رضع من لبن أمه التصورات الدينية التي يشاركه إياها أجداده وأجداد أجداده وفي مثل هذه الأحوال نجد مثل هذا الانسان إما أن ينغلق على نفسه وإما أن يعبئ كل إرادته وعقله من أجل المقاومة ولكنه لن يميل إلى قبول حديث عن الإلحاد فليس سهلاً على الانسان أن يتخلى عن العقيدة التي نشأ عليها.

لهذا كله لا يمس الدعاة المجربون الدين مسا مباشرا في محادثاتهم أثناء ممارساتهم نشر الإلحاد بين أفراد المؤمنين ولكنهم بعد أن يمهدوا بإثارة فضول المؤمن يتحولون إلى نقد الدين. وها هو ذا مثال نسوقه للمعلمة ب. وليفا من كولوخوز " أكتوبر " في ضواحي سمرقند ففي المنزل عندما تجري هذه المعلمة محادثات مع المتدينات حين يفدن عليها كل مساء لشرب الشاي والاسترواح وذلك دون أن تشعر أيا من المشتركات في الحديث أنها دعوة لكي تنبذ دينها ويدور الحوار في يسر وبلا تكلف عن أحداث العالم وأبناء الكولوخوز لكن ربة المنزل هي التي تحدد لون الحديث ثم توجه الكلام تدريجيا ودون أن تلاحظ الأخريات إلى الموضوع

المقصود فتطرح الأسئلة ثم تتولى هي بنفسها الإجابة وحينما يستولي موضوع الحديث على الباب المؤمنات حينئذ فقط تبدأ في الكلام بحرارة وإقناع عن ضرر الرواسب الدينية

وهذه قصة يرويها ملحد من موسكو يسمى ل. ح. جوميروف، تمكن من إخراج العاملة رحيمة بارانجلوفا من دينها، يقول الملحد " أخذت بصفتي ملحدا أزور شقة العاملة المتدينة رحيمة وكنت أحداثها طويلا وأقرأ الكتب جهرا وكانت رحيمة تصمت في أكثر الحالات ولكنها كانت تصغي إلي باهتمام وكان واضحا أن هذه القصص تجذب اهتمامها من العسير أن تتصور الأمر لقد سمعت مني لأول مرة عن الأبطال من النساء السوفيت وعرفت لأول مرة أسماء المشتغلات بالعلم من السوفيت وتكلمنا معها عن غزو السوفيت للفضاء

وقد أزعجها كثيرا هذا الموضوع وأذهلها على وجه الخصوص أن رجال الفضاء لم يخافوا الله بل ربما خافهم الله ما دام لم يحل بينهم وبين أن يصعدوا إلى مثل هذا الارتفاع وكان على ل. ح. جوميروف أن يحدثها طويلا إلى أن خلعت رحيمة ربقة الدين من عنقها نهائيا ومن الأيسر على الداعية إلى الإلحاد أن يحقق نجاحا عندما يكون الرأي العام بين المجموع مكيفا على نحو لا يفخر فيه الناس بتعليق آيات القرآن في منازلهم بل يكون مدعاة للخجل أن يعلقوا الآيات أو أن يقسموا المنزل نصفين نصف للرجال ونصف للنساء أو أن يرفضوا

الغذاء في نهار رمضان، أو أن يقوموا بختان أولادهم. الخ والملحد نفسه يشكل الرأي العام إلى حد كبير يقص علينا أ. ب. افكسينتوف وهو أحد الملحدين في شمال القوقاز أن عليمة جاجير زونفا شيزوخوفا وهي من المشاركات في النشاط الاجتماعي كانت أول من امتنع عن إقامة المراسم الدينية في زواج ابنتها وقد وجدت لها في الحال أتباعا ويدلنا هذا على أن تلك المراسم قد فات أوانها منذ زمن بعيد وما أسرع ما انتشرت الأنباء في المنطقة عن زيجات جديدة تتم بمشاركة الأوساط الاجتماعية وبدون مراسم دينية، وهكذا انتهت مثل هذه الزيجات في أركينخالكي وغيرها من المناطق

ولا بد في العمل على نشر الإلحاد بين المؤمنين المسلمين من أن تستغل في براعة اللهفة إلى المعرفة، ذلك أن الاسلام إذ يقوم على أساس

القرآن إنما يضيق إهتمامات معتنقيه ويحددها لكي يثبت الجهل ولا بد أن نضع الاسلام من ناحية والعلم من ناحية أخرى كطرفي نقيض إذ أن العلم والحضارة وحدهما هما الكفيلان بحق بتلبية رغبات السوفيت في المعرفة

وليس من قبيل المصادفة تلك النتائج الإيجابية التي حققتها أحاديث الملحد قادر بيرنيسوف وهو من كولوخوز كيزيل يولدوز في جمهورية تركمانيا من المتدينين لقد استطاع أن يستخدم إنجازات العلم في تنفيذ التصورات الدينية أما الملحد رحمن خوجا ميردييف - وهو مدير مدرسة كيرفا في جمهورية أوزبكستان فقد سمع مرة أحد عمال الكولوخوز واسمه رسول جمعايف - يقول في حوار معه " لا قدر الله علينا بنزول البرد وهكذا تبين مدير المدرسة أن المتحدث إليه رجل مؤمن أدرك هذا ولكنه لم يعر الأمر اهتماما وأجرى الحديث معه لا عن الله بل عن ظواهر الطبيعة وعن ماهية المطر والبرد وكان يتكلم بطريقة مشوقة جذبت انتباه عامل المزرعة فأخذ هذا يرجو أن يزوره ضيفا وشرع الملحد يزور عائلة جمعايف، وكان يبرهن للعائلة باستعمال أمثلة من الحياة بسيطة الفهم على عدم وجود قوة ما فوق الطبيعة تمنح الانسان خيرات الحياة وأن الانسان نفسه هو خالق سعادته وهكذا قطع " رسول " علاقته بالدين وقد أجرى ب. خوجا ميردييف أحاديث مع أحد المشايخ واسمه " تور " كانا يتقابلان عشرات المرات وفي هذه اللقاءات كان يحدثه عن سفن الفضاء كما كان يحدثه عن المجتمع الشيوعي ثم إن الملحد أطلعه على الجوهر الطبقي للاسلام وفي مصلحة من كانت عقيدة القضاء والقدر وهنا أعلن الشيخ " تور " في اجتماع عام لعمال الكولوخوز أنه لا يريد بعد الآن أن يعيش هذه الحياة الطفيلية وأنه بالرغم من كبر سنه يود أن يعمل في الكولوخوز. وهكذا تعمل الماركسية ضد الدين في روسيا وفي خارج روسيا وإن زعمت غير ذلك.

الباب الثالث
الصهيونية " اليهودية العالمية "
الفصل الأول:
التعريف بالصهيونية ومنشؤها
الفصل الثاني:
مقومات الصهيونية
الفصل الثالث:
مناهج الصهيونية ووسائل تنفيذها

الفصل الأول

التعريف بالصهيونية ومنشؤها

المبحث الأول

التعريف بالصهيونية

لا جرم أن الصهيونية أخطر المذاهب الدينية والسياسية التي منيت بها البشرية، بما تفرض من قهر سياسي، وقسر فكري، وتمايز عنصري، واحتكار للقوى المادية والفكرية على مستوى البسيطة، وبما تنزع بين البشر أبدا بالشحناء والبغضاء، تنزع بهم كل منزع في الإحن والكيد والملاحاة، وتزين على الكون غاشيات مدلهمة تنبهم في قناتها معالم الانسانية، وتستغشي القيم الأخلاقية التي تواضعت عليها الديانات السماوية، والمذاهب الفكرية، والفطرة البشرية على السواء. فهي ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية في فلسطين، وإنما هي تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة، واسترقاق شعوبها كافة، وإخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية.

فالصهيونية في جوهرها ومناطقها: عقيدة دينية متطرفة، يدعن لها أشياءها، يسوقهم التعصب والغرور العنصري قسرا، بلا وعي ولا إرادة، وأساسها في زعمهم تعاليم التوراة التي تنص على أن الله سبحانه وتعالى قد وعد اليهود بملك عالمي أبدي واستخلفهم في الأرض خالصة لهم من دون الناس.

وطريقهم إلى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة منكرة، كما رسمتها مناهجهم العملية في بروتوكولات صهيون، فهي تعتمد أساسا على تقويض أركان المجتمع العالمي، وبث عناصر الانحلال تعبت في خلاله وتستشري في أوصاله، وإشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة، حتى إذا تداعت قيمه، وفقد مقوماته، فتهاوى خائرا مستسلما في خواء فكري وفراغ سياسي.

انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردى فيها العالم ليمسكوا

بزمام حكمه، وقيموا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا يكون قوامها من طبقتين:

اليهود الشعب المختار يتربعون على عرش السيادة وفي يدهم صولجان الحكم، ومن دونهم الناس قاطبة عبيد اليهود يخضعون لحكمهم

تلك هي الصهيونية الداء الوييل الذي يهدد العالم ويقض مضاجعه، وليست الصهيونية فكرة حديثة - وإن لم تتكشف سماتها وتضح للعالم إلا في القرن الماضي تحت اسم: اليهودية العالمية، بل هي عقيدة قديمة ما برحت تجول في أفكار اليهود منذ العصور اليهودية الباكورة، ويتناقلونها جيلا بعد جيل في كتمان شديد، خورا وقصورا وتحينا للفرص، ويعملون لها مصابرين مستوفزين، لا يفتأ أحبارهم وكهنتهم يذكون جذوتها أنا فأنا، فلا تخبو بين جوانحهم ولا تفترو وفي مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) وأنتهم الفرصة،

فدعا (هرتزل) لعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ (١٣١٥ هـ) بمدينة بال بسويسرا وكانت مقرراته هي الدستور العملي لهذه المرحلة من الآمال الصهيونية، ثم حدد هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) فلسطين باعتبارها أرض الميعاد، وقد عمل الصهونيون على تحقيق حلمهم في خطوات ومراحل زمنية يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد التي تشمل المناطق الممتدة من النيل والفرات، وتضم إقليم الوجه البحري من مصر وسيناء وفلسطين وشرق العراق الغربي وسوريا ولبنان وبادية الشام والأردن وشمال الحجاز حتى المدينة المنورة وفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٤٨ م) أعلن اليهود - بالتواطؤ مع الدول الكبرى - قيام دولة إسرائيل، وقال بن غوريون حين ذلك: " إن الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه وبفضل قوات (الهاجاناه). ليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات " ويعني بن غوريون أن الدولة إسرائيل قامت على مساحة أكبر مما منحتها مشروعات التقسيم لفلسطين بين العرب واليهود.

(100)

وقد استمرت إسرائيل في الإعداد لتحقيق توسعها واستغلت
انشغال الدول العربية عنها حتى تمكنت من احتلال سيناء والجولان
وجميع أراضي فلسطين.

المبحث الثاني
منشأ الصهيونية

تنسب الصهيونية Zionism إلى جبل صهيون بفلسطين، وهو
أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة أورشليم (أي مدينة السلام) وهو
الاسم القديم لبيت المقدس. ويعتقد اليهود أن إلههم (يهوه) يقيم
في جبل صهيون، في رحابه يظهر (المسيح المخلص) الذي ينتظره
اليهود، بشيرا بغفران الله وتوبته عليهم، وخلصهم مما يقاسون
من بأس وأعانت، بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصي التي ظلوا
عليها عاكفين أمدا طويلا.

والصهيونية مذهب ديني استعماري متطرف جدا يتمذهب به غلاة
اليهود، تهدف إلى السيطرة السياسية على العالم بتقويض النظم
السياسية للمجتمع الدولي بأسره، وإخضاعه لنير اليهود وحكمهم،
ويزعم اليهود أن الله استخلفهم في الأرض وأورثهم أقطارها وشعوبها
حقا مقدسا مقضيا، وأن الدول القائمة كافة دعوية مغتصبة وأن على
اليهود المجاهدة لاسترداد حقهم في فلسطين أرض الميعاد، تحت إمرة
ملك من نسل داود، فإذا استتب لهم الأمر فيها عملوا على تنفيذ
الشق الثاني من الوعود الإلهية، واتخاذ ملكهم في فلسطين قاعدة لملكهم
العالمي السرمدي، وقسر الحكومات والدول على التسليم لهم،
والاستسلام لمشيئتهم المستمدة من مشيئة الله. وينتهي الأمر بظهور
المسيح المنتظر الذي أفاضت التوراة في ذكره.

ويستند اليهود في دعواهم العودة إلى أرض الميعاد فلسطين بأن
ذلك ثابت من أحداث التاريخ في:

محاولة موسى عليه السلام دخول فلسطين مع الأسباط
الهاريين من مصر.

ثم غزوة يوشع لتخوم فلسطين. ثم تأسيس مملكة اليهود الأولى
في عهد شاؤول.

ثم عودة اليهود من بابل بعد السبي بزعامة زرو بابل.

ثم ثورات اليهود في فلسطين ضد حكم البطالسة والرومان.
ثم محاولات اليهود في العصور الحديثة شراء أراض في فلسطين.
يمارسون فيها حياة الاستقرار.
وأخيرا إنشاء دولة إسرائيل الحالية.
ويزعمون أن هذه كلها حركات صهيونية خالصة
وبالنسبة للشق الثاني من الوعود الإلهية - على زعم اليهود -
فإن من الحركات الصهيونية البحتة حركة سبتاي زيفي الذي قام في
سالونيك عام ١٦٦٦ م مدعيا أنه المسيح المنتظر،. ابتغاء تجميع
اليهود تحت زعامته لتحقيق نبوءات التوراة.
وعلى هذا فإن جذور الصهيونية تمتد إلى أعماق التاريخ اليهودي،
والطابع الديني هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية، ويعترف الدكتور
سلومون شختر (١) بهذه الحقيقة حيث يقول: " حيثما يكون الصهيونيون
عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة ".
وعلى أثر الثورة الاسلامية العربية في فلسطين عام ١٣٥٥ هـ
(١٩٣٦ م) ضد المؤامرات الاستعمارية والصهيونية فيها، شكلت
حكومة الانتداب البريطاني اللجنة الملكية البريطانية لعلاج مشكلة
فلسطين وكان هدفها تقسيم البلاد بين العرب واليهود، وقد صرح
زعيم الصهيونيين (وايزمن) أمام هذه اللجنة أن مبنى حق اليهود في
فلسطين إنما هو وعد الله بأرض إسرائيل، وهذا هو سند اليهود
الوحيد الذي لا سند سواه لجأ إليه وايزمن بعد أن خذلته سائر المزاعم
والأسانيد المنطقية والقانونية. وتأييدا لذلك يقول: (دافيد بن غوريون)
مؤسس دولة إسرائيل: إن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر
بال، ولا بوعد بلفور، ولا بقرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ م،
لكنها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم وعده
وقد ظلت دعوة اليهود لإحياء آمالهم في العودة إلى أرض الميعاد
مستخفية طوال ثمانية عشر قرنا، إلا ما كان من بعض حاخاماتهم مثل
(سبتاي زيفي) الذي سبقت الإشارة إلى حركته في ظلال ما أتاحه
الحكم الاسلامي المتسامح لليهود في سالونيك التي كانت مدينة تابعة
لدولة الخلافة العثمانية.

وفيما يلي وثيقة نشرتها مجلة (فرنسا القديمة)، تكشف عن طرف من نشاط اليهود وتديبرهم الخفي (١):
" في عام ١٨٨٠ نشرت مجلة الدروس اليهودية التي تتقاضى نفقاتها من جيمس دوتشيداد إستنادين يوضحان أن حكماء صهيون يعملون منذ القرن الخامس عشر (التاسع الهجري) في سبيل الفتح اليهودي.

ففي ١٣ كانون الثاني سنة ١٤٨٩ كتب شامور رباني مدينة ارل (من أعمال مقاطعة البروفنس الفرنسية) إلى المجمع اليهودي العالمي القائم في الأستانة (وهي إسلامبول عاصمة العثمانيين) يستشيريه في بعض حالات حرجة، قال: إن فرنسا وبني إكس وآرل وماسيليا، يتهددون معابدنا فماذا نعمل؟ فورده الجواب الآتي:
أيها الأخوة الأعزاء بموسى، تلقينا كتابكم، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا، وإيكم رأي المرازبة (الحكام) والربانيين:
* بمقتضى قولكم أن ملك فرنسا يجبركم أن تعتقدوا الدين المسيحي فاعتنقوه، فإنه لا يسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة في قلوبكم.
* بمقتضى قولكم أنهم يأمرؤكم بالتجرد من أملاككم، فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين أملاكهم.
* بمقتضى قولكم أنهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم.
* بمقتضى قولكم أنهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى، وكتابة عدل، وليتدخلوا دوما في مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولون على زمام السلطة العالمية، وبذلك يتسنى لكم الانتقام.

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلمون بالاختبار أنكم من ذلكم وضعفكم تتوصلون إلى ذروة القوة والعظمة.

في ٢١ كاسلو (تشرين الثاني) ١٤٨٩

التوقيع: أمير اليهود

F. F. V. S. S. V .

الفصل الثاني مقومات الصهيونية

المبحث الأول

المقومات الدينية

أولاً: امتلاك فلسطين والأقطار المجاورة لها:

يعتقد اليهود أن ملك فلسطين حق مشروع لهم، حيث وعد الله به ذرية إبراهيم عليه السلام في التوراة: " واجتاز ابرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له (١) ".

ثم وجه هذا الوعد، ولما يتحقق بعد، إلى إسحق بن إبراهيم، عليهما السلام: " وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحق إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين إلى جرار، وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى أرض مصر، أسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض، فأكون معك، وأباركك، لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك (٢) ".

ومفهوم هذا النص أن الله قد اختص إسحق عليه السلام ونسله بجماع ما وعد به أباه إبراهيم ونسله، فيما عدا مصر التي أمره بعدم النزول فيها، والتي ينبغي أن تؤول بناء على هذا إلى إسماعيل عليه السلام، لولا أن الله قد استثناه من ذرية إبراهيم عليه السلام فيما وعد بها - كما يزعم محرفو التوراة وقال إبراهيم لله: " ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل امرأتك تلد لك ابناً وتدعو

(١) الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين ٦، ٧

(٢) الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين ١ - ٣

اسمه إسحق، وأقيم عهدي مها عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما
إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا.
اثني عشر رئيسا بلد، واجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحق
الذي تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية (١) "

ثم وجه هذا الوعد مرة أخرى إلى يعقوب ثم إسحق عليهما السلام
في صورة حلم تراءى ليعقوب وهو نائم في أرض حاران، وورد ذكر
تمليك أرض كنعان لموسى وهارون عليهما السلام (٢). وبعد وفاة موسى
وجه الله وعده إلى خليفته يوشع بن نون في صورة أكثر تفصيلا:
" موسى عبدي قد مات، فالآن قم أعبّر هذا الأردن، أنت وكل هذا
الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم (أي لبني إسرائيل). كل
موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما كلمت موسى، من البرية
ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحِيثيين وإلى
البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم (٣) "

وجاء الوعد الإلهي أخيرا إلى داوود عليه السلام ونسله على لسان
ناثان النبي (٤)، وتكرر ذكر الوعد الإلهي في أسفار شتى، كما رددته
المزامير في أكثر من موضع، ومن ذلك: " لأن الله يخلص صهيون
ويبني مدن يهوذا، فيسكنون هناك ويرثونها، ونسل عبيده يملكونها،
ومحبو اسمه يسكنون فيها (٥) "

هكذا تكررت الوعود الإلهية بملك اليهود لفلسطين، وكأنما وجهت
متتالية لمجرد التشويق والإثارة لا للتنفيذ، فهي توجه لهذا تارة ولآخر
تارة أخرى من غير أن تتحقق لا لهذا ولا لذلك.

ثانيا - فكرة المسيح المنتظر:

يعتقد اليهود أن عودتهم إلى أرض الميعاد سوف تتم على يدي
المسيح المنتظر، Paraclet ويقصد به المنقذ أو المخلص، إذ سوف
يبعثه الله من صهيون من نسل داوود، لينقذهم من المحن والشدائد

(١) الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين ١٨ - ٢٢

(٢) في الإصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين ٣٣ - ٣٤

(٣) الإصحاح الأول من سفر يشوع ٢ - ٤

(٤) الإصحاح السابع سفر صموئيل الثاني ٤ - ٦ و ١٢ - ١٦

(٥) المزمور التاسع والستين.

والهوان، جزاء عصيانهم أوامر الله، ومروقهم عن طاعة أنبيائه، وإمعانهم في الآثام والموبقات، وينتقم لهم من جميع الشعوب، ويفرض عليها سلطان اليهود.

وجاء في التوراة (١): أن ظهر في مملكة إسرائيل في عهد الملك اخاب ابن عمرى النبي إيليا التشبي داعيا إلى تطهير البلاد من أدران الوثنية والمفاسد الخلقية التي تردى فيها المجتمع الإسرائيلي، إلا أن دعوته صادفت ازورارا وإنكارا فصعد إلى السماء في غمار عاصفة عاتية، مستقلا مركبة نارية تجرها خيل من نار كذلك ويعيش اليهود على أمل إيليا من السماء، بشيرا بمقدم المسيح المنتظر هاديا ومخلصا

ثالثا - إخضاع العالم لسلطان اليهود - شعب الله المختار: حرص اليهود على إخفاء أطماعهم الاستعمارية الخيالية، وتكتموا الأسباب التي يعزون إليها حقهم في حكم العالم وسيادة البشر، فلا يتناجون بها إلا في خاصة مجالسهم ومجتمعاتهم، متخافتين حتى لا يستثيروا السخط العالمي، ويواجهوا عداوة. ولهذا بادر الصهيونيون إلى إنكار دستور اليهودية العالمية (بروتوكولات صهيون)، متبرئين منها فور إمارة اللثام عنها، وحاولوا إحراق الطبقات الأولى منها قبل تداولها وذيوعها، ولكنهم فشلوا، إذ تكرر طبعها في أنحاء العالم بمختلف اللغات.

وقد سار الصهيونيون في تحقيق أهداف البروتوكولات الخطيرة - رغم إنكارها لها - مترسمين تعاليمها ومناهجها بدقة وإصرار ودأب متصل، وكان الزعيم الصهيوني الكبير (هرتزل) قد صرح في عدة بيانات أصدرتها اللجنة الصهيونية في عام ١٩٠١ م (١٣١٩ هـ) أن بعض الوثائق الخطيرة قد سرقت من قدس الأقداس، وما كان ينبغي لها أن تنشر قبل الأوان، مشيرا بذلك إلى تلك البروتوكولات دون ريب، وكان أمرها قد افتضح للعالم مما أثار الرأي العام العالمي ضد اليهود.

ويستند اليهود في ادعائهم حق السيطرة على العالم إلى ما جاء

الإصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني.

في التوراة من أنهم شعب الله المختار الذي فضله الله على العالمين، واستخلفه في الأرض، ومن ثم كان من حقه السيطرة على شعوب الأرض والقوامة على حكومتها، ومما جاء في التوراة: " ويقف الأجنب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميتكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمر (١) ".

وفي التوراة أيضا: " أني أخبر من جهة الرب، قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصي الأرض ملكا لك، تحملهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تكسرهم (٢) ".

وقد كان الكاهن (عزرا) يعتقد أن العالم قد خلق من أجل بني إسرائيل شعب الله المختار، وأن آماله إلى الخضوع لحكمهم، وأن بني إسرائيل يمرون في ذلك الوقت من عصر عزرا بمرحلة تمهيدية ضرورية للوصول بهم إلى الملك العالمي الموعود.

والعجيب أن هذه المرحلة التمهيدية لم تنته بعد، رغم مرور أكثر من أربعة وعشرين قرنا من الزمان.

ونكتفي بالرد على أوهام الصهيونية بقوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال: إني جاعلك للناس إماما، قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين (٣)).

التعاليم السرية في التلمود والكبالات:

هذا ولا تقتصر النصوص الدينية لدى الصهيونيين على أسفار التوراة فحسب، فالصهيونية تنتمي بعقيدتها إلى طائفة اليهود الربانيين الذين يؤمنون بالتلمود كتابا مقدسا، ويعتقدون أن منزل من عند الله على موسى عليه السلام كالتوراة سواء بسواء، ولا يختلف عن التوراة إلا في أنه أنزل على موسى مشافهة، بينما كتبت نصوص التوراة على لوحين حجريين بيد القدرة الإلهية، وأكمل موسى عليه السلام تدوينها في كتاب.

(١) الإصحاح الحادي والستين من سفر أشعيا - ٤ - ٦

(٢) المزمور الثاني ٧ - ٩

(٣) سورة البقرة ١٢٤

ولئن نسب كثير من تعاليم التلمود إلى حاخامات اليهود الربيين، فإن ذلك مما يؤكّد قداستها في عرفهم، لأنّ كلام الحاخامات كما يقول التلمود هو كلام الله وله عند الله المقام الأسمى، حتى أنه سبحانه وتعالى يستشيرهم كلما أعضلته مشكلة مستعصية (١).
(تعالى الله عما يقولون)

ومبنى تعاليم التلمود أن بني إسرائيل صفوة الخلق، اصطفاهم الله على العالمين، واستخلفهم في الأرض يمتلكونها ويسودون أهلها، حقا مقضيا لهم وقد بشر التلمود اليهود بملك العالم في قوله: " كل مكان تطؤه أقدامكم يكون لكم، كل الأماكن التي تحتلونها فإنها لكم، فأنتم سترثون الجوييم (أي الكفرة والأنجاس غير اليهود) المستكبرين في الأرض، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض إسرائيل التي يجب أن لا تكون نجسة تحت أقدام الجوييم، إنكم بعد أن تحتلوا أرض إسرائيل يحق لكم أن تحتلوا غيرها ".

وجاء في التلمود أيضا: " يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المرتقب، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء، لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعا، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجيئ إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيئ المسيح ".

ويلحق بالتلمود - وهو كتاب اليهود السري المقدس - كتاب سري آخر يعرف بالكبالا لا يقل عنه خطورة، بما يثير من التعصب العنصري العنيف، ويروج له بغلظة ووحشية.

والكبالا كتاب يتوارثه اليهود منذ القدم، يعالج التصوف اليهودي عن طريق السحر الذي يمثل شطرا من الطقوس الدينية التي يمارسونها خفية خشية اطلاع أحد من الشعوب الأخرى عليها، لما فيها من التفنن في الكيد لتلك الشعوب التحريض على اغتيالها لاستنزاف دمائها، واستخدامها في ممارسة هذه الطقوس، ويحقق الكبالا لليهود الأهداف التالية:

- ١ - الحفاظ على مبادئ اليهود العدوانية المتطرفة حيال الشعوب الأخرى، بإيجاد المناخ النفسي الملائم لتعيش فيه هذه المبادئ، وذلك بإشعال نار الحقد والتعصب العنصري في صدور اليهود بما تتضمنه من فنون الكيد والانتقام، التي تحضهم عليها كشعائر دينية مقدسة.
- ٢ - إشباع نائرة اليهود العدوانية، وشفاء غليلهم باستنزاف دماء أعدائهم، واستخدامها في الطقوس السحرية الدموية.
- ٣ - يحس اليهود في ممارسة تعاليم الكبلا طمأنينة وراحة نفسية عميقة ويستشعرون أنهم إنما يمارسون شعائر مقدسة تقربهم من الله وترفع عنهم ما حاق بهم من غضب إلهي منذ الحقب الخالية. وقد كانت تعاليم الكبلا نواة للنشاط السري الهدام الذي توفر عليه اليهود دائبين متمثلا في مختلف الجمعيات والمؤتمرات التي سعوا من خلالها إلى تحقيق آمالهم وأطماعهم، كما كان لتلك التعاليم تأثير مباشر في صياغة أفكار اليهود الصهيونيين على الصورة الشائهة القائمة، والأسلوب الدموي الجانح الذي يمارسه الصهيونيين الآن (١).

(١) في كتاب " اليهودية العالمية و حربها المستمرة على المسيحية " للأستاذ إيليا أبو الروس تفصيل وقائع محددة عن ممارسة طقوسا وحشية تقوم على تقديم الضحايا البشرية بقتلهم بفنون التعذيب والوحشية بقصد استخدام دمائهم المسفوحة في أغراض دينية تقربا إلى الله وقد ورد في الكتاب المذكور كثير من الوقائع التي أوقعها اليهود في أقطار العالم الشرقية والغربية وكشفت عنها التحقيقات الرسمية التي أجرتها الحكومات المختصة. وكذلك أورد عبد الله التل في كتابه (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) كثيرا من الوقائع المشابهة.

المبحث الثاني

المقومات السياسية

لم يفصح اليهود عن نواياهم الاستعمارية، لأن مقوماتها دينية محضة، ومبناها على نصوص التوراة وتعاليم التلمود والكابالا، كما رأينا، وتلك المصادر الدينية، وضعت الصهيونية الحديثة قواعد دستورها المعروف بروتوكولات حكماء (١) صهيون. وقد كانت هذه التعاليم من أسباب تألب الرأي العام الأوروبي على اليهود، وما أصابهم من اضطهاد وتعذيب، لما تضمنته من أطماع عدوانية وتعاليم فاسدة جانحة تثير الحقد والبغضاء وتعيث في الأرض بالفساد والخراب.

وفي القرن الماضي استغل اليهود رواج النظريات القومية وتفجر الحركات الاستقلالية في أوروبا، فالتمسوا الذرائع التي توسلت بها الشعوب لتحقيق مطالبها القومية، وقد ساعد اليهود في الوصول إلى هدفهم ما ظفروا به من حرية في ظلال الحكومات الكبرى كبريطانيا وفرنسا، أسوة بسائر الشعوب المهضومة الحقوق، وبذلك تمكن اليهود من الجهر بمطالبهم، واستدرار الشفقة والعطف عليهم بعد ما عانوه من صنوف الذل والاضطهاد.

وقد استهدف الصهيونيون في حركتهم العلنية مطلباً يعتبر بالنسبة لأطماعهم الأصلية متواضعاً محدوداً، إذ اقتصر على السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين باعتبارها وطناً قومياً لهم، يمارسون فيه حقوقهم القومية بمنجاة من ويلات الاضطهاد والتعذيب.

وقد استندوا في تبرير هذا المطلب إلى دعوى القومية اليهودية الخاصة التي يزعمون أنهم يتمتعون بها، ويدين بها كافة اليهود في بقاع الأرض، وأن من حق هذه القومية اليهودية التوطن في فلسطين بالذات، لما لهم فيها من حقوق دينية وتاريخية رددتها كتبهم المقدسة، ومن

(١) لفظ حكماء جمع حكيم يقابل: حاخامات جمع حاخام باللغة العبرية، وما أبعد تلك التعاليم عن الحكمة.

شأن هذا الوطن القومي أن يعصمهم مما يحيق بهم من اضطهاد عنصري
لاحقهم على مدى التاريخ.
وكان موسى هيس (١) اليهودي الألماني أول من نادى بالقومية اليهودية، يحاول أن
يربط بها بين أشتات اليهود أينما استقروا، وجعل
منها الدعائم السياسية للحركة الصهيونية.
والمسوغات الاجتماعية والسياسية التي استخدمها اليهود الصهيوونيون
للاستيلاء على فلسطين تتلخص في ثلاثة أنواع رئيسية من الحقوق:
١ - حق القومية اليهودية في صعيد واحد يجمع شمل
اليهود.
٢ - حق اليهود التاريخي في العودة إلى فلسطين وطن أسلافهم
الذي شردوا منه.
٣ - حق الانساني في تحنيط اليهود ما يلاقون من اضطهاد
عنصري أينما استقر المقام بأوزاعهم في فجاج الأرض.
والأسباب السياسية والاجتماعية التي يدعيها اليهود الصهيوونيون
لم تكن هي دعامة النظرية الصهيونية وعمادها، وإنما هي تعلات محدثة
ومسوغات طارئة غير أصلية، ابتدعوها تكأة يعتمدون عليها في الإسفار
عن دعوتهم، وقناعا تبدي به للعيان ظاهرة الجرم مستخفية المعالم
المريبة، تموه به أطماعها الخفية، وقد استمدت المسوغات السياسية
والاجتماعية اعتمادا على:
١ - ما قررته الثورتان الأمريكية والفرنسية من حقوق طبيعية
للانسان حفز اليهود على المطالبة بحقوقهم الفردية والجماعية المسلم
بها والتي تواتر اعتراف الدول بها لمواطنيها، تلك الحقوق التي منحتم
حرية الرأي، وشجعتهم على إنشاء الجمعيات الخاصة وتنظيم الحملة
الدعائية المركزة التي وطأت لهم أذهان العالم والضمير العالمي واستمالت
الرأي العام على أوسع نطاق.

(١) ١٨١٢ - ١٨٧٥

٢ - نشاط الحركات القومية خلال القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) وتقرير حق المصير للقوميات المختلفة، مما وجدت فيه الصهيونية مسوغا لادعاء حقوق قومية لهم أسوة بالقوميات الناهضة.

٣ - قيام المذابح اليهودية في شرق أوروبا وفي روسيا القيصرية خاصة، وانتهاز فرصة انفعال الرأي العام في أوروبا عطفًا وإشفاقًا على اليهود، مما أتاح لهم المبرر لطلب التجمع في وطن قومي يلوذون به. ولم تكن الأهداف الإقليمية اليهودية مرتبطة بفلسطين بالذات، فقد كان هدف اليهود المضطهدين تجميعهم في دولة يهودية يمتنعون فيها، ويمارسون فيها حياتهم العنصرية بمنجاة من الاضطهاد، أيا كانت هذه الدولة، دون التقييد بإقليم معين، غير أنهم ما أن استشعروا تعاطفا من المجتمع الدولي حتى ظهرت الرغبة الدفينة في امتلاك فلسطين، وفشلت كل المشاريع والعروض في جعل وطنهم القومي في الأرجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو جنوب أفريقيا أو استراليا أو أوغندا الخ.

وكان تيودور هرتزل قد اقترح أن يجمع شتات اليهود من أرجاء العالم في الأرجنتين أو في فلسطين، ولكن المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م قرر تخصيص فلسطين، وقد حاول هرتزل عام ١٩٠١ م إغراء الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد ببيع فلسطين لليهود، ولكن السلطان رفض التنازل عنها بأي ثمن، وأصدر أمرا بحظر دخول اليهود إلى فلسطين، ولما كرر الصهيوينيون المحاولة برئاسة هرتزل وبخ السلطان عبد الحميد رئيس ديوانه لسماحه بدخول هرتزل عليه، وطرده شر طردة.

وبعد سنوات قليلة قام أعوان اليهود من ضباط حزب الاتحاد والترقي بالانقلاب على السلطان عبد الحميد كما هو معروف وقام الحكام الذين خلفوا عبد الحميد من الإتحاديين - ومعظمهم من أعضاء المحفل الماسوني أو من الدونمة (١) بفتح باب الهجرة لليهود إلى فلسطين وعملوا على الاسراع في تصفية الدولة العثمانية وإلغاء منصب الخلافة

(١) هم طائفة من اليهود الذين نزلوا مدينة سلانيك في الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الاسلام نفاقا ليتمكنوا من الهدم من الداخل.

الفصل الثالث

مناهج الصهيونية ووسائلها

المبحث الأول: مناهج الحركة الصهيونية

يعتمد اليهود في تنفيذ سياستهم الاستعمارية على ركائز أربعة:

١ - السيطرة الفكرية: وسبيلها الدعاية العريضة المنظمة عن طريق أجهزة الإعلام الفعالة لتهيئة الأذهان وتطويعها لأهوائهم، سواء كانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة، أم منظمات اجتماعية مموهة، سرية كانت أم علنية، كالجمعيات الماسونية، وفرسان المعبد وجماعات الصليب الوردي وشهود يهوه والكبالات وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التي بثوها في أقطار العالم مكامن لهم، يعملون فيها على وأد الشعور الديني والوطني لدى المنتمين إليها من شتى الأجناس والأديان، ومبائنات لعملائهم الذين سخروهم عيوننا لهم وأرصادات، ثم سائر وسائل الإعلام الصحفية والدعائية كالإذاعة والسينما ووكالات الأنباء التي أخضعوها لنفوذهم المالي، يشنون بها على أعدائهم حربا نفسية شعواء، توهينا لقواهم، وتصديعا لشملمهم، وإضعافا لروحهم المعنوية، بإثارة الفتن، وإشاعة الفوضى الفكرية، والبلبللة الذهنية، وإفساد العقائد، وإفقاد الثقة بالنفس، وبالقيم الأخلاقية.

وهم يمارسون نشاطهم الاعلامي بدهاء وحقق، فلا يكتفون بإذاعة وجهات نظرهم في إطار مغر مدو، وإنما يترصدون بحرص شديد ما يذاع في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى فيحولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة - من ضغط وتشهير ورشوة وإغراء - دون إذاعة ما يسيئ إليهم أو يخالف وجهة نظرهم، أو ما يفيد منه أعداؤهم بوجه عام.

ويعتمد الصهيونيون اعتمادا كبيرا على وسائل الإعلام، ويرون في الدعاية الصحابة المدوية مفاعلا أبلغ تأثيرا وأقوى نفاذا، يقول هرتزل في مذكراته " الضجة هي كل شيء، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة " وذلك لأنها تستلفت الأنظار، وتعبئ الأنصار، وتضعف الأعداء، وتنقل المعركة إلى جو عالمي تتوفر لها فيه مزايا ماضية حاسمة.

٢ - السيطرة المالية:

وتتحقق عن طريق البنوك وبيوت المال، التي يهيمن عليها اليهود، ويوجهون بها النشاط الصناعي والتجاري لمصلحتهم، ويتحكمون في الاقتصاد الفردي والاقتصاد الجماعي بما يدعم نفوذهم السياسي، فيبتزون بها الثروات الخاصة والعامة، ويمتصون الأموال من المجالات الحيوية، وهي عصب الحياة في المجتمع حتى يتحطم وينهار، وذلك عن طريق الاحتكار والمضاربات المالية والاقراض بالربا الفاحش، وإشاعة الفقر والدمار والإفلاس، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلا إلى ما يبتغون من مآرب وأطماع.

ووسيلتهم إلى احتكار الأسواق العالمية إغراق الأسواق الجديدة بالمنتجات بسعر أقل من سعر التكلفة، على أن يعوضوا خسارتهم برفع الأسعار في الأسواق التي تم لهم احتكارها من قبل، مما يعرض منافسيهم للكساد والإفلاس، حتى إذا ما خلا لهم الجو الاحتكاري في السوق الجديدة، رفعوا الأسعار فيها إلى درجة فاحشة تجزل لهم الربح أضعافا مضاعفة.

والمال اليهودي سلاح خطير، فإن سيطرتهم على مصادره وموارده مكنتهم من مخانق الاقتصاد والسياسة معا، كوسيلة للتهديد والإفلاس وانهيار الاقتصاد الخاص والعام، مما يؤثر على كيان الدولة ذاته وهو من ناحية أخرى سبيل للإغراء تستمال به الدول عن طريق القروض إبان الأزمات والحاجة إلى تمويل المشروعات الاقتصادية والحربية، وأخيرا فالمال في أيدي اليهود أداة فعالة لشراء الذمم والضمائر والأصوات في المجتمعات المحلية والمحافل الدولية.

٣ - السيطرة السياسية:

وسبيلهم إليها التغلغل في الأوساط السياسية، واكتساب التأيد الدولي، وضم كبار الساسة والمسؤولين إلى صفوفهم بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، فتراهم في الدول الرأسمالية يماثلون النظام الرأسمالي ليكونوا من دعائمه وزعمائه، ثم هم في روسيا الشيوعية دعائها المتحمسون رواد الثورة البلشفية الحمراء.

ورغم حرص اليهود على اعتزال الحياة الاجتماعية والسياسية واقتصار نشاطهم على شؤون المال والاقتصاد التي توفرها عليها، وتخصصوا فيها، وملكوا زمامها، فإنهم لا يظهرون على مسرح الحياة الدولية العامة إلا في وظائف السلطان التي يتسللون إليها بدهاء خارق، وفقا لسياسة مرسومة، حتى تتاح لهم السيطرة على دفة الحكم فيوجهوها الوجهة التي يبتغون، والتي تحقق مناهجهم الصهيونية، سواء بتسخير سلطات الدولة لتأمين الحياة الرخية لليهود، وتوفير الطمأنينة لهم، أو بإفساد مجتمع الجوييم، وإشاعة الانحلال في أوصاله، تمهيدا لسيطرة اليهود وسيادتهم، فكانوا يتسللون عبر التاريخ الطويل - إلى المناصب الإدارية العليا، والمراكز السياسية المرموقة، سواء في الدول الاسلامية أو المسيحية، في المشرق والمغرب، فكان منهم خواص الأطباء في بلاط الملوك والأمراء، وكان منهم المستشارون والسياسيون والخبراء الماليون وقد استطاعوا عن طريق رجالهم الذين وصلوا إلى المناصب الدولية الهامة أن يحصلوا من الحكومة البريطانية على وعد بلفور بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وأن يهيؤا لأنفسهم في ظل احتلال بريطانيا فلسطين الدعامات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي قامت عليها دولة إسرائيل واستطاعوا بعد ذلك أن يحصلوا - وعن طريق رجالهم وعملائهم أيضا - على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم وأن يظفروا بأصوات الكثرة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة حين طرح عليها الاعتراف بدولة إسرائيل المغتصبة.

٤ - السيطرة العسكرية:

وهي المرحلة الأخيرة في مناهج الحركة الصهيونية، ومؤداها العمل

على إعداد جيش يهودي مزود بأحدث الأسلحة والعتاد الحربي لحماية دولتهم، والتوسع العدواني بالغزو المسلح. وقد بدأت الصهيونية بالإعداد لتكوين الجيش إبان الحرب العالمية الأولى عندما شكلت فيلقا يهوديا من تسعمائة جندي انضم إلى فريق النقل في الجيش البريطاني وعرف باسم فرقة البغالة الفلسطينية، واشتركت في عملية غاليليو في تركيا ثم سرحت سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وعلى أثرها انضم آلايان من اليهود إلى فرقة حملة البنادق الملكية البريطانية، كما انضمت فصائل من اليهود إلى جيوش اللود اللبني التي غزت فلسطين في نهاية الحرب العالمية الأولى. وكانت الظروف مواتية لهم أثناء الحرب العالمية الثانية حين غزا الجيش الألماني الشرق الأدنى بقيادة روميل، فشكل اليهود سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) فرقة عسكرية من عصابة هاجاناه وأطلق على الفرقة اسم البالماخ أي الصاعقة، لتساعد في المقاومة خلف خطوط القتال في حالة احتلال الألمان لفلسطين، وينتسب إلى هذه الفرقة كثير من زعماء إسرائيل مثل: موسى ديان، وإسحق رابين، وحاييم بارليف كما ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الإنجليزية والفرنسية الموالية للحلفاء في غزو سورية ولبنان وأنشئت فرقة يهودية أخرى ألحقت بالجيش البريطاني واشتركت في غزو إيطاليا. وهكذا أتيح لليهود المبرر الرسمي لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريباً حديثاً، ومزودة بالأسلحة والعتاد، وتمكنوا في ظلال الاحتلال الإنجليزي لفلسطين من تحويل مستعمراتهم فيها إلى ثكنات عسكرية تحمل طابعا اجتماعيا أو رياضيا أو كشافيا، مثل: المكابي، والترميلد، وشباب إسرائيل، والطلائع، وأبناء صهيون بالإضافة إلى المنظمات العسكرية: هاجاناه، وأرجون زفاي ليومي (١) وشترن (٢).

وحين انسحبت بريطانيا من فلسطين سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) وأعلن اليهود قيام دولة إسرائيل، كان لديهم جيش مدرب، ومستعمرات محصنة، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدهم وتعترف بهم، وما زال

(١) أي التنظيم القومي الحربي، وهي مشكلة من اليهود الأوروبيين.
(٢) وهي مشكلة من اليهود الشرقيين.

الجيش الإسرائيلي موضع الحذب والرعاية من دول الغرب - وخاصة
أمريكا - تمده بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة جدا، بحيث يتفوق
بمعداته على الدول العربية المحيطة بإسرائيل مجتمعة كما تمده
روسيا الشيوعية بالطاقة البشرية من المحاربين والخبراء ممن يرغب
في الهجرة من اليهود المقيمين في روسيا.

المبحث الثاني

وسائل تنفيذ المناهج الصهيونية

من أبرز خصائص الصهيونية الالتزام بوصايا التوراة التزاماً حرفياً، والإيمان المطلق بتعاليم التلمود، ولهذا فهي تمعن في الشر، وتغرق في العنف والتكليل والولوغ في الدماء بضراوة ووحشية، تبتغي من ذلك أولاً القضاء على كل مقاومة، وإبادة أعدائها، ثم إشاعة الهلع وبث الرعب في القلوب لتفتيت القوى المعنوية، ودفعها للاستسلام، فإن عجزت الصهيونية عن ممارسة هذا الأسلوب من العنف، اصنطعت الختل والنفاق والغدر والغيلة، وهي أسلحة خبيثة لا يلجأ إليها إلا الضعيف المخدول.

واليهود هم أول من وضع قواعد الفلسفة الميكافيلية الوصلية، التي تبرر كل وسيلة تحقق الهدف، دون اعتداد بالقيم الخلقية أو الفضائل الانسانية، كما يظهر ذلك من مطالعة تاريخ اليهود في أسفار التوراة، فالصفة المميزة لهم هي الاجترار على كل قيمة مشروعة في سبيل مصالحهم، وكل وسيلة مهما كانت دامية، أو ملتوية، أو مشينة مزرية، فهي مشروعة، يطمئن إليها الضمير اليهودي، بل يسبغ عليها البركة

ولقد تبلورت قاعدة الغاية تبرر الوسيلة في البروتوكولات التي سنعرض لها قريباً، وكان الإغراء النسائي أقدم الوسائل التي سجلت التوراة - المحرفة طبعا - على العبرانيين استغلالها لتحقيق مآربهم، ونسبت إلى إبراهيم عليه السلام - وحاشاه - استغلالها. فقد روت التوراة مع التأييد والإعجاب في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين، كيف تخلى إبراهيم عليه السلام، عن شهامته وغيرته عن طيب خاطر، لقاء أجر إذ قدم زوجته إلى فرعون مصر، وأغراها بقبول التضحية بعرضها وأمرها أن: " قولي أنك أختي، ليكون لي خير

بسببك، وتحيا نفسي من أجلك فأخذت المرأة إلى بيت فرعون،
فصنع إلى إبراهيم خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وإماء
وأتن وجمال "

وينسب اليهود فيما سطره في التوراة إلى أنبيائهم كل مخزية
من الصفات والأعمال، مما هو معروف، كما تضمنت التوراة نصوصا
تدعو إلى البطش، بأعدائهم والتنكيل بهم، والتخلي عن الرحمة
والشفقة في معاملتهم ولو كفوا أيديهم عنهم واستسلموا لحكمهم:
" حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك
إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير،
ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا، فحاصرها، وإذا
دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما
النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها
لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة
جدا التي ليست مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي
يعطيها الرب إلهك نصيبا فلا تسبق منها نسمة ما (١) "

ولا يتسع المقام ذكر فظائع اليهود التي سجلها التاريخ، ويكفي
أن نشير إلى ما قام ويقوم به اليهود من العدوان الصهيوني على
الفلسطينيين، الذين طردوهم من ديارهم شر طردة، ونهبوا أموالهم،
وانقضوا عليهم غيلة وغدرا في مجازر مروعة في دير ياسين سنة
١٣٦٧ التي ذبح بها مائتان وخمسون من الرجال والنساء والأطفال،
وفي قرى: ناصر الدين وبلد الشيخ وسكرير، وعيلوط وغيرها. وفي
سنة ١٣٧٤ أعادوا الكرة في مدينة غزة، وفي سنة ١٣٨١ أباد
الصهيونيون قرية التوافيق بمن فيها وقرية السموع وبعد ذلك استمرت
الغارات الصهيونية على الجليل والجولان ومدن قناة السويس
وعلى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين، حيث فتكت بهم ودمرت
أكواخهم، وبعثت أشلاءهم مستخدمة أشد الأسلحة الحديثة فتكا (٢).

(١) الإصحاح العشرين من سفر التثنية ١٠ - ١٧

(٢) سجلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تقريرها سنة ١٩٦٧ م (١٣٨٦ هـ) التي
حملها عنف الصهيونية وضراوة وحشيتها إلى إذاعة التقرير الذي سجلت فيه تلك الفظائع
الرهيبية. راجع خلاصة هذا التقرير في كتاب (الصهيونية بين الدين والسياسة)
ص ٧٧ - ٧٨.

أشرنا فيما سبق إلى البروتوكولات التي تعتبر دستور الحركة الصهيونية العملي، وهي تمثل المبادئ الصهيونية المبعثرة مصاغة في تبويب موضوعي مركز، وذلك هو القدر المتيقن من أمر البروتوكولات الذي لا مجال للجدل أو الشك فيه، بعد أن ظهر تنفيذه في خطوات الصهيونية التي نفذتها بعد المؤتمر الصهيوني الأول، وحتى الآن وهذه خلاصة ما جاء في البروتوكولات:

١ - إشاعة الفوضى الشاملة:

جاء في البروتوكول الخامس: (إننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل)، وقد تركزت هذه العبقرية - مع الأسف - في الاقتنان في وسائل الفساد والتخريب، وفساد الحكومات والمجتمعات، وتخريب الدول والنفوس، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العملية لتقويض الحكم القائم في شتى الدول، وإقامة حكومة يهودية جامعة على أنقاضها: (أروع النتائج التي - يمكن الحصول عليها في سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية) (وأن الذي يحكم، يجب أن يلجأ إلى الحيلة والنفاق، وفي السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق إلى رذائل تؤدي إلى سقوط الملك عن عرشه) (يجب أن يكون شعارنا: جميع وسائل القوة والنفاق يتحتم أن يكون البطش هو المبدأ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أي حكم جديد وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير، فعلياً أن لا نتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا). وتنشأ عن هذه الخطط والوسائل الصهيونية إشاعة الفوضى في العالم والتسلل اليهودي من خلالها، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم: فوضى عاتية جائحة: سياسية وفكرية وروحية واجتماعية واقتصادية.

٢ - إثارة الفتن والوقعة بين شعوب العالم ودوله: كشف الحاخام عمانوئيل راينوفتش عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة ١٩٥٤ م (١٣٧٣ هـ) حيث

قال: " هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا، وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم، فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس إزاء الشيوعيين، وتؤدي هذه الحملات إلى دفع الدول الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع روسيا وإما مع أمريكا ".
وهذا تطبيق لما رسمته البروتوكولات صراحة، ففي البروتوكول العاشر: (يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجاً للإرزاء التي تجل بهم سوى الالتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة).

وفي البروتوكول الحادي عشر: (غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها، وسندفعهم إلى ذلك).
ويتضح من البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهيونيون لتحقيق أهدافهم: (وإذا ما تولينا السلطة بما تكون قد أعددناه من انقلابات تحدث في جميع الدول في وقت واحد - بمجرد أن يعلن رسمياً عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب، وقد يمضي على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرناً - سنبدل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا).
وإعمالاً لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود ضالعون مع كل حركة تخريب في العالم، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى، يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاماً من روسيا التي تصدت لليهود وانتقمت منهم وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية بإقراض الدول بالربا الفاحش، وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها، والقضاء على شعوب أوروبا وتقويض دولها.
كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشفية في روسيا وفرضوا وصايتهم عليها، لتحقيق مآربهم العنصرية التي فشلوا في تحقيقها في عهد القيصرية.

وقد نجحت العناصر الصهيونية في حكومة البلاشفة في ممالة اليهود والتستر على ما قد يسيء إليهم ويفضح نواياهم، فلما طبعت البروتوكولات في روسيا سنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا ولم يسمح بطبعها بعد ذلك.

٣ - الارهاب الفكري وإفساد الرأي العام:

يشرح البروتوكول الخامس كيفية إفساد الرأي العام وبلبله الأفكار فيقول: (ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نربكه تماما، فنسمعه من كل جانب، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق) ويوصي ب: (مضاعفة الأخطاء التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب، وعلى حل الجماعات القوية، وعلى تشييط عزيمة كل عمل فردي يمكن أن يعرقل مشروعاتنا).

وفي البروتوكول السابع: (يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأي العام الذي هيأناه عن طريق أعظم قوة وهي الصحافة التي - فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التي لا قيمة لها - توجد كلها في قبضتنا).

وفي البروتوكول الثامن: (لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود، فإننا سنسند المناصب الهامة إلى أناس من ذوي السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعوب هوة سحيقة، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أمرنا).

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لإشباع حقدهم ونزواتهم، بإفساد العقول والأخلاق، والعبث بالقيم والفضائل الانسانية فابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها المجتمع الانساني، فاليهودي: كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان

واليهودي دركيم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطوير الفضائل والآداب، واليهودي سارتر وراء الوجودية التي جنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال (١).

وفي البروتوكول الثاني: (نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود).

٤ - إشاعة الفوضى والفساد في المجتمع:
رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض، ويبدرون الفوضى والانحلال فيقول: (إن الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء، والموظفين والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف).

وفي البروتوكول التاسع: (لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة وعملنا على ترسيخها في ذهنه، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذي لم يخطر على بال واضعها للحصول على نتيجة فعالة).

٥ - افتعال الأزمات الاقتصادية:
يفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادي الذي يستعين به اليهود على تقويض الحكومات: (وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذي يجري بين أيدينا).

وفي البروتوكول الرابع: (يجب أن نقيم التجارة على أسس

(١) العقاد: (الصهيونية العالمية).

المضاربة، ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التي أنتجتها الأرض وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزائنا). ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الإضرار بالانتاج: (وسنعمل على تقويض الانتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر، كما أنه لا بد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرده الأذكىاء من غير اليهود من وجه البسيطة).

٦ - القضاء على الأديان:

في البروتوكول الرابع عشر: (عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك، بل يكون ذلك مثالا للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى، هذا الدين الذي فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا)

وفي البروتوكول السابع عشر: (لقد عينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا كذلك في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام وإن حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك، ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا). ومن هنا كان الاسلام بعد المسيحية المجال الرئيسي الذي كرس له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأت حيث، وكانت محاربتهما هدفا لليهود منذ أزمان سحيقة، ففي التلمود: (حيث المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول (١)).

(١) د. محمد الزعبي: (دقائق النفسية اليهودية) ص ٢٢٨.

وقد جاهر حاخام إسرائيل في الحفل لوضع الحجر الأساسي للمحفل الماسوني في تل أبيب سنة ١٣٧٧ هـ بقوله: (إننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد، وبين أي شعب وشعب، ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الاسلامي، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة).

وينبغي ألا ننسى أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه إلى أعضاء المحفل الماسوني الذي تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الديني، وأنه يتحلى بالحياد تجاه العقائد.

محاربة الصهيونية للاسلام:

حرصت دولة إسرائيل على محاربة الدين الاسلامي في نطاقها المحلي، تطبيقا للمبادئ التي نص عليها البروتوكولان السابقان، فعمدت إلى إجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الاسلامي.

وتناولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت في عامي ١٣٨٠ و ١٣٨٨ هـ نسخا مزورة من المصحف الشريف. أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذفها، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف - بتبغى بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله - بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها.

ودأب اليهود، منذ ظهور الاسلام على محاولة إفساد شرائعه، وتشويه مصدر أحكامه، فدسوا كثيرا من البدع المضللة، ومنهم من انتحل الاسلام نفاقا ليفتري على الاسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ليكيد بها الاسلام ويشير الفتنة بين جمهرة المسلمين،

وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالإسرائيليات، وهي كل ما دسه اليهود على تفسير القرآن أو الحديث النبوي من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية فيها إغراب وزيف عن المعنى المقصود، قصد بها التضليل والإرجاف والبلبله وإثارة الشبهات بتشويه حقائق الاسلام الناصعة (١). ومن دهاة اليهود عبد الله بن سبأ الحميري (ابن السوداء) الذي ترجع إليه طوائف غلاة الشيعة، وهو القائل بمذهب الرجعة ومذهب الحلول (يزعم أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا، وإنما المقتول شيطان تصور للناس في صورة علي، أما علي رضي الله عنه فقد صعد إلى السماء على أن يرجع إلى الأرض بوصفه (المهدي المنتظر) حيث ينتقم من أعدائه ويقيم العدل والحق..

(١) من ذلك تفسيرهم في قوله تعالى: (تنزل الملائكة والروح فيها) بأنه ملك هائل لو التقم السماوات السبع، والأرضين السبع، كانت له لقمة واحدة، وكذلك ما ورد في قصة عوج بن عنق. وغيرها

الفصل الرابع:

المنظمات الصهيونية

جاء في التوراة أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن يتخذ مجلسا من سبعين شيخا من شيوخ بني إسرائيل (١) ويسمونه (مجمع السنهدرين)، وهو يتألف من حاخاماتهم بزعامة الكاهن الأكبر. وقد ظل مجمع السنهدرين قائما حتى انفض عام ٧٠ بعد الميلاد، بعد تدمير هيكل سليمان، وتمزق اليهود وتشتتهم في شعاب الأرض. ولكن حلت محله هيئات سرية تدعى شؤون اليهود، وتعمل مستخفية.

وفي عام ١٨٠٧ م حاول نابليون بونابرت إحياء السنهدرين القديم في هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين لجمع شمل اليهود تحت لوائه، بغية الإفادة منهم في تحقيق مشروعاته الاستعمارية في الشرق خاصة، غير أن إخفاقه في تحقيق أطماعه أحبط تلك المحاولة. وأخيرا تولت الكيهيلا قيادة اليهود - ومعناها في العبرية: المحكمة العليا - وهي تضم أقطاب اليهود من رجال الدين والفكر والمال والسياسة، وتشرف على كافة الأنشطة اليهودية التي تقوم بها المنظمات المختلفة في العصر الحديث، فتتلقى منها ما تستجمع من بيانات ومعلومات وتتولى التنسيق بينهما ومتابعتها واستغلالها، وتعرف هيئة الكيهيلا حاليا بالمؤتمر اليهودي العالمي، الذي يعمل على احتواء اليهود في أقطار الأرض والتوفر على تحقيق ما وعدت به التوراة من سيادة اليهود لشعوب العالم، وسيطرتهم على أرجاء المعمورة باعتبارهم شعب الله المختار.

ويعترف الحاخام دراهاما بانتظام الهيئات اليهودية السرية المختلفة تحت شعار واحد، وهدف موحد، أيما كان نشاطها، وأينما باشرته حيث يقول في كتابه (التناسق): " إن جميع الجمعيات السرية مرسومة

(١) الإصحاح ٢٤ من سفر الخروج.

بطابع واحد، إذ كلها تعمل بقيادتنا (١) "

منظمات يهودية علنية:

بعد أن ظفر اليهود بحقوق المواطنين في القرن الثالث عشر: (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) سارعوا بإنشاء جمعيات يهودية سافرة في عدة أقطار، مثلاً جمعية عشاق صهيون التي أنشئت في أوديسا سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ)، وحركة التنوير (الهاسكالا) في ألمانيا، التي أنشأها موسى مندلسون، وجمعية الاستعمار اليهودي التي أنشأها البارون آدموند دي هيرش، وجمعية كاديناه النمسوية التي كان يرأسها ناتا بيرنباوم، وجمعية صهيون النمسوية التي تولى رئاستها تيودور هزرتل.

وبمجهود هزرتل التأم أول مؤتمر عالمي في مدينة بال بسويسرا في ٢٩ أغسطس ١٨٩٧، يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توفرنا على توحيد جهودهم، والسعي لتحقيق آمالهم.

وبالنظر لنجاح المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر عقده بصفة دورية، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية في ألمانيا تنفيذا لقرار ذلك المؤتمر، وهذه المنظمة هي أعلى سلطة تشرف على النشاط الصهيوني بمختلف صورته وأدواته، وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة، دعماً لإسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الأول.

وإلى جانب هذه المنظمة يقوم المؤتمر اليهودي العالمي ويمثل الهيئة العليا التي تتولى شتات اليهود بالرعاية، وتهيئ لهم السيطرة على أنحاء المعمورة، وتعمل على إنشاء الحكومة العالمية

وقد باشرت المنظمة الصهيونية مهمتها إلى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) حيث تكونت الوكالة اليهودية في فلسطين وحلت محلها، فلما أعلن قيام دولة إسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) تكونت الحكومة اليهودية من بين أعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية.

ومن المنظمات اليهودية السافرة: منظمة بناي بريث ومهمتها

(١) دفائن النفسية اليهودية للزعبي ص ١٥٨.

الدعوة اليهودية وجمع التبرعات لإسرائيل، ومنظمة الهداسا النسائية الصهيونية ومقرها نيويورك ولها فرع في مدينة القدس، ويشمل نشاطها الشؤون الطبية وتقوم بالإشراف على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيوني، ومثلها المنظمة الصهيونية النسائية العالمية المعروفة باسم ويزر التي تنتشر فروعها في شتى أنحاء العالم. والمجلس القومي لجماعة شباب إسرائيل وقد اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بوصفه منظمة غير حكومية للشباب اليهودي، ويمتد نشاطه إلى الأمريكتين فضلاً عن إسرائيل. واتحاد عمال إسرائيل (الهستادروت ومنظمة سندات إسرائيل في نيويورك لتمويل المشروعات الصهيونية). المنظمات السرية:

من المنظمات الصهيونية السرية الخطيرة التي أكتشف أمرها: الماسونية والبهائية، وجمعية شهود يهوه، ونادي الصليبان المزدهرة، ونوادي الروتاري ونكتفي بالالمام بالمحافل الماسونية. المحافل الماسونية:

هي من أقدم المنظمات اليهودية التي بثها اليهود أينما حلوا في أقطار الأرض، لتكون مثوى اجتماعاتهم التي يتناقشون فيها ويتبادلون الرأي والمعلومات. ويكفي لبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية أن بروتوكولات صهيون - الدستور الصهيوني - قد صدرت مذيلة بإمضاء ثلاثمائة من كبار الماسونيين الحائزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية.

ولا يزال منشأ الماسونية طي الكتمان، بل لغزا من الألغاز الغامضة (١). ورغم ذلك فإن تاريخ الماسونية الذي تتداوله معارف الماسونيين ينبئ عن أصلاتها الدينية اليهودية، فهم يزعمون أن الملك سليمان (عليه السلام) كان الأستاذ الأعظم في محفل القدس، كما عثر على مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي

(١) كتاب (كيف أنشئ المحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني) تأليف حسين اللاز وأحمد مختار نجاه ص ٢٨.

ويستدل منها على أن الماسونية دخلت إنجلترا على يد اليهود في مصر والقدس (١).

شعار الماسونية:

والماسونية أو جمعية البنائين الأحرار منظمة اجتماعية عالمية شعارها الذي يتسم به نشاطها الظاهر العدل - الإخاء - الحرية وهدفها: التعاون الانساني بين أفرادها على أوسع مدى، وقد اتخذت من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شعاراتها ورموزها، فالبركار والزاوية هما الرمز العام للماسونية.

وعلامة الأستاذ الأعظم: البركار والقوس وصورة العين المشعة داخل مثلث

وعلامة المنبه الأول الأعظم: ميزان البناء وعلامة المنبه الأعظم: خيط الشاقول وعلامة المهندس الأعظم: البركار

ويشار إلى الله (سبحانه وتعالى) باسم: مهندس الكون الأعظم ويسمى كل تنظيم ماسوني محفلا، يجتمع فيه الأعضاء، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل، وتتبع المحافل المقامة في مجموعة من الدول محفلا عاما يسمى: شرقا وتتكون الماسونية من طبقات ثلاثة متدرجة:

الطبقة الأولى:

وتعرف بالماسونية الرمزية العامة، وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان، ويقسم أعضاؤها إلى ثلاث فئات: المبتدئين أو الأخوة، ثم الأساتذة، ثم الأساتذة الأعظم الذين يرأسون محافلها. وتتكون المراتب الماسونية في هذه الطبقة الرمزية من ٣٣ درجة تتدرج صعودا حتى مرتبة الأستاذ الأعظم.

(١) المرجع السابق.

الطبقة الثانية:

وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكي، ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم وكان أعضاؤها جميعا من اليهود، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق، وهي أدنى مراتبها الطبقة الثالثة:

وتعرف بالماسونية الكونية، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي، وهي محفل واحد جميع أعضائه من اليهود، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكي المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين. ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة، وشارة خاصة، وتحية معينة، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، وتختلف باختلاف طبقات المحافل، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التي تعلوها.

ولا يقبل العضو الجديد في أدنى درجات الماسونية إلا بعد تزكية عضوين له، وثبوت جدارته بما يجري حوله من التحريات السرية التي تبعث على الاطمئنان إليه، ونجاحه في اختبار نفسي عسير يجري في غرفة مظلمة رهيبة حيث يمكث فترة طويلة في تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهيكل العظمية، ثم يتم قبوله في حفل تكريس تجري فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل.

ولا يرقى الماسوني إلى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته، بالترقية وتلقي أسرار الدرجة الجديدة، وتتفاوت هذه الاختبارات في الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو بحيث تمعن في القسوة كلما علت الدرجة والقصد من ذلك التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذي قد يتعرض له في سبيل كتمان أسرارها

وقد اتخذت الماسونية ستارا لأغراضها الحقيقية - وهي خدمة الصهيونية - تلك النشاطات الانسانية والاجتماعية، باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعي وتنفي عن نفسها التعرض للمباحث الدينية والأمور السياسية فالماسوني يلقى دائما من صنوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج إليه، سواء كان في ذلك في وطنه أو البلاد الأخرى، حيث يقابل إخوانه الماسونيين المنتشرين في جميع الأقطار بمزيد البشر والترحاب، والاستعداد لخدمته، والعمل على راحته، حالما يلتقي بهم ويتعرف إليهم بمقتضى الإشارات المصطلح عليها فيما بينهم، وكلمات السر المضمون بها على غيرهم بل يزيد الدعاة في نشر الدعوة الماسونية بقولهم: إن الموظف الماسوني لا بد أن يلقى من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقر به عينه، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للترقي وتخطي الأقران وإذا أجرم الماسوني ثم حوكم أمام القاضي الماسوني فإن البراءة مضمونة له، حالما يظهر له الإشارة الماسونية وهكذا التاجر ورجل الأعمال (١).

ومعلوم أن الماسوني يقسم عند إلتحاقه بالعشيرة الماسونية أمام الرئيس المحترم - خليفة الملك سليمان - أن يتخذ من إخوانه الماسونيين أولياء له في جميع أموره، وأحواله، وأن يأتمنهم كذلك على أعراضه، وأن يتخذ القومية الماسونية دون سواها شعارا له مدى الحياة (٢). وقد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات صهيون عن الدور الجدي للمحافل الماسونية في سبيل إنشاء الدولة اليهودية العالمية التي يدين لها سكان المعمورة، ويخضعون لسلطانها حيث يقول: إن المحافل الماسونية تقوم في العالم أجمع - دون أن تشعر - بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية، على أن الطريقة التي ستستخدم بها هذه القوة في خطتنا، بل في مقر قيادتنا لا زالت مجهولة من العالم بصفة عامة.

وفصل البروتوكول الحادي عشر: الأهداف التي ترمي إليها الصهيونية من افساح المجال لغير اليهود للانضمام إلى المحافل

(١) (الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها) للدكتور أحمد غلوش الرئيس السابق للمحفل الماسوني بالإسكندرية والحائز على الدرجة ٣٣. ص ٤.

(٢) المرجع السابق ص ٨

الماسونية العالمية، فقد جاء فيه: ما هو السبب الذي دفعنا إلى أن نبتدع في سياستنا، ونثبت أقدامها عند غير اليهود، لقد رسخناها في أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى، فما هو السر الذي دفعنا إلى أن نسلك هذا المسلك، اللهم إلا أننا جنس مشنت وليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة، بل بوسائل غير مباشرة فحسب. هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسونية التي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في فهم معناها، أو الشك في أهدافها، إننا نسوقهم إلى محافلنا التي لا عداد لها ولا حصر، تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب، ذرا للرماد في عيون رفاقهم.

وفي البروتوكولات نصوص كثيرة تبين دور المحافل الماسونية في العمل لخدمة الصهيونية منها ما جاء في البروتوكول الخامس عشر: يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم في الحصول على المزايا التي توفرها لهم، ويلتحق بعضهم بها لكي يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين، ويتوق غير اليهود إلى ضروب الانفعالات التي يهيئها النجاح والتهافتات، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة في عصمتهم وفي أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم.

وهكذا كان الماسونيين أكبر معاون للحركة الصهيونية في شتى الأقطار يعملون على تحقيق أهدافها السياسية والاستعمارية بحماس ودأب، ومنهم على سبيل المثال (ونستون تشرشل) الذي عمل على تأييد الحكومة الإنجليزية للمطامع الصهيونية في فلسطين، وكان (هاري ترومان) رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم. وقد أكدت ذلك مجلة شيكاغو افنجر في عددها الصادر في ١٣ يوليو ١٩٥٥ م، وهو الذي سارع إلى الاعتراف بدولة إسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة. وتعزى الحركات الثورية العاتية، والفتن المخربة التي اندلعت في شتى الدول في العصر الحديث إلى النشاط الماسوني الهدام، كالثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، والانقلاب العثماني

سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٨ م) والثورة الشيوعية سنة ١٣٣٦ هـ
(١٩١٧ م) وغيرها (١).

(١) يمكن لمن يرغب في المزيد من التفصيل الرجوع إلى الكتب التالية:
أسرار الماسونية للجنرال جوار رفعت آتلخان. الماسونية في العراق للدكتور علي الزعبي.
والكتاب النفيس الذي صدر أخيراً: (الصهيونية بين الدين والسياسة) للأستاذ
عبد السميع الهراوي، وعليه عولنا في هذا البحث.

الباب الرابع
إتجاهات إسلامية
* إتجاهات قاصرة
* إتجاهات أصيلة

اتجاهات إسلامية
نحن نتحدث عن العالم المعاصر.
ومن ثم فإننا نتحدث عن القرن العشرين
ولئن كنا أوغلنا قرنا أو بعض قرن حين تحدثنا عن الاتجاهات
الدخيلة: غربية وشرقية فذلك لنبين جذورها ليعلم قومنا أن ما هم
فيه ليس قصدا إلى تمدينهم ولا إلى رقيهم إنما هو عروة من
عرى حرب ضروس شنها أعداؤهم عليهم. فلما لم تفلح حرب السلاح
. لجأوا إلى حرب الفكر والعقيدة
وكانوا في الثانية:

أحبث
وأنجح

بيد أنهم. وإن نجحوا. فإن نجاحهم محدود.
محدود كما فلا تزال القاعدة العريضة من المسلمين بعيدة
عن تأثيرهم ولا تزال الفطرة في البادية والريف هي الغالبة برغم
كل ما بذله الغرب والشرق من فساد وإفساد.
وهو كذلك محدود كيفاً:

فإن ما غيروه. قليل إلى جوار ما بقي حتى في نفوس
أتباعهم

ولا يزال الإسلام في كل يوم يضم إلى صفوفه. كثيرين ممن
كانوا عندهم روادا.

وهذا محمد حسين هيكل. يعلن عودته لحظيرة الإسلام.
وهذا طه حسين. يتجه في أخريات حياته إلى الإسلام.
وإن بقي فكره مشوبا بكثير من المؤثرات الأولى.

وهذا جلال كشك، ومصطفى محمود.

وغيرهم كثير.

يفتح الاسلام ذراعيه فرحا بهم أشد فرحا من فرحة الأم بعودة وحيدها الغائب أو أشد فرحا من ظاعن بالصحراء وجد بعد لأي بعيره الشارد وهذا النجاح لا يأمن بعد ذلك رد الفعل.

إن لم ينتهوا يتركوا أرض السلام وأبناء الاسلام وتعض الذي سنقدم إن لم يكن أكثره كان رد الفعل.

وقد بدأ أو بدا أثره قاصرا.

لكنه يوشك بإذن الله أن يعرف طريقه. وأن يبلغ غايته.

ليتم الله نوره ولو كره المشركون.

ونحن نكتفي في الحديث عن الاتجاهات الاسلامية بما كان منها في هذا القرن الرابع عشر الهجري لأن هذا هو معنى المعاصرة الذي نقصد إليه ولن نشغل أنفسنا ولا نشغل الناس بالحركات التي لبست ثياب الاسلام وهي تضمّر له الشر وتحمل له الحقد فإن صبغها بصبغة الاسلام خطأ كبير (١).

لكننا قد نشغل أنفسنا ونشغل الناس بالحركات والاتجاهات القاصرة لأنها وإن كانت لا تمثل الاسلام الصحيح فإنها خطوات إليه حسب أصحابها منها حسن النية، وحسبهم اجتهاداتهم وإن أخطأوا فلهم الأجر إن شاء الله ثم لا بد من دراستها لنبين ما فيها من خير فنستثمره وما فيها من سوء فنرفضه ثم لندعو أصحابها أن هلموا إلى الاسلام الصحيح (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، أولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (٢))

ونبدأ بإذن الله بهذه الاتجاهات.

ثم نشني بإذن الله بالاتجاه الصحيح.

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(١) مثل القاديانية التي قامت في الهند عميلة للاستعمار البريطاني. محاولة تحريف العقيدة الاسلامية. وهي وغيرها من الحركات المشبوهة موضع دراسة مادة الأديان والفرق (٢) آل عمران ١٠٥، ١٠٦

الفصل الأول
إتجاهات قاصرة
مقدمة:

وفي حديثنا عن الإتجاهات القاصرة قد نغفل تسمية أصحابها
ليس خوفا منهم ولا ملقا لغيرها
فيعلم الله أن خوفنا منه ورجاءنا إليه.
- ولكنه أدب

علمنا إياه الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم حين كان يصعد المنبر
فيقول ما بال أقوام فعلوا كذا كذا.
- ثم هو بعد ذلك دعوة

لأولئك الذين أحبوا الاسلام وإن لم يفهموه الفهم الصحيح
أو المتكامل دعوة إليهم من غير جرح لمشاعرهم.
فهم أقرب إلينا من الذين شردوا وهم أعز علينا منهم
بل قد يكونون أعز علينا من أنفسنا
وأول هذه الإتجاهات القاصرة ما اقتصر على العقيدة
وغالي فيها

وثاني هذه الإتجاهات القاصرة ما اقتصر على النسك
وغالي فيه

وثالثها ما اقتصر على محاولة إصلاح بعض المؤسسات
ولم يستطع حتى أن يغالي فيه ونكتفي بهذه الإتجاهات لنجمع تحتها كثيرا من
الحركات التي ظهرت في هذا القرن
ولنجمع تحتها كذلك كثيرا من الجمعيات التي حملت اسم الاسلام
أو جزءا من اسمه وكل ذلك بغير تسمية كما أشرنا

المبحث الأول
إتجاهات نحو العقيدة
لا شك أنها نقطة بداية صحيحة:
أن نبدأ من العقيدة
فإنها الأساس
لكن الخطأ والخطر
أن نقف عندها
أو أن نتغالى فيها
وقبل أن نبين الخطأ والخطر فيها نبين الصواب فيها مشيرين
إلى ظروف نشأتها فهذان بحثان بإذن الله
أولاً: صواب البدء بالعقيدة
البدء بالعقيدة عين الصواب.
لأن الاسلام يقيم بناء له أساس
وأساسه العقيدة
وبناء الاسلام ليس من حجارة ولا من صخور وإن كان بعد
قيامه أثبت من الرواسي وأصلب من الصخور
إنه بناء معنوي
بناء قيم ومثل
بناء شريعة
أساسها عقيدة
وهذا البناء لا يقام في فراغ.

ولا يقيم كذلك على جماد.
لكنه يقيم على أكرم ما خلق الله على الانسان.
ثم هو يقيم في أعز مكان في الانسان وأعلى قطعة فيه
إنه يقيم في قلبه
" التقوى هاهنا وأشار النبي صلى الله عليه و (آله) إلى
قلبه " (١).

" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت
فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " (٢).

والذين أقاموا الحضارات غير الاسلامية.
أخطأوا نقطة البدء. بل أخطأوا مكان البناء نفسه.
فأقاموا بناء الحضارة خارج الانسان من الآلة والمصنع
وناطحات السحاب وهم حتى حين نظروا إلى الانسان.
نظروا إلى أخط شئ فيه غرائزه
فكانت حضارتهم إشباعاً لهذه الغرائز وإثارة لها حتى
شقي الانسان بحضارتهم أيما شقاء.
وأهملوا في الانسان أعز شئ فيه وأعلى قطعة منه
أهملوا قلبه!

وهذا هو الفارق بين حضارتهم وحضارة الاسلام!
والظروف التي دعت للنداء بالعقيدة:
قريبة من الظروف التي دعت الاسلام بها أول مرة.
فكثير من المجتمعات الاسلامية خلال القرنين الثاني عشر والثالث

(١) من حديث طويل رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان ٣٩ ومسلم وابن ماجه.

عشر، وبعضها لا يزال حتى القرن الرابع عشر الحالي يتنازعها تقاليد، وأفكار إن لم تكن هي الشرك فهي قريبة منه بل إن بعض هذه المجتمعات أو شك يوماً أن يعبد شجرة أو مكاناً حاطه البعض بشئ من التقديس

ولا يزال كثير مما حتى اليوم فيما يسمى بالموالد له شكل الشرك ولا ينقصه إلا النية والله أعلم بالنوايا وبرغم أن أصحاب هذه "الموالم" براء مما أحدث الناس بل إن بعضهم لو كان على الحياة لحرقت كثيراً من أولئك الضالين كما علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمن ألوهه من دون الله سبحانه وتعالى

وبرغم ما يقال من أن إحياء هذه "الموالم" إحياء لمبادئ وقيم أصحابها وتذكير بها فإن ما غلب عليها من "بدع" وما يرتكب فيها أو باسمها من "آثام" كفيل بالانتهاء عنها

فإن من أسباب تحريم الخمر والميسر قول الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما.

فضلاً عن أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة. وسد الذرائع كفيل بترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس طواغيت:

والطواغيت التي أمرنا الله أن نكفر بها ليصح إيماننا ليست ولم تكن، الأوثان والأصنام فحسب إن تلك الأوثان والأصنام مجرد صورة واحدة، أو مثل واحد. لكن صور الطواغيت كثيرة:

معتقدات

مبادئ

أفكار.
أشخاص
عواطف ومشاعر
سلوك
صور للتنسك
وجماع هذه جميعا أن تعطيها أو تعطي شيئا منها بعض
صفات الله أو بعض أفعاله التي اختص بها وحده سبحانه
ولا يهم أن تفردها بهذا العطاء
أو أن تشاركها مع الله فيه
فمن أعطى شخصا أو هيئة مبدأ صفة " الحكم " أي
وضع القواعد التشريعات ابتداء وهذا خالص حق الله سواء في مجال
العقيدة، أو الأخلاق، أو العبادات أو المعاملات: اقتصادية، وسياسية،
 واجتماعية
فقد اتخذ الشخص أو الهيئة أو المبدأ طاغوتا
فإن أفرده بهذه الصفة فقد اتخذها طاغوتا من دون الله.
وإن أشركه مع الله في هذه الصفة فقد اتخذها طاغوتا مع الله.
وفي الحالين إن توافرت له الإرادة فقد انتفى عنه الإيمان
(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به
ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا)
إلى قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١)).

(١) النساء ٦٠ و ٦٥

فليُنظر الذين يقولون
" أنا مسلم العقيدة ماركسي المذهب "
فإن العقيدة لا تصح حتى يسقط كل طاغوت يعطيه الانسان
بعض حق الله.
(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى (١).
ولذا كان في شهادة التوحيد سابقا على الاثبات
لا إله إلا الله!
العقيدة الصحيحة:
والعقيدة الصحيحة.
ليست قاصرة على نطق اللسان: لا إله إلا الله محمد رسول الله.
إنها قبل ذلك علم القلب وعمله.
وهي ليست قاصرة بعد ذلك على عمل الجوارح.
إنها إن اقتصر على الأولى: شهادة اللسان وانتفت الثانية:
كانت نفاقا
وإن اقتصر على الثانية دون الأولى كانت كفرا
وإن اقتصر على الأول والثانية دون الثالثة كانت فسقا
ثم:
إنها ليست قاصرة على جانب من صفات الله دون الجانب الآخر.
إنها كما تشمل الاعتقاد بأن الله خالق
تشمل كذلك الاعتقاد بأنه رازق
تشمل كذلك الاعتقاد بأنه: حاكم أو حاكم

(١) البقرة ٢٥٦

والاخلال في جانب من هذه كالاخلال بالجانب الآخر سواء

بسواء (١)

ثانيا: خطأ وخطر

الذين نادوا بالعقيدة على ذلك النحو.

أصابوا كل إصابة

لكنهم أخطأوا من جانبيين.

إنهم وقفوا عندها

أو أنهم غالوا فيها أو فعلوا الخطأين معا

أما خطؤهم في الوقوف عندها:

فإن العقيدة أساس

لا يقوم بناء بغيره وهذه أهميتها

لكن.

أيصح لعاقل أن يقيم الأساس ويكتفي؟

فلا يقيم بعده البناء؟

وما يجديه الأساس إن أصابته حرارة الصيف أو مسه برد

الشتاء؟

وأما خطأ المغالاة فيها:

فقد جاء من اعتبارهم الائتثار بالأمر والانتهاه عن النهي جزء من

العقيدة، وترتيبهم نفس النتيجة التي تترتب على تخلف الأجزاء الأخرى

كشهادة اللسان أو اعتقاد بالقلب. واعتبار " العمل " بتفصيله السابق

جزءا من الإيمان صحيح.

(١) تفصيلا لذلك بحثا مفصلا (الإيمان الحق: شهادة وعقيدة وعبادة) - للدكتور

علي جريشة - دار الشروق الطبعة الأولى - سبتمبر سنة ١٩٧٥ - والمراجع المشار

إليها في هذا البحث.

لكن ترتيب نفس النتيجة عليه غير صحيح.
ذلك أن للإيمان درجات كما أن في الجنة درجات.
وللكفر درجات كما أن في جهنم درجات!
أو هو كالكائن الحي لا يستوي فصل رأسه مع فصل رجله
أو يده ومن ثم فلا يستوي في شرع الله تارك الشهادة: لا إله إلا الله
مع تارك إطعام المسكين
ولا يستوي من داس مصحفاً أو أنكر شيئاً ما فيه.
مع من اغتاب، أو سعى بالنميمة، أو حتى قتل!
والقرآن سمى تارك " الهجرة " مؤمناً " والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء (٢) ".
وسمى من قاتل أخاه " مؤمناً " وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فأصلحوا بينهما (٢) ".
وتداعى الناس وتتابعهم في المعاصي لا يدفعنا إلى خطأ آخر
هو تكفيرهم
إنما ينبغي على المسلم أن يمسك في أحلك الظروف بالميزان الدقيق.
يزن به الأفعال والأشخاص " الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان (٣) " .

(١) الأنفال ٧٢

(٢) الحجرات ٩

(٣) الشورى ١٧

المبحث الثاني
الاقتصار على النسك
لا شك في فضل شعائر الله.
ولا شك أنها عمد هذا الدين لا يقوم بغيرها
ولا شك أن تعظيمها وتوقيرها من تعظيم الله وتوقيره من تقوى
القلوب " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " (١).
لكن هل نستطيع أن نقتصر عليها فقط ونقول هي الدين؟
الرسول يرفض محاولة الاقتصار أو محاولة التغالي:
بعض الذين يقتصرون اليوم على الشعائر يقولون أنهم
يتشبهون بالصحابة، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم برءاء
مما يقولون

فمنهجهم هو منهج الرسول عليه و (آله) الصلاة والسلام الذي شجب
مثل هذه المحاولات ليوضح سنته حين قال بعض أصحاب النبي صلى
الله عليه و (آله) وسلم أين نحن من النبي صلى الله عليه و (آله) وسلم، قد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا أصلي الليل
أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل
النساء فلا أتزوج أبدا
فجاء رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم فقال: أنتم الذين قلت
كذا وكذا؟

أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم له
ولكني أصوم وأفطر
وأصلي وأرقد
وأتزوج النساء

(١) الحج - ٣٢.

فمن رغب عن سنتي فليس مني! (١).
وهذا حنظلة الكاتب التميمي، يقول: كنا عند رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم، فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأي العين، فقامت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت قال: فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: نافقت، نافقت فقال أبو بكر: إنا لنفعله، فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه و (آله) وسلم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم رد المعلم الرؤوف الرحيم: " يا حنظلة: " لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم، (أو على طرفكم)، يا حنظلة ساعة وساعة " (٢).
وحين علم رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم أن رجلا قد انقطع للعبادة.

قال: ومن يطعمه ويسقيه.

قالوا أخوه.

قال: أخوه أعبد منه.

ثم أعطى معنى العبادة حقها:

حين جعل " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله (٣).

وحين قال: " إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم في طلب المعيشة " وفي لفظ (عرق الجبين (٤).
الاستعمار يشجع فرق المتنطعين:

وحين جاء الاستعمار الأوروبي إلى أرض الإسلام حارب الدين وكل ما هو ديني إلا فرق المتنطعين. رافعي الرايات وضاربي الدفوف والهائمين على وجوههم زاعمين أنهم من أهل الله يتكفون الناس.

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ للبخاري.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٤) رواه الطبراني وأبو نعيم في الحليمة.

وكان من بين ما شجعه المستشرقون " التصوف " (١).
التصوف بهذا المعنى القاصر.
لأننا لا نود أن نظلم المتصوفة كلهم.
وإن كنا نود لهم ما ارتضاه رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم.
" أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له
ولكني أصوم وأفطر.
وأصلي وأرقد.
وأزوج النساء
فمن رغب عن سنتي فليس مني " !
هل صحيح بعد ذلك الاختصار على النسك؟
أظنه ليس بحاجة إلى جواب.
إلا أن تقول بصلاحيّة أعمدة تقوم لأن تؤوي أسرة فتقيها
حر الصيف وبرد الشتاء.
وإلا أن تقول بغير ما قال به محمد عليه و (آله) الصلاة والسلام.
أما المغالاة:
فلئن كان الاختصار خاطئاً.
فالمغالاة أشد خطأ حتى ولو كانت بقصد كريم شريف فلا بد
مع القصد من الاتباع لأن الإفراط في شيء تماماً كالتفريط فيه
كلاهما طرفا نقيض مذموم من الله سبحانه وتعالى " والذين إذا
أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً " (٢).
وفي موضوعنا نصوص كثيرة " واعلموا أن فيكم رسول الله لو
يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم " (٣).

راجع ما سبق عند الكلام عن الاستشراق.

(٢) الفرقان ٦٧.

(٣) الحجرات ٧.

عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا (١).
" إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك
عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " (٢).
" إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا
فأعط كل ذي حق حقه (٣) ".
وبعد ذلك

فإن الاغراق في جانب وإعنات النفس فيه
يؤدي بغير شك إلى الملل والسأم مما يفضي بعد ذلك إلى الانقطاع!
أو يرتد بالنفس إلى النقيض الآخر
أو يؤدي إلى خلل في الجسم أو العقل أو المال.

(١) الموافقات ج ١ ص ٣٤٣.

(٢) رواه أحمد والبيهقي.

(٣) رواه البخاري والترمذي.

المبحث الثالث

مدارس العقل والعقلاء

مدارس العقل والعقلاء نشأ أكثرها في فترة الاحتلال الأجنبي

وفي أوج قوته

لها فلسفتها:

إننا لسنا بقادرين على مجابهة قوة الاستعمار العسكرية ومن ثم

فلنؤجل الجهاد ولنعمل العقل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه أو باستعارة

التعبير " ما لا يدرك كله لا يترك كله " .

اتهم ننفية:

ونحن - على عكس كثير غيرنا - نحسن الظن بأصحاب هذه

المدارس ولا نقبل أن نسميهم " عملاء " (١).

وإن بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر

ذلك أن هؤلاء القوم كما نقول صدروا في فلسفتهم المحركة

لهم عن ضعف استشعروه فالاستعمار قهرهم قهر من كان أشد

منهم قوة وأعز نفرا!

فكيف بهم أن يقفوا في وجهه؟

سداجة:

لكننا وإن نفينا عنهم " العمالة " فلا نستطيع أن ننفي عنهم

" السداجة " أنهم ظنوا أنهم يضحكوا على الاستعمار

ويمكروا به فإذا به أشد مكرا.

(١) شن الدكتور محمد محمد حسين حملة شديدة على الشيخ محمد عبده وشيخه الأفغاني

في كتبه: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الحضارة الغربية الخ وسار على

نفس النهج الأستاذ غازي التوبة في بحثه القيم الفكر الاسلامي المعاصر وفعل غيره

كذلك

ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الاسلام
وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب، والتغيير الاجتماعي!
فبعضهم ظن أن يستطيع أن يقنع الإنجليز بإصلاح التعليم الديني
" إن أعظم فاعل في نفوس المصريين أن يقال لهم: إن صاحب هذه
المنفعة ليس من دينكم وإنكم مأمورون ببعضه " ثم يقول " الدين
الاسلامي الحقيقي (!) ليس عدو الألفة، ولا حرب المحبة ولا يحرم
المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم في المصلحة، وإن اختلف عنهم
في الدين، وبالجملة فهو أفضل كافل لجعل الرعية سالحة لأن تكون بدنا
في رأس أو آلة لعامل (١).

وبهذه النية التي نحسن الظن بها.
ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الأديان.

فيها المسلمون
والنصارى

واليهود

ولعله لم يكن قد اطلع على توصيات المبشرين والمستشرقين في
التقريب بين الأديان ولعله لم يدرك أن التقارب بين الاسلام
والمسيحية واليهودية لا يمكن أن يكون إلا على حساب الاسلام
لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف ولا بد في التقريب من تنازل
وتنازل المحرف لا يضره! أما تنازل الصحيح فإنه يضره ويضره
كل الضرر!!

ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول الله صلى الله عليه
و (آله) وسلم ذلك التقارب حين قالوا له نعبد إلهك يوما، وتعبد آلهتنا يوما.
فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة.

" قل يا أيها الكافرون

لا أعبد ما تعبدون

(١) المرجع الأخير.

ولا أنتم عابدون ما أعبد
ولا أنا عابد ما عبدتم
ولا أنتم عابدون ما أعبد
لكم دينكم
ولي دين

ولا أدري هل قرأ " سيد العقلاء " ما كتبه أحد أعضاء جمعيته
تحت عنوان " الاسلام والمدارس المحمدية " التي جاء فيها " وإحسان
المسلمين لمواليهم، وإشفاقهم على البهائم التي ترجع أيضا إلى الرب،
وإنفاقهم في سبيل الخير، والسداجة التي هي من خصال المؤمنين الصادقين
أحرى بأن تميلنا إليهم، من أن نصيح " النبي الكاذب " .
وما أحسن عمل مبشرينا (!!) لو جاهدوا في التوفيق بين الاسلام
والمسيحية توفيق أختين من أم واحدة " (٢) وهكذا أعطى الإمام من
" السداجة " ما يرغب فيه المبشرون!!
وقفة:

ولسنا نحاسب " الإمام " بعد ذلك على انضمامه للمحفل الماسوني
الفرنسي فنحسب أنه في ذلك التاريخ لم يكن من الناس كثير يدرك حقيقة
الماسونية، وحقيقة الدور الذي تلعبه، ولم يكن نيلوس قد
نشر " بروتوكولات حكماء صهيون " التي صرحت باستخدام الماسونية
لتحقيق أهداف اليهود، وإن أدرك نشرها في روسيا فربما لم يدرك نشرها
في إنجلترا ولم تكن بالقطع قد ترجمت إلى اللغة العربية لأن
هذه الترجمة لم تتم إلا بعد ذلك بكثير
لا نحاسب الرجل على هذه النقطة خاصة وأن الماسونية لا تكشف
عن حقيقتها لأعضائها إلا في درجة سحيفة من درجاتها الثلاثة والثلاثين.

(١) للمفتش الإنجليزي جي دي لو اينتر - بجريدة الديلي تلغراف اللندنية في ٢ شباط
١٨٨٨ وراجع تعليقا على ذلك للأستاذ غازي التوبة - الفكر الاسلامي المعاصر - دراسة
وتقويم.

ولا نحسب الرجل أشد حذرا من رئيس عربي ظل ينتسب لمحفل
ماسوني حتى بعد أن صار " زعيم ثورة " و " رئيس دولة " فلما
فاحت أمر بحل كل المحافل الماسونية في بلده!
وأما الذي نأخذه على الرجل العالم:
أولا: اقتصره من الاسلام على الاصلاح عن طريق التعليم
فالاسلام - كما سنشير - ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية،
ومنهاج حياة في هذا الجانب استطاع أن يصلح!!
ثانيا: إن الرجل وهو في موضع القدوة للمسلمين مالا " الكافرين "
الذين غصبوا الديار وما بعد الديار!
وإنكار القلب إن كنا نكتفي به من الشيخ الإمام يفرض مع
الانكار " الاعتزال " وإلا فقد السلامة من الإثم والبراءة من الذنب.
فليس وراء ذلك النوع من الانكار حبة خردل من الإيمان.
ولا ندري هل الإمام يحفظ.
" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون
إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول
وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم، إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن
يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل
إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم
بالسوء وودوا لو تكفرون "
وهل قرأ غيرها من الآيات في نفس المعنى أم أن فيه تأويلا كتأويله
في الملائكة أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه
السلام أو في الجن، أو في السحر أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله
(الكبير) ليقول " بالرأي في كتاب الله؟!!! ".
لقد مضى الرجل إلى ربه فترك له حساب سره وعلانيته.
لكننا إزاء الظاهر.

وعمره الذي أفني في محاولة إصلاح التعليم بلوغا إلى مقاومة
الاستعمار أو النهوض بالاسلام لا نملك إلا أن نتلو قول الله:
" قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالا:
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١)!"
ونترك من قبل ذلك ومن بعد ذلك حسابه على الله لكننا
نسوق ما نسوق ليعتبر أولو الأبصار ويتذكر أولو الألباب
فلا تتكرر الصورة مرة أخرى!

(١) الكهف " ١٠٣ " و " ١٠٤ " .

الفصل الثاني
محاولة لخط إسلامي أصيل
المبحث الأول
ضلال وقصور
أولاً: ضلال الاتجاهات الدخيلة:
لقد نقل " البعض " عن الغرب علمانية في التعليم والإعلام
وفي القانون
ونقلوا منه " تحرير المرأة " من بيتها ومن زيها
ونقلوا عن إضعاف دور الدين وإضعاف رجاله
فهل تحقق لهم ذلك؟
إن المنطق أولاً يرفض ذلك النقل " الآلي " .
إن شخصين قد يمرضان بمرض واحد ومع ذلك يعرضان على
طبيب واحد فيقضي لكل مريض منهم بدواء مختلف عن الآخر .
وإن نباتاً واحداً قد يزرع في أرضين كلاهما خصبة فتنبت
الواحدة وترفض الأخرى وإن شخصين في سن واحدة ودرجة
ثقافية واحدة قد يلقتان علماً أو عقيدة فيورث أحدهما جهلاً والآخر
علماً ويورث أحدهما إيماناً والآخر كفراً!!
إن الشعوب تماماً كالأشخاص لأنها مجموعة أشخاص
ما يطب شعبا قد يمرض شعبا آخر .
وما يعلم شعبا قد يورث الآخر جهلاً .

وما يدفع شعبا إلى الإيمان قد يدفع الآخر إلى الكفر والفسوق
والعصيان!
بل إن النبات ليأخذ بالاختيار فيتخير من عناصر التربة ما يصلح له.
فما يختاره النخيل قد لا يختاره شجر البرتقال وهكذا
فهل يؤتى النبات " فطرة " الاختيار ويفقد الانسان الذي أوتي
الإرادة قدرة الاختيار؟؟
ثم إن " الأصالة " ترفض ذلك النقل.
فالشعوب الأصيلة تستمسك بما لديها من " تراث " باعتباره
أحد عناصر استقلالها
بل أهم عناصره وهي - حتى تحت الهزيمة قد تستمسك به
ولدينا مثل من الأمة الاسلامية الأولى.
حين غلبت على أمرها أمام زحف التتار رفضت أن تأخذ بالياسق
الذي وضعه الغالبون جزءا من شريعة جنكيز خان وجزءا من شريعة
الاسلام وأجزاء من شرائع أخرى
ومثل من الأمة الألمانية والأمة اليابانية لم يفقدا برغم الهزيمة
المرة العناصر المميزة لشعوبهما. ولم يذهبا إلى نقل كل وارد من غير
تمحيص وها هي الأمتان تعودان أقوى مما كانتا تعودان
لتقرضا أغنى دول العالم ولتنشرا على مستوى العالم كله منتجاتهما!!
والاسلام بعد ذلك يرفض ذلك النقل الأعمى.
لأنه هو الأعلى والأعلى لا يمد اليد لما هو أدنى.
لأنه الطيب والطيب لا يستبدل بالخبث.
لأن عنده ما ينفع الناس ولا يستبدل بما ينفع الناس الزبد
أو الغشاء.

ولا يتسع المجال لندلل من النقل والعقل.
إن الاسلام هو الأعلى
وهو الطيب
وأن عنده ما ينفع الناس.
فحسب أنه لا ينكر على الاسلام ذلك إلا معاند أو جاهل
وفي الإعراض عن كليهما خير أي خير
والماركسية في منهجها الأخير تحاول أن تقيم صلحا بينها وبين
الاسلام، والكفر والإيمان لا يصطلحان والشر والخير.
لا يتقاربان
ولا يجتمعان
ومن ثم كانت دعوة مرفوضة غير مشكورة
ولتبحث عن دين آخر
يقبل الصلح أو التقارب أو الاجتماع.
فلقد شب أبناء الاسلام عن طوقهم ولم يعودوا يقبلون ذلك
" التغليف " أو " التضليل " والماركسية بتراجعاتها الكثيرة في مجال
النظرية:
في التفسير المادي للتاريخ
وفي مفهوم المادة ذاته.
وتراجعاتها الأكثر في مجال التطبيق العملي:
بعد عدولها الجزئي إلغاء الملكية.
وبعدولها المرحلي عن إلغاء الأسرة.
وبعدول بعض أجزائها الأوربية عن مبدأ دكتاتورية البروليتاريا.
وبعدولها المرحلي " التكتيكي " عن الهجوم على الدين.
وبأخذها عن " الرأسمالية " نظرة الحوافز.
وبمهادنتها للنظم الرجعية بل إعلانها الوفاق مع بعضها

كل ذلك
لم يعد معه من المقبول - علما ومنطقا - أن نقول بوجود " النظرية
الماركسية ".
وأخيرا
فماذا فعلت الماركسية حين أعطيت لها " القيادة " في بعض
البلاد الاسلامية هل حققت تقدما اقتصاديا
الواقع الأليم يحكم على الاشتراكية والاشتراكيين بالخراب
كل الخراب هل حققت تقدما سياسيا.
في ظل توجيهاتها العليا كانت أكبر محنة للشعب المسلم في المنطقة
حين استدلته واستعمرت أرضه أذل أمة في الوجود
هل حققت تقدما اجتماعيا
ليس سوى التمزيق بين أبناء البلد الواحد، بل بين أبناء الأسرة
الواحدة من اتهامات باليمينية، والامبريالية.
وغيرها من الألفاظ والمصطلحات الرنانة
ثانيا - قصور بعض الاتجاهات الاسلامية: ماذا فعلت الاتجاهات الاسلامية التي عرضنا
لها: من اقتصار
على العقيدة إلى اقتصار على النسك، إلى اقتصار على محاولة إصلاح
التعليم؟؟
كلها باقتصارها على جانب واحد أشبه بجيش جرار معه
سلاحه وذخيرته لكنه يقف مكانه يحرك رجله
وليس له ثمة تقدم يذكر.
أنه يسير مكانه والعالم كله يسير إلى الأمام.
أو هي من ناحية أخرى.
تقيم جزءا من البناء وتهمل الباقي.

فما يتكون البناء المتكامل الذي يشد بعضه بعضا.
وما يكون نصيب الجزء الذي بني إلا أن تعشعش فيه الغربان
وتأوي إليه الحشرات
فلا يلبث أن يبدو بعد حين كريها لكل ناظر
والاسلام أعز من ذلك وأكرم
إذن فأين الطريق؟؟

المبحث الثاني

أين الطريق

من ابتغى نباتا طيبا فلا بد له من أمرين رئيسيين:

تربة طيبة وبذرة طيبة والباقي عوامل مساعدة.

والتربة الطيبة - في رأينا - هي الانسان كله

والبذرة الطيبة هي شريعة الله كلها

فإذا أحسن زرع البذرة الطيبة في الأرض الطيبة كان نبات

طيب

كانت حضارة ونهضة يسعدان الانسان العالم كله.

وتتحدث عن كل عنصر بما يسمح به المقام.

أولا: الانسان كله

أشرنا من قبل إلى أنه إذا كانت حضارات القرن العشرين أو

بالأصح جاهلياته قد لجأت إلى الآلة وإلى المصانع وجعلت الانسان

في الدرجة الثانية.

فإن حضارة الاسلام تجعل الانسان في الدرجة الأولى

صانعا لها ثم هدفا لها والانسان بلا شك - هو أكرم المخلوقات

في هذا الوجود.

ومن ثم كانت حضارة الاسلام باعتبار الانسان صانعا لها ثم هدفا

لها أكرم حضارة في الوجود وقضية تكريم الانسان وتفضيله على

غيره من المخلوقات قد تبدو قضية بديهية، بالنسبة لعصرنا لكنه قد أتى

حين من الدهر لم يكن فيه الانسان شيئا مذكورا

حتى لقد استعبد في فترة وخضع للبيع والشراء في سوق النخاسة.

واستعبدت المرأة في فترة وكان ينظر إليها على أنها متاع كسائر المتاع في البيت وكانت تورث من بين ما يورث من الأشياء. ولا تزال المرأة في حضارات كثيرة مستعبدة وإن علقوا على رأسها لافتة الحرية لا تزال تباع وتشتري في سوق الرقيق الأبيض، ولا تزال تعرض سلعة رخيصة في كثير من الأماكن تباع النظرة وتبيع البسمة وتبيع ما وراء ذلك بالدرهم والدولار!! وفي زمن نظر الناس إلى الملائكة على أنهم الجنس الأكرم. ونظر آخرون إلى الجن. وجاءت كلمة الاسلام قاطعة " ولقد كرمتنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ".

وقصة سجود الملائكة لآدم التي حكاها القرآن ليست للتسلي ولا للتلهي " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى " (١).

لكن البعض قال فيها بغير علم، وتأول صريح ألفاظها ودلالاتها، بما يخرجها عن معناها وهدفها " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين " (٢).

وتكررت في أماكن أخرى بألفاظ أخرى لكنها كلها من الواضح بما لا يصرفها عن معناها الظاهر إلى معنى خفي أو ملتو الله أمر الملائكة بالسجود لآدم والملائكة كلهم سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.

وسجود الملائكة على هذا النحو فعل حدث وتم وهو يعني التكريم الذي أشارت إليه آيات أخرى بل هو أبلغ درجات التكريم وتكريم الاسلام لآدم وبنيه ينصرف بلا شك إلى الجنسين الذكر والأنثى وهذا التكريم اقتضى صيانة " الانسان " ولذا كانت صيانة " دمه " و " عرضه " و " ماله " بل يبلغ التكريم والصون

(١) يوسف ١١١

(٢) البقرة ٢٤

غايته ومنتهاه حين يقول رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم ناظرا لبيت
الله الحرام الذي زاده الله تشريفا وتكريما " ما أعظمك " و " أعظم
حرمتك " لحرمة المؤمن أشد عند الله من حرمة بيته المحرم
حضارة القرن العشرين شهدت على أيدي بعض أذعائها ممن جعلوا حرمة
المؤمن دون حرمة الكلاب فأهدروا جسده، ودمه، وماله، وعرضه
وحرموه من أدنى الحقوق بل أدنى الضرورات حرموه أن يقضي حاجته،
وحرموه أن يسد رمقه!! قد يقال وكل حضارات الدنيا لم تقم ولا يمكن
أن تقوم بغير الانسان.

ونقول ولكنها لا تجعله من الدرجة الأولى.
ولا تنظر إليه نظرة الاسلام كالا لا يتجزأ أشرف ما فيه
قلبه

الانسان كله:

في هذا تفترق حضارة الاسلام عن سائر الحضارات إنها لا تنظر للانسان كجسد
وحسب كما تفعل الحضارة المادية

شرقية وغربية نزوعا إلى ذلك المستوى الهابط الذي صور به فرويد
الانسان مجموعة غرائز تتحرك أو نزوعا إلى ذلك الأصل الهابط
الذي تدرج به دارون إلى أن يجعل أصل الانسان قردا أو ما وراء
ذلك

حضارة الاسلام لا تغفل واقع الانسان أنه جسد
لكنها لا تغفل الجانب الآخر من الواقع أن له روحا
أن له عقلا وقلبا

وهي تبدأ مع الانسان وفي هذا نفترق - عن سائر الحضارات
من أعز مكان فيه وأشرفه من قلبه فتودع فيه العقيدة والإيمان
وبهذا تكون نقطة التحول للانسان.

بهذا يبدأ الانسان معرجه إلى حضارة المثل والقيم والأخلاق.
ولا تغفل بعد ذلك بقية القوى فيه

إن لربك عليك حقا
وإن لبدنك عليك حقا
وإن لزوجك عليك حقا

فاعط كل ذي حق حقه
ويتحقق في الانسان " المسلم " التوازن المفقود عند غيره
فلا الجسد ولا حاجاته يطغى فينقلب الانسان إلى حيوان تسيره
غرائزه
ولا العقل ومنطلقاته يطغى فينقلب الانسان إلى خيال بعيد عن
الواقع والحياة.
ولا القلب وأشواقه يطغى فينقلب الانسان إلى راهب ينقطع
عن الدنيا وما فيها وإنما كل يسير بقدر كما أن كلا خلق بقدر.
كل يسير في فلكه المرسوم كما تسير الكواكب في فلكها المرسوم.
" لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون " (١).
أما القدر الذي يسير قوى الانسان
وأما الفلك الرسوم الذي يسير فيه
فهو الشريعة التي أنزلها الله له
وفيها هذا النظام الرائع المحبوك الذي لا يقل روعة عن نظام
هذا الكون المتناسق الغريب
وحين تختل القوى أو تطغى ففي توجيهات هذه الشريعة وأوامرها
ونواهيها ما يرد الأمر إلى توازنه ليعود كل يسير بقدر وليعود
كل إلى فلكه المرسوم بغير طغيان ولا خسران بغير إفراط ولا تفريط.
ثانيا: الشريعة كلها
الانسان هو التربة الطيبة
والشريعة هي البذرة الطيبة
ومنهما يكون النبات الطيب بإذن ربه
ومنهما تكون حضارة المثل والقيم والأخلاق

(١) يس ٤٠.

ومحاولات النهضة الاسلامية السابقة لم تؤت ثمارها المرجوة. أما لأنها اقتصرت على جانب في الانسان تقيمه وتزكيه، وأهملت بقية الجوانب.

وكما قدمنا فالانسان كل لا يتجزأ ومخاطبة جانب فيه يخل بالتوازن الذي أودعه الله في هذا الانسان كما أودع التوازن في الكون كله

" والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (١) ".
وبالنسبة للشريعة فالذين اقتصروا على العقيدة كما قدمنا اقتصروا على أساس وتركوا بقية البناء.

والذين اقتصروا على النسك اقتصروا على أعمدة وتركوا بقية البناء.

والذين اقتصروا على التعليم أخذوا جانباً وتركوا بقية الجوانب. وشريعة الله بناء متكامل يشد بعضه بعضاً.

أساسه: عقيدة

وأخلاق

وعمده: شعائر ونسك

وبقية أركانه وجوانبه: أوامر ونواه وتوجيهات تشمل جميع الحياة.

ونشير في إيجاز لهذه الجوانب ثم نشير إلى أنها لا تقبل التجزئة ولا التفرقة ثم نختم بحثنا بتساؤل

كيف نقيم بناء الشريعة في النفس وفي الناس؟؟

هذا ما تجيب عليه بمشيئة الله في الفصل الثالث تحت عنوان جوانب شريعة الله.

(١) الرحمن ٧ - ٩.

الفصل الثالث

جوانب شريعة الله

كان من نتائج إبعاد شريعة الله عن حياة المسلمين، وإبعادهم عنها أن اختلفت نظرة الكثيرين إليها حتى المخلصين الراغبين إليها وكان كل من قبس منها قبسا ظن ذلك هو الاسلام أو ذلك هو الشريعة فراح يعكف عليه وحده ويدعو إليه وحده بيد أن شريعة الله كل لا يتجزأ قد نقبس منها قبسا لكننا لا نقف عنده. بل نحاول أن نحيط بالنور كله ليكون فيه الخير كله ولسوف نرى فيما بعد إن شاء الله. أن تجزئة شريعة الله قد تكون فتنة تماما كمنعها كلها بل ربما أشد. من هنا كانت هذه الجوانب وأشرفها هو العقيدة. وثانيها المكمل لها هو الأخلاق. ومن هذين يصطبغ المسلم بصبغة الإيمان. لكن لا بد من صقله وتنمية هذا الإيمان بالشعائر والنسك. ثم باتباع سائر أوامر الله في سائر جوانب الحياة. ونشير لكل جانب بكلمة:

المبحث الأول
العقيدة والأخلاق والشعائر
أولا - جانب العقيدة:
العقيدة أشرف جوانب الشريعة.
ولذا كانت تخاطب أشرف جزء في الانسان تخاطب قلبه.
وبقيامها في قلوب الناس. يقوم أساس هذه الشريعة متينا
قويا.
" أفمن أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان خير، أمن أسس
بنيانه على شفا جرف هار. " (١)
وقد أشرنا - في معرض الحديث عن الاتجاهات القاصرة - إلى
أن عقيدة الاسلام متمثلة في الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله.
وهي بهذا كما أشرنا تتضمن نفيا ثم إثباتا.
نفيا يقتضي إسقاط كل صفات الألوهية والربوبية عن سوى الله
سبحانه وتعالى من طواغيت بشرا كانت أو حجرا.
ولا نحسب الانسانية - بعد أن شبت عن طفولتها - تترد مرة
أخرى إلى جاهليتها الأولى لتعطي بعض صفات الألوهية أو الربوبية
لوثن أو صنم
لكنها لا تزال - حتى اليوم - تتردى في إعطاء بعض هذه الصفات
للبشر.
فتعترف لهم بحق وضع " منهاج الحياة ".
كما اعترف الماركسيون بهذا الحق لماركس ومن جاء بعده.

(١) التوبة ١٠٩.

ليفسروا لهم الكون، والتاريخ، والاقتصاد. ويضعوا لهم منهج السياسة والاجتماع والاقتصاد. وكما اعترف غيرهم بهذا الحق لبشر مثلهم ويشرعون لهم " قيمهم " و " مثلهم ". وقواعد مجتمعاتهم وسائر جوانب حياتهم. وتردت من ورائهم الأمم الاسلامية تأخذ عن هؤلاء القيم والمثل والأخلاق والسلوك وسائر مناهج التعامل بين الناس وفي مقدمتها القوانين. ونسيت هذه الأمم أنها تتخذ أربابا من دون الله تعطيها بعض صفات الله وبعض حقوقه تزعم أنها آمنت بالله وهي تتحاكم إلى هذه الطواغيت: من قيم ومبادئ وقواعد وتشريعات وإيمانها يقتضي أولا إسقاط هذه الطواغيت. وإثباتا: يقتضي الاقرار بكل صفات الربوبية الألوهية لله وحده. وبذا تقوم عقيدة الاسلام واضحة قوية في قلوب المسلمين. يقوم الأساس متينا ليصح من بعده ومن فوقه بقية البناء. ثانيا - جانب الأخلاق: وهذا جانب يغفل عنه الكثير. من المصلحين ومن الدعاة. مع أنه في ميزان الاسلام يقف إلى جانب العقيدة. ليقوم الأساس. وكيف لا والرسول يجعلها غاية لابتعائه " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (١). وكيف لا وقد ظل الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم يربي المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته " الرسالية " .

(١) رواه مالك.

وكيف لا وبها انتشرت دعوة الاسلام في أكثر من نصف الأرض التي فتحها الله على المسلمين لما رأى الناس من أخلاق تجار المسلمين في معاملاتهم

وكيف لا وبها يصير المسلمون " مثلاً " تتحرك و " قيماً " تسعى على الأرض ويسعى نورها بين أيديها وبأيمانها؟؟

وكيف لا وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم القرآن، وكان بهذا الخلق أشرف من خلق " وإنك لعلی خلق عظيم " (١) وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " (٢).

وأمرنا أن نقتدي بهذا الرسول في خلقه العظيم.

" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وذكر الله كثيرا (٣) ".

ولئن اختلفت مذاهب العالم في الأخلاق واختلفت فيها اهتماماتهم. فإن السمة الواضحة في هذه المذاهب وتلك الاهتمامات أنهم لا يضعونها في المنزلة التي يضعها الاسلام أساسا مع العقيدة للبناء كله.

ثم هي عندهم ليست نابعة عن عقيدة ولا متصلة بعبادة. بينما هي في الاسلام كذلك.

فأما نبعها من العقيدة فهناك أمثلة منها

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٤) ".

" والله لا يؤمن (ثلاثا) قيل من يا رسول الله - قال - من لا يأمن جاره بوائقه " (٥).

(١) القلم ٤ .

(٢) الجمعة ٢ .

(٣) الأحزاب ٢١ .

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

" لا يزيني الزاني حين يزيني وهو مؤمن.
" إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق.

" والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل.
" ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.
" والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم (١).
وأما اتصالها بالعبادة.

فإن إتيانها نفسه والاستمسك بها عبادة.
إسمع إن شئت قول رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم " إن الرجل
ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم (٢) ".
أقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون
أكتافاً.

ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن (٣) ".
ثم إنها بعد ذلك تزكو بالعبادة وتربو.
فالصلاة من بين غايتها تنمية النظام، والطاعة، والطهر والنظافة
والعفة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٤)) " لو أن بباب
أحدكم نهراً يغتسل منه في اليوم خمس مرات أبقى من درنه
شيء (٥).

وأداؤها في جماعة ينمي روح التعاون والتراحم والود والإلفة
فيتحقق قول الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم " مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالسهر والحمى (٦) ".

(١) الرعد ٢٢.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أحمد.

(٤) العنكبوت ٤٥.

(٥) رواه الإمام أحمد ومسلم.

والصيام يزكي خلق الصبر، والاحتمال، والاحساس بالفقير
والعطف عليه.
وينمي في الوقت نفسه مراقبة الله في السر كمراقبته في العلانية.
مما يولد التقوى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١).
والزكاة تطهير للنفس من شحها.
وتطهير للمجتمع من الأحقاد.
وتزكية لأخوة الاسلام والمحبة في الله بين الغني والفقير.
" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن
صلواتك سكن لهم " (٢).
وهي حق في مال الغني، وليست مجرد إحسان، ومن ثم ينتفي
فيها ما قد يجرح الفقير " والذين في أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم " (٣).
وفي المال - بعد ذلك - حق سوى الزكاة
والحج فيه صبر.
وتطهر من الرفت والفسوق والجدال.
وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين.
وتزكية للوحدة على الله الواحد
والقبلة الواحدة.
والغاية الواحدة.
" الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج، فلا رفت
ولا فسوق، ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا
فإن خير الزاد التقوى (٤)."

(١) البقرة ١٨٢.

(٢) التوبة ١٠٢.

(٣) المعارج ٢٤ و ٢٥.

(٤) البقرة ١٩٧.

وهكذا هذه مجرد نماذج.
وأخلاق الإسلام بعد ذلك كله فيها الثبات.
فهي لا تتغير بتغير الأزمنة.
ولا تتأثر بالظروف ولا المصالح.
هي ترتفع بالمسلم إلى مستوى من " المثل " لا تدانيه أية قيم
أرضية أخرى.
ومن هنا وجب أن يربى عليها المسلمون، كما يربون على تقوى
الله سواء بسواء.
ثالثا - جانب الشعائر:
العقيدة والأخلاق أساس.
ويأتي بعد الأساس: العمد.
والشعائر هي العمد.
من هنا كانت صلتها وثيقة بالعقيدة وبالأخلاق.
فهي كذلك استمداد من العقيدة.
" ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " (١).
ثم إن العقيدة تربو بالشعائر وتزكو.
ومن هنا كان قول السلف الإيمان يزيد بالطاعات وينقص
بالمعاصي.
وبينها وبين الأخلاق تأثير متبادل.
فحسن أدائها تزكو به الأخلاق وتربو - على نحو ما أشرنا.
كذلك الأخلاق تؤدي إلى حسن أدائها.
فمن كان ذا وفاء فهو مع الله أوفى.
ومن ذا صدق فهو مع الله أصدق.
ومن كان ذا أمانة حفظ أمانة الله أول ما يحفظ.
وهكذا

(١) الحج ٣٢.

المبحث الثاني

بقية الجوانب

وهي ما تعالج بعد العقيدة والأخلاق والشعائر جوانب الحياة توجيهها وتشريعا ابتداء من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع وفي المجتمع كل نواحيه سياسية واقتصادية واجتماعية ولئن فصل الاسلام في ثبات ووضوح جوانب العقيدة والأخلاق والشعائر فإنه في بقية الجوانب فصل ما لا يتغير.

وأجمل ما يتغير.

فمن أمثلة ما لا يتغير جوهر الانسان وما يتصل به من زواج وطلاق وميراث فقد فصل كل ذلك تفصيلا وافيا يعترف فيه بالواقع ثم يعرج بعد ذلك إلى معراج المثل والقيم التي يحرص عليها وما يثيرونه حول هذه القضايا إنما هي شبهات يثيرها جهل بالاسلام. أو حقد عليه وليس هنا مكان العرض لها ومن أمثلة ما يتغير: الظروف السياسية والاقتصادية.

ولذا رسم الاسلام فيها الخطوط الرئيسية.

وليس معنى ذلك - كما يتفوه البعض - أن ليس للاسلام نظام سياسي أو نظام إقتصادي فإن الاسلام يرسى المبادئ والإطار العام. ويضع الخصائص العامة المميزة لهذا النظام الرباني.

ثم يدع لاجتهاد الانسان تبعا لتغير الظروف تفصيل بقية الأحكام. ولنأخذ النظام الاقتصادي والنظام السياسي كمثليين نؤيد بهما قولنا السابق، ونرد بهما عمليا على أولئك الذين يستوردون لنا النظم السياسية والاقتصادية بمقولة أن الاسلام لا يتضمنها.

النظام الاقتصادي الاسلامي
قد يحتاج النظام الاقتصادي الاسلامي إلى حديث طويل. وقد
يحتاج إلى مقارنة مع أنظمة متعددة شرقية وغربية ليس من قبيل
مقارنة المثل بالمثل ولكن قريبا من مقارنة الظلام والنور، والظل
والحرور وبضدها تتميز الأشياء لكن حسينا في هذا المقام أن نرسم
الخطوط العريضة لندع للدراسة الواسعة المتأنية التفصيل
بمشيئة الله.

ويكتفى بالحديث عن أمرين:

١ - خصائص النظام الاسلامي الاقتصادي.

٢ - الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادي الاسلامي.

وإن كان الفصل بين الأمرين مجرد فصل نظري

أولا: خصائص النظام الاقتصادي الاسلامي

١ - نظام رباني

بمعنى أن مصدره هو الله سبحانه بما جاء في كتابه أو في سنة

رسوله.

أو ما أجمع عليه علماء المسلمون.

أو ما كان سابقة ناجحة في نظام الحكم الاسلامي لأنها مستقاة

أولا من معين رباني، ولأنها ثانيا اجتهاد صحابة أو تابعين لهم

بإحسان يغني عنها اجتهادنا لو بلغنا إلى أفضل مما بلغوه! وربانية النظام تجعل له سحرا

آخر.

أولا: أنه يستثير في النفس وازعا لحفظه وحمايته أقوى من كل وازع.

فلا تحتاج إلى كثير من الأجهزة الثقيلة المعقدة التي أثقلت بها

كواهل الشعوب، وأثقلت بها ميزانيات الدول، وثقلت بها صدور

الناس!

ومن هنا ندرك الفارق بين حصيلة الزكاة على عهد عمر بن عبد العزيز

التي وفّت كل المحتاجين من الفقراء والمساكين، ثم العاملين عليها، ثم بقية المصارف الأخرى حتى بلغت إلى الغارمين، فسددت الدولة عن المدنيين ديونهم. تدرك الفارق بين مثل هذه الحصيلة ومجموع حصيلة الضرائب كلها المتعددة التي لا تكاد تسد مصرفاً واحداً من هذه المصارف! ثانياً: تجعل احترامه والخضوع له من المحكوم ومن الحاكم على السواء لأنه من مصدر فوق هذا وذاك وأعلى وأسمى. ثالثاً: يتحقق التكامل بين النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والنظام السياسي لأن الكل من مصدر واحد والتجزئة بينها غير جائزة!

انتفاء الندرة

مشكلة المشاكل في في النظم الاقتصادية المعاصرة هو ما يتناولونه تحت عنوان الندرة ويقصدون به قلة الموارد بالنظر إلى تزايد الناس أو ما يصطلحون عليه بالانفجار السكاني.

وهذه المشكلة لا وزن لها بل لا وجود لها في النظام الإسلامي.

أولاً: لأن هذا النظام تقوم عقيدة أصحابه على " أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (١) "، وعلى أنه " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها " (٢) وعلى أن الله قسم الرزق كما قسم الأجل، وأن الرزق ليطلب المرء كما يطلبه أجله.

ومن ثم فلا يمكن أن يأتي وقت أو يوجد مكان تحقق فيه الندرة الله إلا أن يكون الأمر عقاباً من عند الله " ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (٣) ". وكلما أقبلت الأمة على الله كلما زاد لها في رزقها.

" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " (٤).

(١) الذاريات ٥٨.

(٢) هود ٦.

(٣) الأعراف ١٣٠.

(٤) الأعراف ٩٦.

" استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا " (١).
أضف إليها بعد ذلك قول الحكيم الخبير " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (٢). فنعمة الله ليست نادرة بل هي أعظم من أن تحصى.
ثانيا: من ناحية الواقع

فإن واقع الأمة الاسلامية يؤكد أمرا هاما أنها إن عادت أمة واحدة، وعادت إلى ربها فلا يمكن أن تتحقق فيها ندره أبدا - إن المنطقة الاسلامية أخصب بقاع الأرض زراعيًا - وأغنى بلاد الأرض بالمواد الأولية، وفي مقدمتها أنفسها، الذهب واليورانيوم والبتروول.

- وهي أوسط بلاد العالم موقعا تجاريا واستراتيجيا. إذ تشرف على منافذ البحار والمحيطات ويمكن لها أن تتحكم فيها، وهي من ناحية أخرى تقع في مكان وسيط بين قارات العالم. وهي من ناحية ثالثة أكثر البلاد اعتدالا وصلاحية لكل أنواع الانتاج. ومن ثم فإن صح أن توجد الندره في الشرق أو في الغرب بذنوب أهله وعصيانهم، بافتقاد المكان الذي حبا الله به أمة محمد عليه و (آله) الصلاة والسلام.

- فإنه لا يصح بالنسبة للأمة الاسلامية إذا عادت مرة أخرى أمة الاسلام؟

٣ - ابتغاء الآخرة:

وقد كان يصح أن تكون هذه الخصيصة الثانية لكنا فضلنا أن نشير إلى الربانية ثم إلى الندره باعتبار الأولى صبغة هامة عامة، وباعتبار الثانية عند أهل العصر ومخالفة الاسلام لها

(١) نوح ١٠ - ١٢.

(٢) إبراهيم ٢٤.

أما ابتغاء الآخرة فهي خصيصة هامة وتأخيرها لا يقلل من أهميتها.

وابتغاء الآخرة يخفف كثيرا من غلواء الأنظمة القائمة التي تتعامل وكأنه ليس في الحياة إلا المادة.

وكان ليس بعد الدنيا آخرة يحاسب فيها المرء " فأما من طغى، وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى (١).

الدنيا إنما تصير الدنيا وسيلة لا غاية، مرتقى وليست منتهى، طريقا إلى هدف وليست هدفا في ذاتها: " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة.

ولا تنس نصيبك من الدنيا

وأحسن كما أحسن الله إليك

ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب

المفسدين " (٣).

وهكذا يتضح وضع الاقتصاد

إن الاهتمام به واجب

لكنه لا يلهي عن الآخرة

وإذا ابتغى الانسان الآخرة في اقتصاده فردا كان أو دولة

وسار على الطريق الذي رسمه الاسلام.

فإنه بلا شك يؤدي عبادة من أجل العبادات لأن العبادة ليست

قاصرة على النسك والتعبد إنما تشمل كل أنشطة الحياة وكل

مجالاتها (٣).

(١) النزاعات ٢٧ - ٤١.

(٢) القصص ٧٧.

(٣) راجع الإيمان الحق - للدكتور علي جريشة.

وهذه الخصائص المتقدمة تفضي إلى ما يسمى بالتوازن الاقتصادي.
قد كان ذلك يكفي لتقول أن النظام الإسلامي الاقتصادي يقوم
على التوازن:

لكن الإسلام أكد هذه الخاصية بأكثر من سبيل:
فجعل التوازن أمرا ملزما للفرد:

" ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط " (١).
وجعلها بعد ذلك صفة للجماعة لازمة:

" والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (٢) ".
ثم جعلها أخيرا صفة للأمة التي أضفى عليها الخيرية في مكان آخر:
" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا " (٣).

وهكذا تكتمل حلقة التوازن أمرا

وتوجيها ومن قبل ذلك نتيجة لازمة لخصائص أخرى!
وبهذا ينفرد النظام الاقتصادي عن أنظمة كثيرة تعاني انعدام
التوازن!

٥ - النظام الاقتصادي الإسلامي يرفض الترف:

قد كان يكفي أن نقول أنه متوازن

فهو يعني أنه يرفض الإسراف، والترف قمته!

أولا أن الله ينص على الترف

جعله قرين الفسق أو جعل الفسق نتيجته وجعل الهلاك

والدمار عاقبته. " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا

فيها، فحرقنا عليها القوم فدمرناها تدميرا " (٤) ومعنى الآية الكريمة

(١) الإسراء ٢٩.

(٢) الفرقان ٦٧.

(٣) البقرة ١٤٣.

(٤) الإسراء ١٦.

أمرنا مترفيها أن يرجعوا ويلتزموا لكنهم أبوا وفسقوا فكان الهلاك والدمار.

وفي القراءة الأخرى بتشديد ميم تعني معنى آخر. أنه إذا كان الأمر إلى المترفين فسلام على الأمة إنها لا بد هالكة! لأنه إذا اجتمعت السلطة مع الترف فإنها لا تنتج غير الفسق، ولا ينتج الفسق إلا الهلاك والدمار (١).

ولقد يكون الهلاك والدمار في صورة آية من آيات الله التي أهلك بها أمما من قبل قال فيها " وكأي من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا " (٢).

كما قد يكون بتسليط أعداء الله عليها. ليذيقوها ألوانا من العذاب والهوان والإذلال أو لتقلب الرأسمالية الطاغية التي يتحكم فيها الترف والمترفون إلى النقيض من ذلك إلى جحيم الشيوعية التي يتحكم فيها السفلة والكافرون!

إن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده!

الترف يؤدي إلى ضرر إقتصادي هام. إنه إذا شاع أدى إلى زيادة الاستهلاك على الانتاج وأدى إلى التضخيم وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن الاقتصادي، وحدوث الأزمات الاقتصادية. وذلك كله فوق الأضرار الاجتماعية الخطيرة التي يؤدي إليها. وفوق الأضرار السياسية وفي مقدمتها تمكن الشيوعية الكافرة من بلاد المترفين!

وجماع هذه الأضرار أو نتيجتها هو ما أكده القرآن: الهلاك والدمار، فليحذر المترفون. وليحذر الساكتون على المترفين.

(١) ورد الحديث عن الترف في آيات أخرى " بأن جعلت المكذبين من المترفين وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون سبأ ٣٤ " وبعضها جعل المترفين من أصحاب النار " إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم " الواقعة ٤٥، ٤٦.

(٢) (الطلاق ٨، ٩).

إن الهلاك والدمار يقترب منهم
فوق هلاك ودمار أشد وأكبر إنه الجحيم يوم القيامة!
وخير للمترفين أن يضحوا بشئ قبل أن يحرموا من كل شئ
وخير لهم أن يملأوا أنصاف بطونهم قبل أن تملأها الزقوم
وشراب الجحيم (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) (١).
* * * وحسبنا هذه الخصائص الخمس لنتقل إلى الحديث عن الخطوط
العريضة للاقتصاد الاسلامي فإنها إذا أزلنا الحاجز النظري كذلك
خصائص!

* * * ثانيا: الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادي الاسلامي
تتبع هذه الخطوط من التوازن الاقتصادي وصبغ الأنشطة
الاقتصادية المختلفة بالصبغة الربانية.

ونكتفي بخطوط ثلاثة رئيسية:

١ - ملكية متوازنة.

٢ - حرية اقتصادية متوازنة.

٣ - نظام مصرفي متوازن.

وتتناولها بإذن الله على التوالي.

١ - ملكية متوازنة:

تملك الانسان أمر فطري حتى عدها علماء النفس إحدى
غرائزه.

والغريزة في علم النفس لا تقتل، ولكن يتسامى بها
ومن ثم فلا سبيل إلى قتل حب التملك في النفوس.
والنظام الذي يفعل ذلك يقتل نفسه!

الدخان ٤٥، ٤٦.

ومن هنا كان الخطأ الرئيسي في النظام الشيوعي النظري الذي لم يستطع حتى الآن أن يطبق نظريته تطبيقاً عملياً كاملاً، وإن انتحل التعلات والمعاذير!

لكن إطلاق العنان لهذه الغريزة شأن إطلاق العنان لأية غريزة أخرى يهلك الإنسان ويحطمه، كما يهلك النظام كله ويحطمه ومن هنا كان خطر الرأسمالية الطاغية التي تطلق العنان للملكية حتى تغدو لونا من الاقطاع يسلب الناس ويستعبدهم ويأكل ويشرب ثمرات جهودهم، وقطرات جبينهم بل ويمتد إلى قطرات دمائهم! ومن ثم كان خطأ الرأسمالية أو المذهب الفردي وبين هذا وذاك كان نظام الاسلام قواماً، وكان كذلك قواماً. إن الملكية في الاسلام معترف بها

لأن ذلك يؤدي قدراً كبيراً من إنجاح النظام الاقتصادي فإن سلب العامل ثمرات جهوده بحرمانه من التملك - يجعله والخامل بسواء ومن ثم يركن النشاط الاقتصادي إلى الركود ويضعف الانتاج ويتهدد البلد البطالة والمجاعة ومن بعدها الانهيار والهلاك!

وروسيا الاشتراكية مثل قريب فإن إنتاج روسيا لم يزد طوال خمسين عاماً من الحكم الشيوعي القائم على إضعاف الملكية الفردية والمناذري بالغاؤها - لم يزد عما كان عليه في العهد القيصري أكثر من ٤ % فقد كان إنتاجها في العهد القيصري ٤٦ % من الانتاج الأمريكي، وصار إنتاجها في العهد الشيوعي وبعد خمسين عاماً من حكمه ٥٠ % من الانتاج الأمريكي (١).

فهل تستحق ال ٤ % الزيادة كل هذا الفناء والإفناء الذي أحدثه الحكم الشيوعي الغاشم؟! وبلوغ الانتاج الروسي مثل الانتاج الأمريكي حلم قصرت دون

(١) مقومات الاقتصاد الاسلامي - للأستاذ عبد السميع المصري - مكتبة وهبة - ربيع الثاني ١٣٩٥ - مايو ١٩٧٥.

تحقيقه برامجها الاقتصادية المختلفة وخططها الخمسية والعشرية رغم
الأمني التي كانت تداعب ساستها وقادتها وكانوا يدغدغون بها
عواطف الشعب اللهثى والجوعى التي بفردوس الشيوعية
الكاذب!

لكن هذه الملكية المعترف بها للفرد في النظام الاسلامي ليست
طليقة من كل قيد بل إن كثيرا من القيود تحوطها مما يحقق انضباطها،
وبما يحقق أداءها لرسالة في المجتمع يتحقق بها التوازن بين الفردية
والجماعية.

ولذا فالملكية تؤدي وظيفتين.

وظيفة فردية بما تحقق للفرد من إشباع

وظيفة اجتماعية بما تحقق للمجتمع من فائدة.

وأول قيود الملكية ما أشرنا إليه سلفا من تحريم الترف.

إن الملكية المترفة مذمومة وإذا بلغت هذا الحد فإما إنتهى صاحبها
من نفسه، وإلا كان لولي الأمر أن يقومه والسوابق الاسلامية في ذلك
كثيرة.

ودفع المفسدة في الاسلام مقدم على جلب المصلحة.

وتلك بعض غايات التشريع الاسلامي الحكيم.

ويلحق بالترف أمور أخرى حرمها الاسلام كالاحتكار، والغش،

والتطفيف في الكيل والميزان.

ويلحق به كذلك الربا وهو آفة نفردها الحديث عند تناولنا للمصارف

بإذن الله. وهذه كلها فيها آثار كثيرة ومشهورة.

وثاني هذه القيود ما أقامه الاسلام من ألوان الملكية الجماعية.

وهي مرافق كان الاسلام أسبق في تقدير ملكيتها في يد الجماعة

لا الفرد لأن خيرها يعم الجميع، وضرر تركها أو منعها كذلك يعم

الجميع، ومن ثم كانت الجماعة - ممثلة في أولي الأمر فيها - أقدر

على إدارتها لتحقيق غايتها.

والمثل التقليدي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم:
الناس شركاء في ثلاث:
الماء والكأ والنار.

لكن علماء المسلمين قاسوا عليه كل مرفق تظهر حاجة الجماعة
إليه وأهمية ملكيتها له.

وثالث هذه القيود: نظام الميراث.

الذي قد يبدو للوهلة الأولى أنه نظام رأسمالي إذ يعتد بالملكية
وينقلها إلى ورثة صاحبها لكن المتأمل يجده قيذا على الملكية
إذ يجري توزيعها وفق نظام دقيق بكفل:

١ - تفتيت هذه الثروة وانتقالها إلى أيد متعددة بدلا من احتواء
يد واحدة لها.

٢ - أنه يجري توزيعه تبعا للحاجة فإذا كانت حاجة الأولاد
أشد من حاجة الآباء باعتبار أولئك مقبلين وهؤلاء مدبرون كان نصيب
الأولاد أكبر وإذا كانت حاجة الذكر أشد من حاجة الأنثى إذ يقوم
هو على عائلة بينما تكون الأنثى من بين عائلة يقام عليها - كان كذلك
نصيب الذكر أكبر.

٣ - فوق أن النظرة الاقتصادية السليمة تجعل وضع الملكية
في يد الأبناء وهم أنشط - أولى من وضعها في يد الآباء والأغلب أنهم
طاعنون في السن - كذلك وضعها في يد الذكر أجدى للنشاط الاقتصادي
من وضعها في يد الأنثى.

وهكذا يمضي نظام الميراث حكما ليؤدي وظيفة اقتصادية عظيمة
عجز البعض عن إدراكها فراح بيدل كلام الله، وينتهك حدود الله
ويسوي بين الذكر والأنثى في الميراث ليحقق بذلك النظام وهو يحسب
أنه يحقق العدل، فليس البشر مهما كان بأعدل من الله ولا هو أحنى
على البشر من رب البشر الحنان المنان، الرحمن الرحيم، الكريم
الودود!

ورابع هذه القيود ما يجعله الله من حق في المال.
الزكاة بأنواعها
ولو أخذت هذه الزكاة ممن تجب عليهم ووزعها ولي الأمر على
من تجب لهم.
لحققت لونا من العدل الاجتماعي لم يبلغه نظام آخر.
ولحققت كذلك لونا من التقارب والتآخي بل ولاقتربت بالنظام
من التوازن الذي يحبه الله في كل شيء!
وقديما غطت حصيلة الزكاة - مع حياة الضمائر - غطت الفقراء
والمساكين والعاملين عليها وأعتقت الرقاب، وغطت كذلك المدينين
الغارمين!
وفي المال حق سوى الزكاة.
قد يتمثل فيما يفرضه ولي الأمر المسلم من ضرائب.
وقد يتمثل فيما يراه علاجا للوضع الاقتصادي قد يبلغ في بعض
الظروف الاقتصادية الاستثنائية ألا يملك أحد شيئا وفي الذين كانوا
إذا سافروا أرموا في امتداح الرسول صلى الله عليه و (آله) وسلم لهم
مثل عظيم!
وخامس هذه القيود منع الضرر:
فملكيتك حق
وللآخرين حق
وحتى لا يطغى حق على حق وجب أن يمتنع المسلم عن الضرر
أو الضرر حتى يقف عند حدود حقه فلا يعتدي على حق الآخرين.
وبهذا يمتنع تجاوز استعمال الحق.
لكن داخل استعمال نفسه يمتنع لون من الإضرار كذلك هو
ما اصطلح على تسميته بإساءة استعمال الحق
ويوم اكتشفت هذه النظرية في مطلع القرن العشرين التفت العالم

كله إلى مكتشفها ونسي الناس - في غيبة الدعوة وغفلة الدعاة - أن الاسلام صاحبها الأول.

فقد نص رسول الاسلام على قاعدة: " لا ضرر ولا ضرار " وهو أساسها القانوني وطبق الاسلام صوراً عديدة لمنع إساءة استعمال الحق في مقدمتها: حق الشفعة الذي يؤكد هذا القول تأكيداً عملياً. وبهذه القيود تتحقق للملكية وظيفتها الجماعية إلى جانب وظيفتها الفردية فكأن الملكية عملة ذات وجهين أحدهما فردي والثاني جماعي.

وهذا غير ما تتابع (١) فيه بعض الكتاب - جريا وراء التعبيرات الحديثة من أن الملكية الفردية في الاسلام ذات وظيفة اجتماعية إن لها الوظيفتين الفردية والجماعية ليتحقق بذلك التوازن لهذا اللون من النشاط.

٢ - حرية اقتصادية متوازنة:

تحدث الاقتصاديون عن الحرية الاقتصادية. فزعم أبناء الغرب أنها تتحقق في النظام الفردي. وأن هذا النظام أجدى لتحقيق وفرة الانتاج وجودته، وأن القيود التي تفرض على الحرية الاقتصادية لا يجنى أصحابها إلا قلة الانتاج وردائه وهرب رأس المال وبحثه عن أوطان أخرى غير وطنه، ومن ثم يتأثر الاقتصاد القومي تأثراً بالغاً بالإجراءات التي ترد قيوداً على الحرية الاقتصادية.

وزعم أبناء ماركس أن الحرية الاقتصادية في الغرب أورثت أزمات البطالة والدورات الاقتصادية والاحتكار وغيرها من المساوئ.

ومن ثم فلا سبيل إلا بالقيود الثقيل الذي فرضوه وهو أن تكون الحرية للجماعة لا للفرد وللغرد " قدر حاجته، ومنه قدر قدرته ". والحق أن الغرب أخطأ إذ أطلق الحرية. والشرق أخطأ إذ جعل القيد أصلاً.

وفي الاسلام تتوازن الحرية الاقتصادية بين الفرد والجماعة

(١) أي تساقط.

بما يحاول دون طغيان طرف على طرف وبما يحقق للنظام الاقتصادي أمثل ما يتمناه، مع نبذ مساوئ كل طرف غالى في الحرية أو غالى في القيود!

٣ - نظام مصرفي متوازن:

في الغرب شاع النظام المصرفي القائم على سعر الفائدة وهو تعبير آخر عن الربا وأدرك الناس متأخرين أن اليهود كانوا وراء هذا النظام وأن بيوت المال قد تجمعت مقاليدها في أيديهم لما صارت النقود تلد النقود بغير جهد وبغير عمل! وأدرك علماء الغرب ما في الربا من خطر. وراح البعض يحصي أثر الربا وغيره من ألوان الاحتكار على الجريمة في أمريكا حتى قالوا أن أربعة ملايين ونصف مليون جريمة خطيرة تقع كل عام.

- جريمة قتل كل ٢٩ دقيقة.

- جريمة اغتصاب (زنى بالاكراه) كل ١٧ دقيقة.

- جريمة سرقة بإكراه كل دقيقتين.

- جريمة سرقة سيارة كل ٤١ ثانية.

- جريمة سرقة منزل كل ١٧ ثانية.

وهكذا

وصدق الله سبحانه " الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا ".

" فمن جاءه موعظة من ربه فاتنهي فله ما سلف وأمره إلى الله ".

" ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ".

" يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ".

إلى أن حمل لنا الوعيد رعييا بعدها بآية:

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين "

" فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله "

" وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (١) ".
ومع هذه الصراحة راح البعض يتأول قول الله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة (٢).

بما يخرج عن مراد الآية الكريمة ويفرق بين ربا الاستهلاك وربا الانتاج.

والبعض الآخر راح يحل الربا للدولة ويحرمه على الأفراد!!
بحجة احتياج الدولة للخروج من أزمتها

بينما قادتها يرفلون في ترف داعر، ونعيم حرام

واشترى هذا الفريق من العلماء رضى الناس بغضب الله
واستحق ومن وافقوه أو حرضوه أو سكتوا عنه حرب الله ورسوله!

وبدلا من أن يأمر بتحريم الحرام من ذلك الترف الداعر.

راح يأمر بتحليل الحرام من الربا علاجا لأوضاع أوجدوها هم
ولم يوجدها غيرهم!!

ولقد كانت توصيات مجمع البحوث الاسلامية صريحة (٣):

١ - الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك
بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي ولا ما يسمى بالقرض الإنتاجي - لأن

نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

٢ - كثير الربا وقليله محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة،

والاقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه
الضرورة، وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.

٣ - أعمال المصارف من الحسابات الجارية وصرف الشيكات

(١) البقرة ٢٧٥ - ٢٧٩.

(٢) آل عمران ١٣٠.

(٣) المؤتمر الثاني المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥.

وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والمصارف في الداخل كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

٤ - الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة، وسائر أنواع الاقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة.

٥ - أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها.

٦ - ولما كان للنظام المصرفي أثر واضح في النشاط الاقتصادي المعاصر، ولما كان الاسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أوزاره وآثامه فإن مجمع البحوث الاسلامية بصدد درس بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى أن يتقدموا بمقترحاتهم في هذا الصدد (١). وفي مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بالرياض ذي القعدة سنة ١٣٩٦ (٢) أصدر في صدد الفائدة ما يلي:

- العمل على إلغاء المعاملات الربوية ومنها الفوائد المحددة لأنها من ربا صريح وهي ضارة بالنشاط الاقتصادي حيث لا يتم التوازن الاقتصادي إلا بإلغائها

- التوسع في إنشاء مؤسسات مصرفية غير ربوية ودعم القائم منها، والعمل على تشجيع بقية المؤسسات المصرفية العاملة في البلاد الاسلامية على تطوير نظمها بما يتوافق مع أحكام الشريعة الاسلامية. النظام السياسي الاسلامي

لا ينتظرن أحد أن نقدم له منهجا مفصلا لنظام سياسي إسلامي فذاك لا يمكن قبل أن تقوم دولة الاسلام، ولا ينتظرن أحد أن نقدم صورا من التاريخ الاسلامي فذاك موضع دراسة أخرى. إنما نقدم بمشيئة الله تخطيطا لنظام سياسي إسلامي يحوي خطوطه الرئيسية التي لا يصح إن تخلفت كلها أو بعضها أن يقال عن نظام ما أنه نظام إسلامي

(١) ص ٤٠١، ٤٠٢ من كتاب المؤتمر الثاني للبحوث الاسلامية.

(٢) أكتوبر ١٩٧٦.

ونحن في هذا بإذن الله - لا نقدم شيئا بدون دليل.
وفي اعتقادنا أنه يلزم لنظام سياسي إسلامي ثلاثة خطوط:
أولها: شرعية إسلامية تطله.
ثانيها: أمة تحمله.
ثالثها: سلطة تحميه.
ونتناول كلا بكلمة:
أولا: الشرعية الإسلامية:
قد يظن أن هذا اللفظ مستعار من أنظمة أجنبية لكن المتأمل يجد
أنه في الأصل لفظ إسلامي من ناحية اشتقاقه ثم من ناحية
دلالاته
فنحن أسبق من غيرنا إلى الشرعية، وأرسخ قدما والحمد لله
فالشرعية اشتقاق من فعل شرع.
وبين الشرعية والشرعية جناس كامل من ناحية اللفظ.
وكذلك من ناحية المعنى.
ففي فقه الإسلام لا شرعية بغير شريعة.
" ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين
لا يعلمون " (١).
" أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " (٢).
وحتى تظل الشرعية الإسلامية نظاما ما لا بد من ثلاثة شروط:
أولها: أن يكون لله الشرع ابتداء:
" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك.

(١) الجاثية ١٨.

(٢) الشورى ٢١.

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (١).

وألا يشاركه هذا السلطان أحد من البشر وإلا كان الشرك والكفر.
" أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ينزل به الله " (٢).
ورد الشرع إلى الله ابتداء لا يعني الجمود عن الاجتهاد
فيما سكت عنه الشرع رحمة بنا غير نسيان، أو فيما جاء ظني الدلالة،
وذلك أمر الله إلينا " ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم (٣) " .

والاجتهاد وإن لم يكن شرعا ابتداء إلا أنه شرع ابتداء لا ابتداء أي
استمدادا من شرع الله واستنباطا منه
ومن ثم ففي ظل دائرة الاجتهاد نحن كذلك في ظلال الشرعية
الاسلامية.

الشرط الثاني: أن تكون شريعة الله هي العليا:
وشريعة الله لا تكون عليا إلا حين لا تكون معها شريعة أخرى
ولا تكون فوقها شريعة أخرى وليست الشريعة كما أشرنا من قبل -
قاصرة على مجال الأحكام وإنما تمتد إلى كل المجالات وتشمل جميع
الأنشطة.

ولقد حرص الكتاب على التنويه بجعل شريعة الله هي العليا في أكثر
من موضع فقولته تعالى " وكلمة الله هي العليا " (٤) تعني أن تكون شريعة
الله هي العليا لأن لفظة كلمة اسم جامع لكلمات الله وبكلماته نزلت
شريعته.

وقول رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم " من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله " (٥) تعني نفس الشيء.

(١) الشورى ١٣.

(٢) الشورى ٢١.

(٣) النساء ٨٣.

(٤) التوبة ٤٠.

(٥) رواه الستة.

وقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ".
" يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون " (١).

الآية الأولى تعني لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أي لا يكن
لكم رأي ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله وهو ما عيناه
بأن تكون كلمة الله هي العليا.

أما الثانية فهي تحريم رفع الصوت فوق صوت النبي.

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبي
ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأي فوق شرع النبي صلى الله
عليه و (آله) وسلم بل يمكن أن نقول أن صوت النبي هو الشرع
" وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٢) " .

ولقد يكون هذا الشرط غريبا على من قبلوا تطبيق شريعة الله.

لكن يبدو لازما بالنسبة لقوم نصوا في بعض دساتيرهم على أن
الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي فأجازوا بذلك أن تكون معها شرائع
أخرى أو آخرون جعلوا الشريعة الاسلامية مصدرا ثالثا بعد التشريع
الوضعي والعرف فجعلوا شريعة الله شريعة أخرى كذلك
بالنسبة لمن يطبقون فقد يجعلون مع شريعة الله شرائع أخرى في
بعض المجالات التي يظنون أن الشريعة سكتت عنها وفي الحقيقة أنها
لم تسكت، مثل النظم المصرفية وكثير من العلوم الاقتصادية والاجتماعية
بل والسياسية!

من هنا كان لا بد من التنويه بهذا الشرط لنقول أنه إذا لم تكن
شريعة الله هي العليا لا شريعة معها ولا شريعة فوقها فإنه لا شرعية
للنظام الذي يزعم لنفسه أنه إسلامي.

(١) الحجرات ١، ٢.

(٢) النجم ٣، ٤.

الشرط الثالث - أن تطبق شريعة الله شاملة غير مجزأة:
وشريعة الله شاملة العقيدة والأخلاق، وشاملة الشعائر والمعاملات
وهي بهذا الشمول لا تقبل التجزئة:
فطرة:

لأنها بناء متكامل يشد بعضه بعضا، وبتربط بعض الشريعة كهدم
بعض البناء إن لم يؤدي إلى هدمه كله فعلى الأقل يعجزه عن أداء
وظيفته كاملة.

أو هي شفاء متكامل، وترك بعض الدواء يؤدي إلى عدم الشفاء
إن لم يؤدي إلى تفاقم المرض.

وهي لا تقبل التجزئة. شرعا لأن الله سبحانه وتعالى جعل
الاسلام هو هذه الشريعة المتكاملة وبتربط جزء أو استبدال غيره به
لا نستطيع معه أن نقول أنه هو الاسلام الذي رضي له لنا الله!
فضلا عن أن الله سبحانه حذرنا هذه الفتنة.

فقال: " واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك (١) ".
وعقب على هذه التجزئة بقوله " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن
من الله حكما لقوم يوقنون (٢) ".

فالذي يأخذ كل نظامه من عند غير الله كالذي يأخذ بعض
نظامه من عند غير الله قد رضي بحكم الجاهلية وأعرض عن حكم الله.
وقال رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم " من حالت شفاعته دون حد
من حدود الله فقد ضاد الله في حكمه (٣) " فجعل تعطيل حد واحد من
حدود الله مضادة لله في حكمه، ومحادة له في أمره فكيف بمن عطل
أكثر من حد، ومنع أكثر من حكم؟
وهكذا كانت تجزئة شريعة الله:
فتنة.

(١) المائدة ٤٩ .

(٢) المائدة ٥٠ .

- وجاهلية.
- ومحادثة لله ورسوله.
- ومن ثم كانت مرفوضة غير مقبولة.
- وهكذا تكتمل للشرعية شروطها.
- إذا كان لله الشرع ابتداءً.
- إذا كانت شريعة الله هي العيا.
- إذا طبقت شاملة غير مجزأة
- قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأرسل إلى أبي حازم فكان
مما قاله سليمان:
- يا أبا حازم: ما لنا نكره الموت؟
- لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا
من العمران إلى الخراب
- فقال: يا أبا حازم: كيف القدوم على الله؟
- قال يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله،
وأما المسئء، فالآبق يقدم على مولاه.
- فبكى سليمان وقال: ليت شعري، ما لي عند الله؟
- قال أبو حازم أعرض نفسك على كتاب الله، تعالى حيث قال:
- (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم).
- فقال سليمان: فأين رحمة الله؟
- قال: قريب من المحسنين
- ثم سأله بعد ذلك؟ ما تقول فيما نحن فيه؟
- قال أو تعفيني؟ ثم قال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف،
وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم (١).

(١) تفصيل ذلك في تفسير القرطبي.

وقيام الشريعة الاسلامية على هذا النحو، أو تطبيق الشريعة
الاسلامية بهذه الشروط يستتبع ويستلزم للنظام الاسلامي أن توجد
أمة تحمله وأن توجد سلطة تحميه ولهذه وتلك من السمات والشروط
ما يحتاج لشيء من التفصيل.
ثانيا - أمة تحمل الحق:

" وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١) ".
وهذه الأمة التي جعل الله لها الخيرية على سائر الأمم جعلها
بحقها وشروطها وهي إن قامت فيها هذه الشروط كتب الله لها الخلود.
ولقد بقيت الأمة الاسلامية رغم المحن والأزمات، ورغم تقلبات
الحكم والحاكم. بقيت بحمد الله حافظة لكتاب الله محفوظة بعناية
الله حتى لقد صح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة في الاسلام للأمة
لا للإمام، وصح ما نقوله من أن الأمة الاسلامية كانت بعد الكتاب
العزیز من أكبر آيات الله العزیز الحمید
فلو أن أمة أخرى تعرضت لما تعرضت له الأمة الاسلامية من كيد
وبطش وعسف لما كان لها اليوم وجود.
وإن الأمة التي أخرجت أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعمر بن
عبد العزيز من الحكام، وأخرجت من العلماء العاملين: أبا حنيفة ومالك
والشافعي وأحمد بن حنبل ومن بعدهم الذين " صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (٢) ".
وحج الرشيد عاماً فلقه عبد الله العمري في الطواف فقال
يا هارون قال لبيك يا عم، قال كم ترى هنا من الخلق لا يحصيهم
إلا الله قال أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة
نفسه، وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هارون وجلس
فجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع ثم قال له إن الرجل ليسرع في
مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين (٣).

(١) الأعراف ١٨١.

(٢) الأحزاب ٢٣.

(٣) سراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد ابن الوليد سنة ١٣١١ وهامش مقدمة ابن
خلدون ص ٦٦.

والأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة فإنها
تحمل عناصر الابتعاث
وهي في ابتعاثها لا تحتاج إلى وقت طويل! وقد أدرك ذلك بعض
المستشرقين فقالوا وحذر منه.
ونحن بحاجة في هذه العجالة أن نشير إلى سمات هذه الأمة وتكملها
أخرى أشرنا إليها في مكان آخر.
فهي أولا أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر:
ولا يمكن أن تأمر بمعروف ولا تأتية، أو أن تنهى عن منكر وتأتية،
ففاقد الشيء لا يعطيه فأمرها ونهيها يعني أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ
ذلك المنكر.
وكل ما أمر الله ورسوله معروف بل هو أعرف المعروف.
وكل ما نهى عنه الله ورسوله منكر بل هو أنكر المنكر.
هي ثانيا تؤمن بالله:
وإيمانها بالله يعني أنها تقوم على التوحيد
ولا تقارب بين توحيد وتثليث.
ولا تقارب بين توحيد وشرك.
ولا تقارب بين توحيد وغيره من العقائد الفاسدة
وهي ثالثا تقوم مع التوحيد على الوحدة:
" إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (١) ".
وهذه الجنسيات، وهذه الحدود دخيلة عليها ليست من أمر
الله في شيء والأمة الواحدة هي التي انتصرت من قبل
ولقد رفض رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم عصبية الجاهلية وقال
دعوها فإنها فتنة، ورفض المناداة بالعصبية بين الأنصار والمهاجرين

(١) الأنبياء ٩٢.

حين نادى أحدهم بالأنصار ونادى آخر، يا للمهاجرين فغضب رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم غضبا شديدا وقال أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟

ونزل الكتاب العزيز يؤكد قول الرسول الكريم " يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله (١) ". وهكذا كانت الفرقة والجنسيات والحدود جاهلية أو كفرا وكانت الوحدة أخت الإيمان: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا (٢) ".

وامتدح الرباط الذي وحد الأمة في كتابه، فقال عن المهاجرين (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " (٣). وقال عن الأنصار " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " (٤).

وهكذا قامت دولة الاسلام الأولى تضم كل من قال لا إله إلا الله بغير تفرقة لوطن أو جنس وبغير اعتراف بحدود أو جنسية! وهكذا ينبغي أن نقوم مرة أخرى!

ثالثا: سلطة تحمي الحق

قلنا لا بد من أمة تحمل الحق وسلطة تحمي الحق. هذه السلطة لا بد لها من أمرين تقوم بهما:

١ - إقامتها شريعة الله وهذا أساس شرعيتها الأولى.

(١) آل عمران ١٠٠ و ١٠١.

(٢) آل عمران ١٠٣.

(٣) الحشر ٨.

(٤) الحشر ٩.

وبغيره تغدو سلطة غير شرعية يجب جهادها. وإقامتها شريعة الله لا بد أن يكون على النحو الذي أشرنا إليه.

٢ - قيامها على رضى المسلمين بها:

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

(أ) أن الرضى أساس المعاملات في الاسلام " إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم (١) ". والإمامة أو الخلافة عقد بين الخليفة والرعية يلزم له الرضى.

(ب) أن الرضى لازم لصحة الإمامة الصغرى إمامة الصلاة فوجب من باب أولى لصحة الإمامة الكبرى إمامة المسلمين.

(ج) لقول الله سبحانه " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " (٢) فدللت الآية في الطاعة على الشرط الأول وهو إقامة شريعة الله، ودلت بلفظ منكم على الشرط الثاني وهو الرضى فإنهم لا يكونون منا بغير رضى منا.

(د) لأن رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم قد حرص على غرس هذا الأصل في المجال السياسي بما فعله ببيعة العقبة الأولى والثانية مع أنه رسول الله وما كان بحاجة إلى رضى الناس لكنه حرص حين مهد لإقامة الدولة أن تكون إمامته ورئاسته لهذه الدولة برضى من المسلمين.

(هـ) ثم ما فعله حين ترك تعيين خليفة من بعده ليتم اختياره برضى المسلمين الأمر الذي حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده على تفصيل ليس هنا محله.

(و) لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

" فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ولا للذي بايعه تغرة أن يقتلا " .

(ز) وهذا ما طبقه عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين ولي أمر المسلمين فقال: " أيها الناس لقد ابتليت بهذا

(١) النساء ٢٩ .

(٢) النساء ٥٩ .

الأمر من غير رضا مني ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعة فاخترتوا لأنفسكم".
فأعاد بذلك تصحيح الوضع إلى ما كان عليه في عهد الراشدين. فإذا قامت السلطة على شريعة الله ثم على رضى المسلمين. فلا يهمل الشكل بعد ذلك:
لا يهمل أن نسميها خلافة.
أو أن نسميها إمامة.
أو أن نسميها إمارة.
أو غير ذلك من الأسماء ما دام قد توافر لها هذان الركبان الأساسيان فإن انهار أحدهما انهارت الشرعية التي تستند إليها السلطة وفي الأمر تفصيل ليس محل هذا المقام (١).

راجع في تفصيل ذلك نظرية الخروج - المشروعية الإسلامية العليا: للدكتور علي جريشة.

وبعد

* فتلك شريعة الله البذرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وهي كما أشرنا في أكثر من موضع لا تقبل التجزئة.
* وواجب الدولة بالنسبة لكل جوانبها واجب مزدوج فهو إيجابي من ناحية يرعى ويصون ويوجه ويدافع بالكلمة، والصورة، والسيف!

وهو سلبي من ناحية أخرى يمنع ويحول دون أن يחדش عقيدة، أو خلقا، أو شعائر أو نسكا بالكلمة المنشورة أو المتطورة. وبالتربية في المدارس والبيوت وبالحدود، والقصاص والتعزير! وذلك هو الفهم السليم لحراسة الدين وسياسة الدنيا به. وهو تعريف الخلافة، وتعريف كل حكم شرعي، أو يريد لنفسه الشرعية!

* ومن ثم:

فعلمانية القانون عدوان على الشرعية الإسلامية.
علمانية التعليم عدوان على الشرعية الإسلامية.
وعلمانية الإعلام عدوان على الشرعية الإسلامية.
وعلمانية المجتمع بعلمانية تقاليد، وخلقة، وعاداته عدوان على الشرعية الإسلامية.
وعلمانية الاقتصاد (بقيامه على الربا أو افتقاره لخصائصه الرئيسية) عدوان كذلك على الشرعية الإسلامية.
وعلمانية الحكم (بقيامه على غير الشرعية، أو على غير رضى الناس) عدوان صارخ على الشرعية الإسلامية.
تماما
كما لا يقبل من الفرد أن يصلي ويترك الزكاة.

وكما لا يقبل منه أن يصوم يقول الزور أن يعمل به.
وكما لا يقبل منه أن يحج ويرفث أو يفسق.
وكما لا يقبل منه أن يفعل ذلك كله ثم يترك الجهاد ذروة سنام
الاسلام أو يجاهد ثم يستبيح لنفسه ما نهى عنه الاسلام.
من كذب، أو خلف، أو خديعة، أو خيانة!
إنها لكبيرة ممن وضع نفسه هذا الموضوع
كذلك هي كبيرة ممن رفعوا شعارات الإيمان أو الاسلام ثم أعرضوا
عن حكم الله في الاقتصاد.

أو في السياسة.

أو في الاجتماع.

أو في العقيدة.

أو في الأخلاق!

* ويبقى - كيف لنا - أن نعود إلى تحكيم الشريعة كلها كما
كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم وصحابته ومن تبعهم
بإحسان؟

والرد

رسول الله بدأ من القاعدة لكنه لم يغفل القمة
فكان تركيزه على الضعفاء والمساكين، وكانت رسله وكتبه إلى
الملوك. ونحن
كثيرا ما بدأنا من القاعدة وركزنا عليها وتركنا القمة ليستعملها
غيرنا في حربنا وقامت أمامنا الصعاب في القاعدة.
فنحن نبني وغيرنا يهدم إذاعة، تليفزيون، سينما،
صحافة، رأي عام وحرب القمم لنا - حرب مجردة من المبادئ والقيم
الانسانية التي كان يعرفها العرب في جاهليتهم، والتي دفعتهم أن يكفوا
الحصار عن رسول الله صلى الله عليه و (آله) وسلم والذين معه بعد ما ظلوا فيه
ثلاث سنين، ودفعت أمثال أبي سفيان أن يشهد لرسول الله صلى الله
عليه و (آله) وسلم لما سئل عنه وأمثال عتبة أن يشهد للقرآن شهادة حق

فهل لنا أن نصبر على القاعدة حتى تخلص لنا قاعدة صلبة
الإيمان قوية اليقين؟
وهل لنا أن نبحت عن قمة عاقلة تسمح لنا بالبناء دون
أن تهدم دون أن تحارب من بيني ولها ألا تنازع الملك
والسلطة!
إن قاعدة عريضة مؤمنة وقمة عاقلة متبصرة هي أمل الاسلام
القريب والله المستعان
* * *

المراجع
اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام
ابن تيمية.
القرب في محبة العرب للحافظ العراقي.
الفكر الاسلامي المعاصر: دراسة وتقويم لغازي التوبة.
الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي.
تهافت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد البهي.
الإيمان الحق: شهادة وعقيدة للدكتور المستشار علي محمد جريشة. في الزنانة
للدكتور المستشار علي محمد جريشة.
عندما يحكم الطغاة للدكتور المستشار علي محمد جريشة.
الاسلام يتحدى - مدخل علمي للإيمان لوحيد الدين خان.
حاضر العالم الاسلامي تأليف لوثروب ستودارد وترجمة نويهض
وتعليقات شكيب أرسلان.
حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر.
الغارة على العالم الاسلامي ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين.
الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين.
حصوننا مهددة من الداخل - في أوكار الهدامين للدكتور محمد محمد حسين.
الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي.
الاسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير للأستاذ
أنور الجندي.
العالم الاسلامي: الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي للأستاذ
أنور الجندي.
بين الرابطة الاسلامية والفكرة القومية لأبي الأعلى المودودي.
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد
لم هذا الرعب كله من الاسلام للأستاذ جودت سعيد
التبشير والاستشراق: أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت إسماعيل
الطهطاوي
المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلامي لإبراهيم خليل أحمد
أفيون الشعوب للعقاد

حقيقة الشيوعية - سلسلة اخترنا لك - الشيوعية والانسانية لعباس
محمود العقاد
الاسلام والشيوعية للدكتور عبد الحليم محمود
الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة محمد خليفة
التونسي
الصهيونية بين الدين والسياسة لعبد السميع الهراوي
العالم العربي اليوم لمورويرجر
أحجار على رقعة الشطرنج لوليم غاي كار: ترجمة سعيد الجزائري.
لعبة الأمم لماينز كوبلاندر تعريب مراد سرخيس.
وجهة الاسلام لهاملتون جب وآخرين.
تقرير لورد كرومر سنة ١٩٠٦.
أعمدة الحكمة السبعة للورنس.
مقومات الاقتصاد الاسلامي للأستاذ عبد السميع المصري.
الاسلام في وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالي.
ماركسية القرن العشرين ترجمة لكتاب جارودي (التحويل الكبير في
الاشتراكية) لنزيه الحكيم.
الخطر الصهيوني على العالم الاسلامي لماجد كيلاني.
تجربة عربي في الحزب الشيوعي لقدرى قلعجي.
حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون لعبد الحليم خفاجي.
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد.
نحن والشيوعية في الآونة الأخيرة للدكتور سعدون حمادي.
مؤامرة اليهود على المسيحية لاميل الغوري.
الكنز المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهلنج ترجمة الدكتور
يوسف نصرالله.
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية لعبد الله التل.
اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لإيليا أبو الروس.
الماسونية في العراق للدكتور محمد علي الزعبي.
الجمعية الماسونية: حقائقها وخفاياها للدكتور أحمد غلوش.